aljadeedmagazine.com
فكر حر وإبداع جديد

الجديد
AL JADEED

ثقافية عربية جامعة تصدر من لندن
يونيو/حزيران 2016، العدد 17

عدد خاص

الكتابة المسرحية
أصوات المجتمع

ISSN 2057-6005

أسامة دياب

هذا العدد

هذا العدد تواصل "الجديد" مغامرتها في الوصول إلى النص الجديد في جغرافياته العربية الممتدة من العراق وحتى المغرب ومن اليمن وحتى فلسطين، مرورا بعواصم الثقافة وانتهاء بمدنها النائية، فـ"الجديد" لم تتقاعس عن البرهان شهراً بعد آخر على مدى التزامها ببيانها التأسيسي الذي عبّرت المجلة من خلاله عن تطلعات عدد متنام من الكتاب والقراء العرب المؤمنين بالكتابة الجديدة والأفكار الجديدة وبحاجة الثقافة العربية إلى إطلاق مشروع نقدي يطال كل ما له علاقة بالتفكير والإبداع في عالم عربي قلق يشهد تحولات مجتمعية عاصفة هزّت الأفراد والجماعات والوجدان والأفكار، وطالت حتى الأسس التي تنهض عليها العلاقات والوشائج العميقة للثقافة العربية، ناهيك عن خلخلتها لأسس التفكير.

في هذا العدد قصائد وقصص ومقالات رأي ونقد وحواران فكري وأدبي، الأول مع الشاعر والأديب السوري شوقي بغدادي مصحوبا بقصائد جديدة، والثاني مع المستشرق الهولندي يان ياب دي راوتر حول العرب والغرب والإسلاموفوبيا.

ملف العدد كرّس هذا الشهر لمسألة الهوية ويضم مقالات لكتاب من سوريا، العراق، فلسطين، تونس، الجزائر، كتبت انطلاقاً من أوضاع وجغرافيات عربية متباينة، ومن وعي مشترك، على اختلاف مشاربه ومرجعيّاته، لكونه يصدر عن تطلّع يحاول أن يكسر ثقافة الصوت الواحد إلى الأصوات المتعددة والفكر الواحد إلى الأفكار المختلفة ليمكن له أن يلمّ بالتعدد ويستقبله عبر حوار فكري منتج وخلاق.

في مقالات الملف نقرأ لكلّ من: أحمد برقاوي، إبراهيم الجبين، جادالكريم الجباعي، فتحي التريكي، إبراهيم السعدي، أحمد دلباني، سلامة كيلة، أزراج عمر، ربوح البشير، باسم فرات..

بهذا الملف توسع الجديد من أفق الحوار والنقاش والسجال في القضايا الأكثر إشكالية وتعبيرا عن روح اللحظة العربية الراهنة في الثقافة والاجتماع ■

المحرر

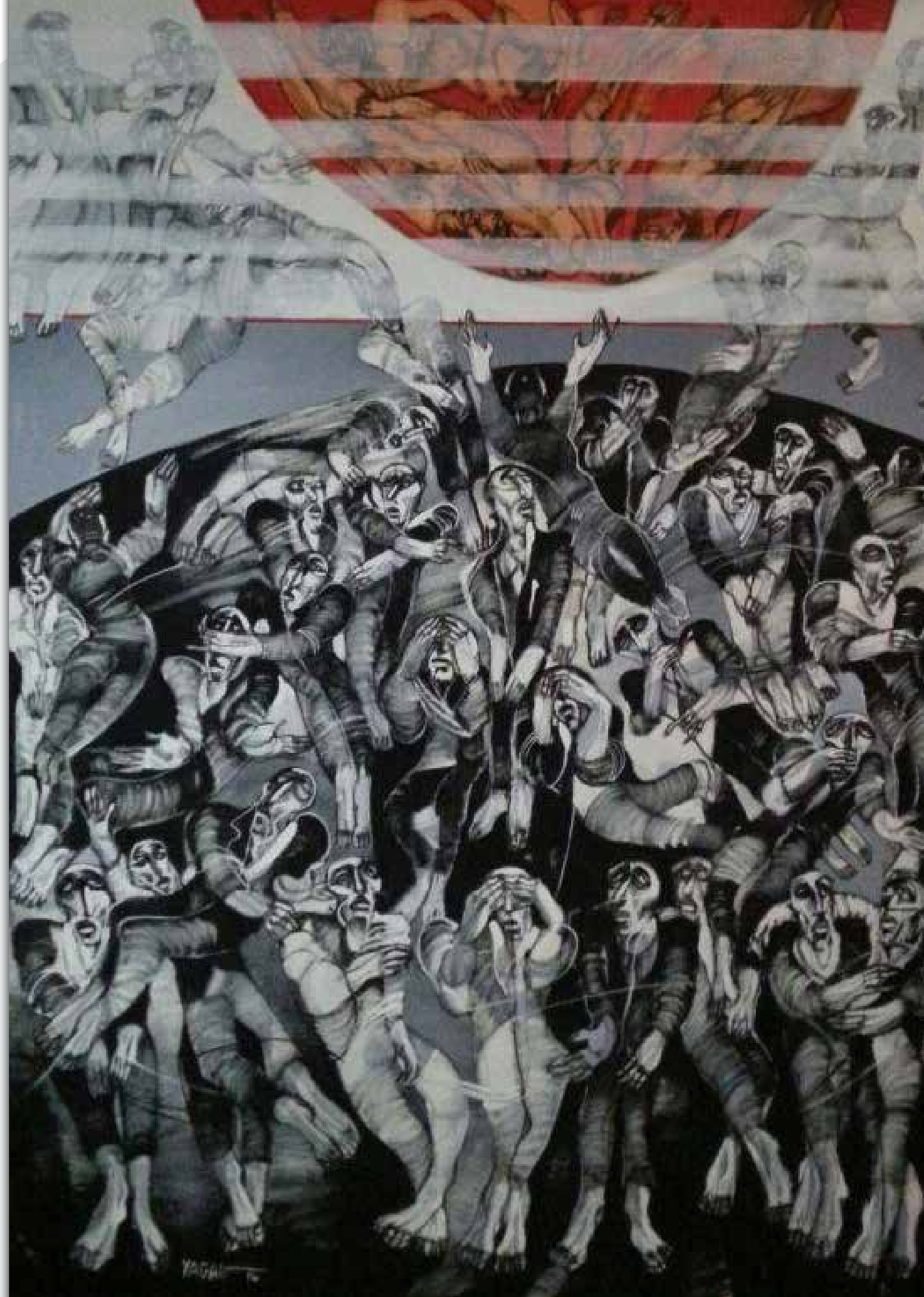

سعد يكن

الجديد
aljadeedmagazine.com

مؤسسها وناشرها
هيثم الزبيدي

رئيس التحرير
نوري الجرّاح

مستشارو التحرير
أزراج عمر، أحمد برقاوي
عبد الرحمن بسيسو، خلدون الشمعة،
خطار أبو دياب، أبو بكر العيادي
ابراهيم الجبين، رشيد الخيون
تحسين الخطيب، مفيد نجم

التصميم والتنفيذ
القسم الفني - مؤسسة "العرب" لندن

رسامو العدد:

سعد يكن، أسامة دياب
صفوان داحول، بهرام حاجو
سمير الصفدي، هيثم شكور
عامر الوهيبي، علا الأيوبي، خالد تكريتي
شيرين عدي، محمد ظاظا
محمد أبو الوفا، حسيني علي
ربيع كيوان، خالد تكريتي

التدقيق اللغوي:
عمارة محمد الرحيلي

الموقع على الإنترنت:
www.aljadeedmagazine.com

الكتابات التي ترسل إلى «الجديد» تكتب خصيصاً لها
لا تدخل المجلة في مراسلات حول ما تعتذر عن نشره.

تصدر عن
Al Arab Publishing Centre
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
Hammersmith Road 66
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للاعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

لمراسلة التحرير
editor@aljadeedmagazine.com

الاشتراك السنوي
للافراد: 60 دولارا. للمؤسسات: 120 أو ما يعادلها
تضاف إليها أجور البريد.

ISSN 2057- 6005

الكتابة المسرحية أصوات المجتمع

المحتويات

العدد 17 - يونيو/ حزيران 2016

صفوان داحول

تشارك في إنجاز العدد:

عبد المجيد دقنيش، عبد الله مكسور، عبد الستار البيضاني، حنان عقيل، زكي الصدير، عواد علي.

■ لوحة الغلاف للفنان صفوان داحول

غلاف العدد الماضي مايو/ أيار 2016

كلمة

أصوات المسرح أصوات المجتمع — 6
في البحث عن نص مسرحي عربي جديد
نوري الجراح

الأخيرة

لماذا الاصرار على أن يكون لدينا مسرح — 160
هيثم الزبيدي

قبل أن يأتي الربيع — 8
مسرحية من فصل واحد
أحمد إسماعيل إسماعيل

ذئب البوادي — 20
النسخة السورية
حازم كمال الدين

صمت النوافير — 38
مقطع من نص مسرحيّ
حسن المؤذّن

أناشيد الربيع والخريف — 40
مسرحية مونودرامية
الحسن بنمونة

حالة حصار — 50
مشهد من مسرحية
حمادي المزي

أكاذيب صغيرة — 54
مسرحية من فصل واحد
درويش الأسيوطي

الإضاءة الأولى — 60
السيرة والذات
زبير بن بوشتة

دولة السيّد وحيد الأذن — 66
مسرحية صامتة
صباح الأنباري

كونتينر — 72
عباس الحايك

صاحب الأثر — 88
عقيل مهدي يوسف

أصوات الغابة — 98
تكييف عن نص "النصب التذكاري" لكولين واغنر
عواد علي

كوكب الذكورة — 110
مختار شحاتة

عندما توقف الزمن في القبو — 124
مونودراما
مصطفى تاج الدين الموسى

تغريبة ابن سيرين — 130
مونودراما
مفلح العدوان

فكرة — 136
مونودراما
ناهض الرمضاني

جريمة قتل في شارع المطاعم — 144
نص مسرحي
وجدي الأهدل

نوستالجيا — 154
مونودراما
صالح زمانان

أصوات المسرح أصوات المجتمع

في البحث عن نص مسرحي عربي جديد

لا ننجز هذا العدد الخاص عن المسرح لنعيد تعريف الظاهرة المسرحية في المجتمع، فقد وقع في أذهان القراء العرب معنى المسرح مرارا من خلال تأريخ ودراسات ومقدمات وكلمات كثيرة قصدت تقديم المسرح للناس.

وظيفة هذا العدد ببساطة أن يتقصى حال الكتابة المسرحية بعد قرن ونصف القرن من التأليف المسرحي في الثقافة العربية، وأن يتيح للقراء العرب وأهل المسرح على نحو خاص الاطّلاع على نصوص مسرحية عربية ألفها كتاب مسرحيون من العراق، مصر، سوريا، فلسطين، الأردن، السعودية، تونس والمغرب. وهي نصوص تغطي انشغالات وهموم وموضوعات وقضايا راهنة اجتماعية وسياسية وجمالية تغلب عليها الرغبة في توليد نص مسرحي عربي معاصر في لغة عربية فصيحة، وقد استبعدت هيئة التحرير نصوصا كتبت بالعاميات التونسية والمصرية والشامية؛ هي بحق نصوص ممتازة، لكنها لا تدخل في منظور هذا العدد ولا في توجهات «الجديد»، ويمكن في المستقبل تناول مثل تلك النصوص وتسليط الضوء عليها ولكن في إطار بحث وتقصّ يخصّان أدب العاميات العربية.

***

تنتمي النصوص المسرحية التي يضمّها هذا العدد إلى أنماط مختلفة تتراوح ما بين المسرح الدرامي الحديث، ومسرح اللامعقول ومسرح ما بعد الحداثة، ومسرحيات المونودراما التي تتداخل فيها عناصر السرد والشعر والوثيقة والتشكيل عبر المونولوجات الدرامية للشخصية، وقد استقطبت الأخيرة طيفا واسعا من الكتاب العرب الذين وجدوا فيها عملا تجريبيا يتيح فرصا معقولة لعدد من المخرجين المسرحيين والفرق الصغيرة، التي طالما أعياها البحث عن مساندين وممولين للأعمال المسرحية التي تتطلع إلى إنجازها على خشبات المسارح.

***

جلّ رواد المسرح والمهتمين بظاهرته يعلمون أن العرب عرفوا المسرح منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر مع تجارب مارون نقاش وأبوخليل القباني ويعقوب صنوع وجورج أبيض، وغيرهم، لكن الكتابة المسرحية لم تولد داخل الثقافة العربية وتتحوّل إلى نصوص وآثار ذات ميزات مطبوعة باللغة والهموم والأفكار والتطلعات العربية إلا مع النصف الأول من القرن العشرين، عندما تبلورت الأصوات والتجارب الأدبية الحديثة لجيل أدبي عربي تأثر بالغرب، كتوفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وقبلهم إبراهيم رمزي الذي كتب المسرحيات التاريخية والغنائية.

تعتبر تجربة مارون نقاش ابن صيدا هي الأبكر بين تجارب التأليف المسرحي بالعربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ «أبوالحسن المغفل وهارون الرشيد» و«الحسود السليط»، وغيرها. ويليه تاريخيا أبوخليل القباني الدمشقي الذي كتب «قهوة الدانوب» و«أنس الجليس» و«نفح الربى» و«عفة المحبين» أو «ولادة» و«عنترة» و«ناكر الجميل» و«الأمير محمود وزهر الرياض» و«الشيخ وضاح ومصباح وقوت الأرواح»، ويعتبر مؤسس مسرح الأوبريت في الثقافة العربية. ويعاصره يعقوب صنوع في الربع الأخير من القرن العشرين، وقد ألف الكثير من المسرحيات التي ضاعت ولم يبق منها حتى منتصف القرن العشر ين إلا «موليير مصر وما يقاسيه»، لكن الباحثين العرب اكتشفوا بعد ذلك عددا من مسرحياته القصيرة ونشروها في ستينات القرن العشرين، وخصوصا الباحث محمد يوسف نجم.

بطبيعة الحال شكلت النصوص الحكائية الكبرى في العربية مرجعا ملهماً للمسرحيين العرب مثل «ألف ليلة وليلة»، «كليلة ودمنة»، قصص الأنبياء، «رسالة التوابع والزوابع» لابن شهيد، «حي بن يقظان» لابن طفيل، كتاب «البخلاء» للجاحظ و«رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري وغيرها.

ولا يمكن أن نهمل نصوص خيال الظل في كونها مرجعا مهما للمسرحيين مخرجين وكتابا منذ مطالع القرن التاسع عشر.

رزان صباغ

***

على أن نصا جزائريا اطّلعت عليه خلال إحدى رحلاتي إلى الجزائر في نهايات القرن الماضي لا بدّ لنا أن نعدّه أحد أبكر النصوص المسرحية المكتوبة بالعربية، وأعني به «نزاهة المشتاق وغصة العشاق في مدينة طرياق في العراق»، والذي كتبه ونشره في الجزائر سنة 1847 كاتب لم يدوّن اسمه على أيّ نص آخر هو أبراهام دنينوس، وكان موظفا في المحكمة الجزائرية. المسرحية تقوم على 22 شخصية بينها 8 أدوار نسائية، وكلها تنتمي إلى البيئة الجزائرية، وتتحدث عن قصة حبّ تدور أحداثها في مدينة متخيّلة، والعصر غير محدّد، وتقوم على حكايتين متوازيتين تستغرقان العرض المسرحي، وهي ذات نهاية سعيدة. وقد سبق لي أن كتبت مقالة استعرضت فيها هذا النص وعرّفت به لدى القراء العرب.

ظل السؤال عن قيمة التجارب المشار إليها وما عاصرها من تجارب قائما في النقاش حول تاريخ المسرح العربي وتاريخ الكتابة المسرحية. وقد اختلفت الآراء في جملة من القضايا المتصلة بتاريخ الظاهرة المسرحية وظواهر الفرجة في المجتمع العربي، ولكنّ الذي يعنينا خصوصا، هنا، مع هذا العدد، ليس السؤال حول تاريخ المسرح أو تاريخ العرض المسرحي، وإنما تقصّي تاريخ الكتابة المسرحية بالعربية، والواضح أنها بدأت من خلال التّماس مع نصوص موليير والمسرحيين الفرنسيين والإيطاليين خصوصا، ثم مسرح شكسبير في مرحلة لاحقة، وتأثرت بالنصوص الأصلية وبالترجمة التي قام بها رواد المسرح للأعمال المكتوبة بالفرنسية والإيطالية، ثمّ الإنكليزية.

***

لن نطيل في الاستعراض لكن يجدر بنا أن نشير إلى أن النصف الثاني من القرن العشرين هو زمن التأليف المسرحي ومعه ظهرت الأعمال التي يعتدّ بها كنصوص ألفرد فرج ومحمود دياب وصلاح عبدالصبور ونجيب سرور وعصام محفوظ ومحمد الماغوط وسعدالله ونوس والعشرات غيرهم من كتاب المسرح الذين معهم فقط بدأنا نتعرف على نصوص مسرحية عربية معاصرة وعلى نضج فكري ووعي بجماليات التأليف المسرحي في العالم.

ولكن هل صار لدينا مسرح عربي؟ هل تمكّنت الكتابة المسرحية العربية من التأسيس لمسرح عربي يمكن أن يضاهي بجمالياته وخصوصياته التجارب المسرحية في العالم؟ وهل يمكن الحديث عن نص مسرحي عربيّ معاصر يمكن أن يعالج ويعرض في العالم؟ وهل يسمح لنا هذا العدد، أولا وأخيرا، بأن نعثر في النصوص المنشورة هنا على تجارب جديدة تثري الحركة المسرحية العربية برؤى وأفكار ولغات فنية تعكس التموّجات الكبرى للمجتمعات العربية، والتحوّلات الجارية، وبعضها عنيف عنفا مذهلا ويشكل، بالتالي، تحديًا للنصوص والمخيلات معا، وهو وينتمي بوقائعه إلى أرض التراجيديا الإنسانية؟

سؤال صعب. لكن هذا العدد من «الجديد» وهو الثاني الذي نفرده لظاهرة أدبية بعد عدد القصة القصيرة الذي قدّمناه العام الماضي، إنما هو خطوة أخرى في مغامرة البحث عن النص الجديد وفي رحلة تقصّي الأحوال الراهنة للظواهر والأجناس الأدبية في الثقافة العربية الجديدة.

لندن/ بوخارست ـ مايو/ أيار 2016

قبل أن يأتي الربيع

مسرحية من فصل واحد

أحمد إسماعيل إسماعيل

(1)

(صالون في شقة سكنية متواضعة: يقع المدخل على اليمين، وعلى اليسار ثمة بابان: واحد يؤدي إلى المطبخ وآخر إلى جانبه يؤدي إلى غرفة النوم، أريكة وكراس، وطاولة تتوسط الصالون، تلفزيون موضوع في زاوية ما من الصالون وفوقه، وعلى رف خاص، هاتف منزلي، تتوزع على الجدران مجموعة معلقات: صورة غير حديثة لعروسين وأخرى لآية الكرسي وساعة حائط كبيرة، إضافة لمكتبة صغيرة جداً.. جرس الهاتف يَرَن ويلحّ في الرنين، تخرج سلمى وهي امرأة في العقد الثالث من العمر، تلتقط الهاتف، الوقت في الهزيع الأخير من الليل)

سلمى: ألو. نعم، إنه بيت الأستاذ مروان شكري، نعم إنه في البيت، من حضرتك يا أخي؟ من؟! عفواً، هل قلت.. (ترتبك) نعم أنا زوجته، هل أوقظه؟ نعم.. تفضل.. حسناً. سأخبره. لا. لن أنسى. غداً. الساعة التاسعة صباحاً. نعم. أمرك. حاضر. وأنتم من أهل الخير. وأنتم من أهل الخير. (تضع السماعة وقد زاغت نظراتها وازداد ارتباكها، تجلس على أقرب كرسي، يدخل زوجها مروان وهو رجل في العقد الرابع من العمر، يفرك عينيه ويتثاءب)

مروان: (بضيق) ألا تملّين من الحديث في الهاتف يا امرأة.. أقسم بالله أنني سأكسر هذا الهاتف اللعين يوماً، وليقلْ عني الجميع أنني جننت. من كانت المتحدثة هذه المرة. سميرة؟

سلمى: لا.

مروان: إذن لا بدّ أن تكون أم علي.

سلمى: لا.

مروان: لم يبق سوى شيرين، تلك المرأة الثرثارة، كان الله في عون زوجها، وما هو الموضوع الذي لا يمكن لشيرين هانم تأجيله حتى الصباح؟ أخبار الثورة التونسية؟ أم مفاوضات السلام.. (يقلدها) اليوم صنعت كاتوا يجنّن. طار عقل زوجي حين تذوقه، هؤلاء الرجال لا همَّ لهم سوى بطونهم، املئي بطن الرجل وسوقيه كما تشائين، الطريق إلى قلب الرجل معدته؟ (بضيق) أي طبعاً لأنه حمار. لو لم يكن حماراً.. أستغفر الله.. ليس عبثاً أن يقال عنكم ناقصات عقل ودين. لقد طار النوم من عيني، اذهبي واجلبي لي كأس ماء. وضعي أبريق الشاي على النار.

سلمى: لقد ظلمت المرأة يا رجل.

مروان: (بسخرية) هيا اجلبي لي الماء بسرعة فقد جفّ حلقي. واصنعي لي القهوة بدل الشاي.

سلمى: ألا تريد أن تعرف من كان المتحدث؟

مروان: لا بدّ أن تكون ميشيل أوباما أو المستشارة ميركل.

سلمى: (بتلعثم) لقد كان الفرع.. فرع..

مروان: (يقاطعها بسخرية) فرع النسوان لقراءة الفنجان؟ (يقلدها كمن يقرأ في فنجان) هناك طائر وفي فمه مكتوب، إن شاء الله خير، هذا يعني أن خبراً حلواً سيصلكم. وهذه سمكة، والسمكة تعني الرزق، ولكن أف.. عيون.. حولكم عيون كثيرة.

سلمى: يجب أن تراجع غداً فرع أمن الدولة.

مروان: (بذهول) ماذا؟ أمن الدولة؟!

سلمى: نعم. أمن الدولة، هذا ما قاله لي المتحدث في الهاتف.

مروان: (وقد جمد وجهه من شدة الخوف) حقاً؟ قولي أنك تمزحين؟

سلمى: إني جادة يا مروان.

صفوان داحول

مروان: وماذا كان يريد؟

سلمى: سألني عن اسمك، قال: هل هذا بيت مروان شكري، فقلت نعم.

مروان: وبعد ؟

سلمى: فردَّ: قولي له أن يحضر غداً الساعة التاسعة صباحاً إلى فرع أمن الدولة، فالمعلم يريد أن يتناول معه القهوة. (تنهض)

مروان: (يمسك بيدها بقوة) إلى أين؟

سلمى: سأصنع لك القهوة.

مروان: لا أريد أن أتناول سمَّ الموت؛ هل قال لك أن المعلم يريد أن يشرب معي القهوة؟

سلمى: نعم.

مروان: (برعب يزداد) معنى ذلك أن الأمر جدّ خطير، لو لم يكن الأمر خطيراً لأرسلوا واحداً من عناصرهم، من أولئك الذين يحملون الدفاتر الصغيرة. ليكتب تقريراً يناسبنا بعد أن ندفع ألف ليرة ثمن فنجان القهوة، أو لقال لك: أخبريه بضرورة مراجعة الفرع، هكذا فقط، دون كلمة قهوة ومعلم. لو لم يكن كذلك لما وصل الأمر إلى المعلم.

سلمى: اهدأ يا رجل.

مروان: أهدأ، ما أسهل النطق بهذه الكلمة! هؤلاء أمن الدولة يا **سلمى:** أمن الدولة.

سلمى: أعرف، طبعاً أعرف، حتى التلميذ في المدرسة يعرف ماذا تعني هذه الكلمة، ولكن ما باليد حيلة؟ نمْ الآن، وغداً صباحاً ستفهم هناك كلَّ شيء.

مروان: (بانفعال) أقول لها أمن الدولة فتقول نمْ، أقول لها تيس فتقول احلبه.. يا امرأة، يا زوجتي الحمقاء، هؤلاء الذين تحدثوا معك وطلبوا مني الحضور إلى الفرع ليسوا شركة المياه، وليسوا مؤسسة البريد لدفع فواتير محادثاتك مع المستشارة ميركل أو سيدة البيت الأبيض، إنه المعلم، ألم يقولوا لك ذلك؟

سلمى: (تبكي) وما ذنبي؟ لماذا تتحدث معي هكذا؟

مروان: (بعصبية) آسف، آسف يا سيدتي، لو تكرمت وسمحت بأن تقفلي فمك، وأن تخرسي، هل هذا ممكن؟ (يروح ويجيء في الغرفة) ما عسى أن يكون سبب هذا الاستدعاء؟ وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟ كلام في السياسة؟ ولكني لا أذكر أني تحدثت في السياسة أمام أحد، طول عمري وأنا ابتعد عن السياسة (لزوجته) لا أذكر أني فعلت ذلك.. هل شاهدتني يوماً أفعل ذلك؟ (لا ترد) ما بك يا امرأة؟ قولي شيئاً؟!

سلمى: كيف أردُّ وأقول وفمي مقفل!

مروان: ومن أقفل فمك؟

سلمى: أنت.

مروان: أنا؟! (كمن تذكر) أوه.. لا تقفي على كل كلمة أقولها مثل شرطي المرور. ولا حاجة لهذه الحساسية المفاجئة. هيا قولي.

سلمى: وماذا أقول؟

مروان: (بعصبية) أوه.. لا تقولي شيئاً، يبدو أنك في عالم آخر. هيا اذهبي إلى النوم.

سلمى: وماذا أقول، أنت تعلم أن أولاد الحرام كثر.

مروان: ماذا تقصدين؟ هل يعني أن أحدهم قد وشى بي؟

سلمى: كل شيء جائز، لقد أفسد هؤلاء كلَّ شيء: علاقات القرابة والصداقة وحتى الحب.

مروان: هذا صحيح.

سلمى: (بحنق) إنهم خنازير.

مروان: بالضبط، ولكن لماذا تتحدثين عنهم بهذا الحقد؟!

سلمى: هذا ليس كلامي بل كلامك، أنت من يكرر هذا الكلام عنهم دائماً، حتى حفظته عن ظهر قلب.

مروان: أنا؟!

سلمى: نعم، وكم من مرة تمنيت أن تنزل صاعقة عليهم وعلى رئيسهم.

مروان: هس.. لا ترفعي صوتك. للحيطان آذان.

سلمى: (بهمس) وكم من مرة أفقت على صوتك وأنت تشتمهم وتلعن اليوم الذي حكموا فيه البلاد.

مروان: (بريبة) وأنا نائم؟!

سلمى: نعم.

مروان: هل يعقل أنهم..

سلمى: ماذا؟

مروان: هل يعقل أنهم دخلوا أحلامي؟!

سلمى: مستحيل.

مروان: لا يوجد المستحيل إلا في قاموس المجانين، هذا ما قاله نابليون، ولو كان مواطناً في هذا البلد؛ لقال: وهنا. في هذا البلد أيضاً.

سلمى: وهل نحن بلد مجانين؟

مروان: نعم، ومنافقين ووشاة وعملاء.

سلمى: أصبت، قد يكون سبب هذه الدعوة وشاية من أحدهم.

مروان: ممكن، ولم لا؟ ولكنني لا أتحدث عادة في السياسة أمام أحد، وخاصة سياسة النظام.

سلمى: كيف لا تتحدث عنهم وأنت تشتمهم حتى وأنت نائم؟

مروان: (بريبة) ولكنني لا أنام في مكان آخر سوى في هذا البيت، ولا مع أحد آخر سواك؟

سلمى: ماذا تعني؟

مروان: لا، لا شيء.

سلمى: إنك تشك فيَّ يا مروان؟

مروان: لا، ربما حدث الأمر مصادفة، مثلاً..

سلمى: إني أحبك يا مروان، ولا يمكن أن أفعل ذلك.

(ينظر إليها بريبة، تنظر إليه بتوجس، تمر لحظات)

مروان، ما بك؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟!

(يرتمي عند قدميها بتوسل)

مروان: قولي لهم إنني بريء، وأنك كذبت عليهم، وأن ما قلته عنّي ليس سوى اتهامات لأنني ضربتك، لا، لا، بل لأنني شتمتك، بل لأنني لا أقدم لك ما يكفي من مصروف.. قولي أيّ شيء، أيّ شيء، قولي إنني لم أعد أصلح كرجل وتريدين التخلص مني كي تتزوجي برجل آخر، فحل.

سلمى: ماذا تقول يا مجنون؟! هل جننت؟

مروان: لاشك أنك تجهلين ماذا يعني الدخول إلى هناك يا سلمى، هل سمعت بسجن غوانتانامو؟ إن هذا السجن المشهور ليس سوى حديقة إذا ما قورن بالسجون التي عندنا.

سلمى: اهدأ يا حبيبي، قد يكون الأمر تافهاً، أو حتى سوء تفاهم.

مروان: سوء تفاهم؟! ولكني سأدخل إلى هناك، وسأقابل المعلم.. والداخل إلى هناك مفقود.

سلمى: والخارج منه مولود..وأنت ستولد غداً من جديد.

مروان: حقاً؟

سلمى: نعم، يحدث هذا كثيراً.

(تضمه إلى صدرها وتهدهده كطفل، تتلاشى الإضاءة وتسود العتمة)

اهدأ يا حبيبي.. اهدأ..

(2)

(الصالون نفسه، سلمى تروح وتجيء في المكان وتنظر إلى ساعة الحائط، يرن الهاتف، تهرع إليه .. تتحدث. الوقت: نهار)

سلمى: ألو، نعم، أهلاً أستاذ خالد، لا لم يعد، لقد ذهب منذ نصف ساعة، من أخبرك، هو، لقد سمعته صباحاً يفعل ذلك.. أخبر الكثيرين من رفاقه.. أشكرك، حسن، سأفعل حين يعود.. شكراً.

(تضع السماعة، تسير في أرض الصالون، يرن جرس الهاتف، ترفع السماعة)

ألو، أهلاً أخي، نعم، لقد ذهب، والله لا أعرف السبب،

صفوان داحول

حسن، هو من أخبرك، نعم، لقد أخبر الكثيرين، شكراً لك..

(تعود إلى السير، وبعد قليل يرن الهاتف، ترفعه وترد بنفس الكلمات، يتكرر ذلك كثيرا. يرن جرس الباب، تفتح الباب فيدخل مروان)

لماذا عدتَ؟ لماذا لم تذهب يا رجل، سيغضبهم ذلك كثيراً.

(يؤدي حركة من ذهب وعاد)

ماذا؟ لم أفهم.

مروان: (بسرور) لقد ذهبت.

سلمى: ذهبت؟ إلى هناك؟!

مروان: نعم.

سلمى: الفرع؟

مروان: نعم.

سلمى: فرع أمن الدولة؟!

مروان: نعم.

سلمى: أبهذه السرعة؟!

مروان: نعم.

سلمى: كيف ذلك ولم يمض على ذهابك سوى ساعة واحدة.

مروان: ولم يمض على مكوثي هناك ربع ساعة.

سلمى: هذه مدة لا تكفي لارتشاف القهوة؟

مروان: أما هذه فلم يقدموها لي.

سلمى: لماذا استدعوك إذاً؟

مروان: كان مجرد سؤال، سؤال بخصوص حلم الأستاذ سعيد.

سلمى: ماذا؟! سؤال بخصوص الأستاذ حلم سعيد؟ هل هذه أحجية؟!

مروان: لا، لا. بل حقيقة، ألم أخبرك بما حدث للأستاذ سعيد؟

سلمى: لا، منذ زمن لم تعد تخبرني بشيء.

مروان: شاهد هذا المسكين حلماً تدخل فيه القوات الأجنبية إلى البلد وتسقط تمثال الرئيس على غرار ما حدث في البلد المجاور.. وفي الصباح، وحين جاء إلى الدوام، همس بما شاهده في الحلم في أذن أحد زملائه المدرسين. و"هيلا هوبا".. الخبر وصل طازجاً إلى الجماعة.

سلمى: هل تسخر مني يا رجل؟ لقد شاهدت هذا في مسلسل كوميدي.

مروان: وأنا أيضاً شاهدته. وضحكت كثيراً، ولكن ما حدث في المدرسة كان مثيراً للرعب والرثاء، فقد تم فصل الأستاذ سعيد من التدريس، وهو الآن رهن التحقيق، وأول الرقص حنجلة.

سلمى: وماذا قلت؟

مروان: (بحرج) ها؟ ماذا قلت؟ بصراحة..لم أقل شيئاً، وماذا سأقول؟ لم أكن حينها في الإدارة، هذا ما قلته.

سلمى: مسكين.

مروان: ومن هو المسكين؟ الأستاذ سعيد؟ هل تعلمين أنه أصبح مشهوراً، وأصبحت سيرته على كل لسان وشفة.

سلمى: حقاً؟

مروان: نعم.

(يرن جرس الهاتف. ينظران إليه)

سلمى: لم يكفّ الأصدقاء عن السؤال عنك.. ماذا سأقول لهم؟

مروان: لا شيء، مجرد سؤال ومع السلامة.

سلمى: وهل سنقول ذلك للناس؟

(يتبادلان النظرات بحيرة والجرس يرن)

سلمى: دع هذا الأمر لي. وسترى يا بطل.

مروان: بطل؟!

سلمى: (للهاتف) ألو، أهلاً أم خالد، نعم لقد عاد، ماذا؟ لا، لا، لم يمسوه بأذى، ولكن الله ستره، لا أعرف كيف عاد من هناك سالماً، لو تعلمين ماذا قال لهم لقلت إن الملائكة كانت معه.. ماذا قال؟ أوه.. بل قولي ما الذي لم يقله للمعلم، نعم للمعلم بالذات.. اسمعي يا سيدتي..

(يخفت صوتها، تتحدث بحماس والرجل ينظر إليها بدهشة مشوبة بالتوجس. تضع السماعة)

مروان: ما هذا الكلام يا امرأة؟! من أين جئت بكل هذا الكلام؟

سلمى: أنت من رواه لي.

مروان: أنا؟!

سلمى: لا تقل لا، وسترى كيف ستصبح سيرتك على كل شفة ولسان.

مروان: وماذا لو وصل الخبر إليهم؟

سلمى: لن يصل، سنقوله للمقربين فقط. خبر خاص بالأصدقاء.

مروان: إن كيدكن لعظيم.

(يرن جرس الهاتف. تهرع سلمى وترفع السماعة)

سلمى: ألو.. أهلاً سميرة..نعم عاد، نعم هو بخير، لقد كان الأمر خطيراً.. كيف؟ لو روى لك ما قاله للمعلم، نعم معلمهم، لفقدت عقلك، إنه رجل مغامر.. ماذا قال؟ بل قولي ما الذي لم يقله.. قال ما في داخل كل واحد منا، "بق البحصة". هكذا. اسمعي بعض ما قاله.

(يخفت صوتها وهو ينظر إليها باندهاش وغرور يزداد. يغادر الصالون. تضع السماعة.. وتتجه نحو المطبخ. يرن الهاتف مرة أخرى)

ألو..أهلاً أستاذ يوسف..نعم عاد، شكراً، ماذا، الآن.. أهلاً وسهلاً.. سنكون بانتظاركم... مع السلامة.

(تضع السماعة، بصوت عال)

مروان. جهز نفسك، الضيوف القادمون.

(تدخل المطبخ.. وتخفت الإضاءة شيئاً فشيئاً. تسمع خلالها لغطا وكلمات ترحيب وتوديع)

صوت: لقد أبليت هناك بلاء حسنا.

صوت: أحسنت، عظيم، موقف بطولي.

صوت **سلمى:** أهلاً وسهلاً.. أهلاً وسهلاً.. لا هذا واجب

صوت **مروان:** مع السلامة..أشكركم. مع السلامة..

(تخفت الأصوات المتداخلة شيئاً فشيئاً)

(3)

(المكان نفسه وقد توزّعت كؤوس الشاي الفارغة على الطاولة.. يجلسان بتهالك)

مروان: لقد كان يوماً متعباً.

سلمى: وممتعاً.

مروان: لأول مرة أحس بهذه النظرات، نظرات الإعجاب، يا الله ما أعذبها وألذها!

سلمى: ما رأيك في زوجتك؟

مروان: لقد حولتني اليوم إلى رجل عظيم.

سلمى: طبعاً، وراء كل رجل عظيم امرأة.

مروان: هل تظنين أنهم صدقوا كل ما قلناه؟

سلمى: لقد شاهدت ذلك في أعينهم.

مروان: أرجو ذلك، لقد تعبت من نظراتهم السابقة.

سلمى: نظراتهم السابقة؟! لم أفهم! فأنت مرب فاضل وأستاذ قدير.

مروان: (لنفسه. بسخرية وقهر) مُرَبٍّ فاضل وأستاذ قدير. مُرَبٍّ فاضل وأستاذ قدير..

سلمى: مروان.. مروان..

مروان: نعم.

سلمى: ما بك؟

مروان: (كمن تفاجأ) لا شي، لا شيء، كنت أفكّر، ألم نبالغ كثيراً يا سلمى؟ تخيّلي واحدا مثلي يقف أمام المعلم، بل أمام أيّ عنصر أمني عادي ويقول: إنكم يا سيدي طائفيون، وإنكم فرّقتم بين الناس على أسس طائفية وعرقية. وما كان عليكم كمُّ الأفواه بهذا الشكل ونهب البلاد والعباد..

سلمى: ألم تحلم أن تقولها يوماً؟

مروان: بلى.بلى والله، وكثيراً، كثيراً جداً.

سلمى: إنها حلم الجميع وليس حلمك وحدك.

مروان: (بسخرية مرّة) بل وصل بي الأمر إلى رفض تناول القهوة معه (يضحك. بسخرية) قهوتك لا تُشرب يا معلم.

(يغني منتشياً) يا شيخ في بعباءتك نار: نار. يا شيخ أنت جحش أم حمار: حمار.

(يضحكان. يرن جرس الهاتف) ومن سيكون هذا الفضولي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ جحش ولا حمار؟ (يضحك)

سلمى: (وهي تنهض وترفع السماعة) ألو.. أهلاً وسهلاً.. مساء النور.. من.. عفواً.. ولكنه اليوم كان حاضر.. أمرك.. غداً الساعة التاسعة صباحاً، حاضر يا سيدي. حاضر.

(تضع السماعة وهي في حالة ذهول، ينظر إليها مروان في حالة توجس وفضول)

مروان: من؟

(تجلس سلمى على الكرسي بتهالك وخوف) من كان المتحدث؟

سلمى: هم.

مروان: من؟ (بهلع) هم.

سلمى: نعم.

مروان: هل تقصدين؟

سلمى: نعم.

مروان: ماذا كانوا يريدون؟

سلمى: غداً صباحاً، الساعة التاسعة.

مروان: لماذا؟ ألم أكن اليوم هناك؟

سلمى: قلت له ذلك، فرد بعصبية ولم يسمح لي..

مروان: (بهلع) بعصبية؟! كيف؟

سلمى: بعصبية.. بعصبية يا مروان.

مروان: أعرف يا سلمى، ولكن ما نوع هذه العصبية؟ ما طبيعتها؟

سلمى: لست أدري، ولكن كان صوته غير طبيعي.

مروان: هل قالها بغضب.

سلمى: (بحيرة) لا، نعم.. لا أعرف. كنت مضطربة ولم أستطع التركيز.

مروان: (يقلدها بسخرية وحنق) كنتُ مضطربة ولم أستطع التركيز. لو كانت المتحدثة واحدة منهن، من تلك الثرثارات لاستطعت التركيز، أنت هكذا دائماً، لا فائدة ترجى منك.

(بتفجع) لقد خرب بيتك يا مروان (يغني بقهر وسخرية مرة) يا مروان في بداخلك نار.. نار. يا مروان أنت جحش وإلا حمار.. طبعاً حمار.

سلمى: اهدأ قليلاً.

مروان: أنت السبب.أنت من ورطني.

سلمى: أنا؟ ولماذا أنا؟

مروان: أنت بطل، زوجي بطل، والبطل قال للمعلم كذا وكذا، قال لهم: أنتم خربتم البلد، أنتم ورئيسكم حثالة.. أنتم .. وأنتم.. وكل ذلك كي يقال عنها: زوجة البطل؟

سلمى: ولكنك وافقت..

مروان: لأنني حمار.

سلمى: اهدأ يا مروان.

مروان: لا تقولي لي اهدأ، لا أريد سماع هذه الكلمة.

سلمى: ولكن..

مروان: بلا لكن.. مفهوم أم غير مفهوم؟

سلمى: مفهوم. حاضر. أمرك. سأصمت ولن أتكلم. (يروح ويجيء وهو يحدث نفسه)

مروان: أنا حمار، حمار حقيقي، لا أحتاج إلا إلى أن أنهق. ليتني نهقت أمام الضيوف ولم أتفوه بكلمة واحدة من تلك العنتريات، ولكنني حمار، حمار حقيقي. (يتلمس أسفل

ظهره) ربما كنت كذلك وأنا لا أدري، انظري يا امرأة، هل تجدين ذنباً في أسفل ظهري؟

سلمى: اهدأ يا رجل..(تستدرك) أقصد: الوقت يمر بسرعة ويجب أن نجدَ حلاً، هذه العصبية لا تنفع. دعنا نفكر قليلاً.

مروان: نفكر؟! هذه آخر طرفة. هؤلاء يا سيدتي لا ينفع معهم التفكير، وهذا الذي فوق الأكتاف يزعجهم إذن كثيراً، ويقيناً لو استطاعوا أن يستبدلوا رأس كل مواطن برأس حمار لفعلوا، برأس بغل لفعلوا.. بحذاء عتيق لفعلوا.

سلمى: جاءتني فكرة.

مروان: عدنا إلى ما لا ينفع.

سلمى: ما رأيك أن نتحدث الآن مع أم علي وسميرة وشيرين والأستاذ خالد والأستاذ يوسف والمستخدم...

مروان: (بنفاد صبر) قصدك كل من زارنا اليوم ومن تحدث إلينا بالهاتف.

سلمى: تماماً.

مروان: لماذا؟ وماذا سنقول لهم؟ أيها السادة الكرام، لقد كان كل حديثنا كذباً؛ مزاحاً؟

سلمى: نعم، كان مزاحاً، مجرد مزاح. هذا ما سنقوله لهم.

مروان: مخابرات ومزاح؟! هل أنت مجنونة يا امرأة؟ أقول لها مخابرات، فتقول لي مزاح.

سلمى: هي محاولة يا رجل.

مروان: حتى لو صدَّقنا هؤلاء، رفيقاتك الثرثارات والأستاذ خالد وكذلك الأستاذ يوسف وكل من زارنا، فلن يصدقونا هناك. في الفرع، وهل تعرفين بماذا سيردّون؟ بالمزاح طبعاً، مزاح بمزاح، وهل تعرفين ما هو مزاحهم؟ لن يدغدغوني، لأن ابن الفلاح لا يُدغدغ، بل سيضعونني على بساط الريح، مثل علي بابا وسندباد. ومن ثمّة يقتلعون لساني كي لا أصرخ مثل ياسمينة من شدة الخوف وأصيح سلمى.. سلمى.

سلمى: أنت تخيفني يا مروان.

مروان: أنا من يجب أن يخاف يا زوجة البطل، البطل الحمار، أو الحمار البطل.

سلمى: (تبكي) أنا آسفة يا حبيبي، آسفة جداً..

(تمر لحظات وهو يفكر)

مروان: (فجأة) ما رأيك أن نقول لهم إن أمّ علي هي من تحدثت قالت عنكم كذا وكذا وكذا؟ فكرة معقولة أليس كذلك؟

سلمى: ولماذا أمّ علي بالذات؟!

مروان: أقول مثلاً: فلتكن سميرة أو شيرين.

سلمى: ولماذا يجب أن تكون واحدة من صديقاتي، لماذا لا يكون المستخدم مثلاً؟

مروان: (بسخرية) المستخدم؟! هل أنت مجنونة؟! إلا المستخدم، قولي لهم إن رئيس فرع الأمن الجوي هو من قال ذلك، أو رئيس فرع الأمن العسكري، أو رئيس فرع أمن الدولة.. أو رئيس فرع الأمن الجنائي.. من تريدين أن أذكر؟ قولي من شئت إلا المستخدم، لأن كل المستخدمين في المدارس عملاء لهم، ولذلك تجدين المدرسين والمعلمين والطلاب وحتى المدراء يهابون هذا الكائن المريب.

سلمى: طيب، والحل؟

مروان: يجب أن نحدد الشخص المتهم.

سلمى: (بشفقة) ولكن هذا ظلم.

مروان: وهل تريدين أن أركب أنا بساط الريح؟

سلمى: طبعاً لا، ولكن الذنب ذنبنا.

مروان: وهل تظنين أن كل من في السجن مذنب؟ كم من سجين مضى على اعتقاله سنوات وسنوات وهو بريء.

سلمى: وأولادهم، ونسائهم؟

مروان: ليس هذا هو المهم، المهم الذي يشغل بالي الآن هو: مَن مِن هؤلاء بلا ارتباط معهم.

سلمى: ماذا تعني؟

مروان: مادام حديثنا قد وصل إليهم فهذا يعني أن واحداً منهم أو أكثر يعمل جاسوساً لصالحهم. ولا يصلح أن نتهم شخصاً قد يكون عميلاً لديهم أو جاسوساً.

سلمى: وبمن تشك؟

مروان: (يفكر) الأستاذ خالد.. منذ زمن وأنا أشك في هذا الرجل، فتصرفاته في المدرسة لا تعجبني.. إذ أن غيابه المتكرر وتأخيره عن الدوام كل يوم لا تجد أدنى اعتراض من قبل المدير.

سلمى: والطلاب؟!

مروان: الأستاذ يوسف. هذا الرجل أيضاً أمره مريب، إذ يكاد لا ينقطع عن زيارة غرفة المستخدمين في كل فرصة، بل حتى أثناء الحصة الدراسية، وكم من مرة دخلت إلى الغرفة فوجدتهما هو والمستخدم يتهامسان. وما أن يقع بصرهما عليّ حتى يصمتان أو يبدآن بحديث آخر.

سلمى: مساكين الطلاب.

مروان: بصراحة، ليس لدينا سوى رفيقاتك، هم نساء ولا

صفوان داحول

علاقة لهن بالأمن وفروعه.

سلمى: إنك واهم.

مروان: حتى هنَّ؟!

سلمى: كل شيء جائز.

مروان: أصبت، ولم لا؟ أقسم أنني بتّ أشك حتى في الرضيع والشيخ الكبير، أولاد الحرام لم يتركوا أحداً إلا وجندوه في هذا الطابور، لم يبق لي سوى أن أشك في أمي. ولكن قلبي يقول لي: كل الأمهات جاسوسات إلا أمي.

سلمى: اهدأ يا رجل، فقد تكون الدعوة هذه المرة مثل سابقتها؛ يعني السؤال عن الأستاذ سعيد مرة أخرى.

مروان: لا، هذه المرة الدعوة خاصة بي أنا، حفلة على الخازوق، وبلا قهوة.

سلمى: أنت تبالغ كثيراً، في المرة السابقة أيضاً بالغت كثيراً وانتهت بسلامة.

مروان: في المرة السابقة كان الأمر مختلفاً، لم أكن في المرة السابقة بطلاً تحدث مع المعلم عن جرائم النظام وحكمه المستبد وتصرفات عناصر الأمن الذين لم يتركوا جعبة مواطن مملوءة إلا وأفرغوها ولا ابنة فقير بكراً إلا..

سلمى: (ترفع يدها للسماء بتضرع) يا رب، أنقذنا من هذه الورطة يا رب، يا رب ليس لنا أحد سواك يا رب.

مروان: ليس لدى السماء قوات للتدخل السريع، وخاصة للأبطال من أمثالي.

سلمى : الوقت يمر بسرعة، لقد بلغت الثانية.

مروان: حتى الساعة تسير بسرعة حين أتمنى أن يقف الزمن. كل شيء يسير ضدي.

سلمى: ما رأيك في الهرب؟

مروان: الهرب؟

سلمى: نعم. نحمل معنا بعض الحاجيات الضرورية جداً ونتسلل من البيت قبل أن يطلع الصبح

مروان: معقول. ولكن..

سلمى: بلا لكن..الوقت يمر بسرعة.

(يتأمل الساعة الجدارية وهي تتجاوز الثانية بعد منتصف الليل. يتبادل مع زوجه نظرات الحيرة)

مروان: وإلى أين سنذهب في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

سلمى: إلى أيّ مكان، المهم أن نغادر البيت، سنذهب إلى بيت أمّ علي.

مروان: (بانفعال) لا، إلا بيت هذه المرأة.

سلمى: (بارتباك) لماذا؟ هل تشك فيها؟ أقصد..

مروان: نعم، لا، ابحثي عن بيت واحدة أخرى، وحتى بيت شيرين أو بيت سميرة.

سلمى: كما تشاء، ليكن بيت أهلي.

مروان: لا بأس.

سلمى: وسنتجه من هناك إلى أيّ قرية، أو نجتاز الحدود إلى البلد المجاور.

(يتجه مروان نحو النافذة، يرفع الستارة وينظر إلى الخارج، ثم يتراجع بخوف)

ما بك؟ ماذا هناك؟

(يشير لها أن تنظر خلسة من خلال النافذة، تتقدم بحذر وتنظر) لا أشاهد شيئا.

مروان: (بهمس) انظري جيداً، ثمة شخص غريب يقف في زاوية الشارع، هناك، قرب دكان العم خليل (تنظر مرة أخرى. تنسحب) هل شاهدته؟

سلمى: نعم، إنه يترنح، لا بدّ أنه سكير.

مروان: (بعصبية) لا أحد سكير سواك.. هؤلاء ممثلون بارعون. ولا بدّ أنه انتبه إلى حركاتنا فراح يمثل دور السكير.

سلمى: إنك تبالغ.

مروان: إني واثق.

(يعاود النظر خلسة من خلال النافذة)

سلمى: مروان.

مروان: نعم.

سلمى: أنا آسفة.

مروان: آسفة؟! (بريبة) لماذا؟

سلمى: أنا السبب.

مروان: أنت؟!

سلمى: لا، لا. لقد شطح خيالك كثيراً.

مروان: ولماذا الأسف إذن؟

سلمى: ما فعلته اليوم لم يكن سوى بدافع الحب.

مروان: (بسخرية وقهر) ومن الحب ما قتل.

سلمى: أقسم أنني سأقتل نفسي لو حدث لك شيئاً.

مروان: لا حاجة لذلك يا حبيبتي.

سلمى: كيف لا حاجة يا حبيبي؟ حين يحدث لك شيء، لا قدّر الله، فلن أسامح نفسي، وسأقتل نفسي مباشرة، لا يمكن لي أن أتخيل حياتي بمعزل عنك.

مروان: لو حدث وأثبتوا عليّ كلّ تلك الخزعبلات التي تفوهنا بها، حينها لن يقتلوني أنا وحدي.

سلمى: (بخوف) ماذا تقصد؟

مروان: نحن زوجان، وذنبنا واحد.

سلمى: (بهلع) وهل أنا من وجه النقد القاسي للنظام وجرائمه. ورفض شرب القهوة مع المعلم؟

مروان: وهل تريدين أن أتحمل أنا وحدي المسؤولية كلّها؟ نحن شريكان في السراء والضراء.

سلمى: ولكن هذا لا يجوز. هذا ليس عدلاً.

مروان: ليس عدلاً (يضحك بسخرية)

سلمى: كفى.. كفّ عن السخرية يا مروان.

مروان: حاضر.

سلمى: لن أتحمل التعذيب، أقسم أنني سأنهار من أول صفعة.

مروان: صفعة؟! (بسخرية) إنهم لا يصفعون النساء هناك يا حبيبتي.

سلمى: حقاً؟ وماذا يفعلون؟

مروان: ماذا يفعلون؟ لا شيء، لا شيء أبداً، إنهم يكتفون بجر شعور النسوة وشتمهن.

سلمى: كفّ عن سخريتك يا رجل.

(تنظر إلى الساعة التي تشير إلى الثالثة).

مروان: الوقت يمر، لم يبق لنا سوى المواجهة.

سلمى: المواجهة؟! مع من؟

مروان: مع إسرائيل، طبعاً معهم.

سلمى: لم أفهم شيئاً.

مروان: أنت والفهم خطان متوازيان لا يلتقيان.

سلمى: هكذا إذاً، حسن، أنا لم أفهم شيئاً ولا أريد أن أفهم شيئاً. ما أريده فقط هو أن أخلد للنوم

مروان: هل جننت؟!

سلمى: تعلم جيداً أنني ضعيفة وقليلة الحيلة أمام سلطان النوم.

مروان: وسلطان الأمن؟

سلمى: أكاد أسقط على الأرض من شدة النعاس.

مروان: هيا إلى اللعبة التي بدأنا بها.

سلمى: أيّ لعبة؟

مروان: اللعبة التي بدأنا بها سوية ويجب أن ننهيها سوية.

سلمى: أيّ لعبة؟

مروان: الأمر يحتاج إلى تدريب.

(تتثاءب، يطفئ مروان الإضاءة) كفّي عن التثاؤب. كفّي عن فتح فمك هكذا.

سلمى: حاضر. مرة أقفلي فمك اصمتي يا سلوى ومرة افتحي فمك وتكلمي..

مروان: (بعنف) كفى.

(5)

(تكشف الإضاءة الشاحبة عن سلمى وقد جلست خلف طاولة تتوسط الصالون بوجه حاد القسمات، بينما يقف مروان أمامها بذلّ وانكسار. تمر لحظات صمت قصيرة)

سلمى: (بصرامة المحقق) هيا اعترف.

مروان: بماذا اعترف يا سيدي؟

سلمى: بكل شيء، كل شيء قلته لضيوفك.

مروان: وماذا قلت يا سيدي؟

سلمى: (بعصبية) أنا من يسأل هنا يا مروان وأنت تجيب.

مروان: حاضر يا سيدي، ولكن أياً من الضيوف يا سيدي، لقد زارنا البارحة كثير من الضيوف؟

سلمى: الجميع: الأستاذ خالد والمستخدم والأستاذ يوسف.. الجميع.

مروان: لم نقل شيئاً، كنا نمزح يا سيدي.

سلمى: تمزح؟ تمزح بالحديث عن الدولة يا مروان؟ تشتم الدولة وتقول عنها إنها ظالمة وعناصر الأمن أولاد سفاح وتسمي هذا مزاح؟

مروان: أنا لم أقل ذلك يا سيدي. أقسم أنني لم أقل ذلك.

سلمى: كذاب. أنا سمعتك تقول ذلك.

مروان: أنت؟!

سلمى: أقصد الضيوف، كلّهم اعترفوا بأنك قلت ذلك.

مروان: كلهم؟!

سلمى: نعم.

مروان: كذب يا سيدي. كنّا، كنّا نمزح ونقول: إن دولتنا رغم ما يقال عنها بأنها ظالمة ورئيسها طاغية وأهله وحاشيته نهبوا البلد، فإنها تسامح الجميع، وسخرنا ممن يقول ذلك عن دولتنا ورئيسنا حفظه الله، لعنة الله عليهم جميعاً، ناكرو جميل، خونة. تفو عليهم.

سلمى: كفى.

مروان: حاضر، أمرك.

سلمى: ومن قال ذلك في الجلسة؟ أقصد ما قلته الآن من حديث سيئ عن الأمن والسيد الرئيس..

مروان: حفظه الله..

سلمى: اصمت.

مروان: أمرك يا سيدي.

سلمى: تكلم ، من تحدث بهذا السوء عنا، أقصد عن الأمن وسيادته وأهله.

مروان: حماهم الله.

(تنظر إليه سلمى بحنق، يستدرك، بتلعثم) الضيوف، نعم يا سيدي، الضيوف.

سلمى: مَن مِن الضيوف؟

مروان: كلّهم.

سلمى: كلّهم؟!

مروان: لا، ليس كلّهم، بصراحة، كلّهنَّ، أعني: النساء منهم، أنت تعرف النساء يا سيدي، إنهن ثرثارات. ناقصات عقل ودين، يعني بنصف عقل. ولذلك..

سلمى: اصمت. أنت تريد أن تلقي التهمة على النساء يا مروان.

مروان: لا يا سيدي. ولكن ألم تطلب مني قول الحقيقة؟ والحقيقة أنهنَّ..

سلمى: إنهن ناقصات عقل، أليس كذلك؟ الرجل فهمان دائماً والمرأة غبية؟ أليس هذا ما تريد أن تقوله؟

مروان: إنها الحقيقة يا سيدي.

سلمى: الحقيقة؟ وهل ناقصات العقل هنّ من أشعل كل هذه الحروب؟

مروان: طبعاً هنَّ، لأنهنَّ السبب يا سيدي. ألم يقال: ابحث عن المرأة؟

سلمى: عذر أقبح من ذنب، مرة المرأة هي السبب فيما تقترفون من جرائم وويلات، ومرة الشيطان هو الذي أغواكم، ومرة.. وكل ذلك كي تقولوا نحن: ملائكة.

مروان: (بضيق) أوه، هذا ليس تحقيقاً، إنها ثرثرة نسوة في جلسة أمام باب الدار.

سلمى: ولماذا لا تكون ثرثرة رجال في المقهى.

(يشعل مروان النور، ينظر إلى الساعة، بهلع) يا إلهي، الساعة تقترب من الرابعة وأنت تثرثرين بكلام لا علاقة له موضوعنا.

سلمى: سأذهب إلى النوم وليحدث غداً ما يحدث.

(يقبض على يدها) دعني.

مروان: يجب أن نكمل ما بدأنا به.

سلمى: اتهام النساء؟

مروان: بل التحقيق، يجب وإلا.. لا تنسي ما سيفعله سلطان القوم.

سلمى: حسن، إذا كررت أقوالك فسأذهب إلى فراش النوم.

مروان: حاضر.

سلمى: ادعْ ربك ألا يغلبني النوم، حينها سأبدأ بالهلوسة، وسأصبح كمن تناول جرعة مخدرات.

مروان: تماسكي، من الضروري أن تكوني بكامل وعيك.

(يطفئ النور. تمر لحظات صمت وسط الظلمة) هل أنت جاهزة؟

سلمى: نعم.

(يضاء نور شحيح. مروان جالس بوجه صارم خلف الطاولة، وتقف سلمى خلفها بذل ومسكنة)

مروان: اعترفي.

سلمى: بماذا سأعترف يا سيدي؟ فأنا لم أفعل شيئاً.

مروان: (بعصبية) هل عدنا إلى الكذب؟

سلمى: وماذا أقول؟

مروان: الحقيقة.

سلمى : أيّ حقيقة يا سيدي؟

مروان: حقيقة ما وصلنا من أخبار.

سلمى: (تتثاءب) وماذا وصلكم؟

مروان: قولكم إننا مجرمون.. وإننا سرقنا البلد، وإن الرئيس طاغية ومستبد، وإن عناصر الأمن لم تترك لا مال غني ولا شرف فقير إلا واعتدوا عليه.

سلمى: (لا ترد)..

مروان: لماذا لا تردي؟

سلمى: (تتثاءب. بتكاسل) الله أعلم يا سيدي.

مروان: ما هذا الكلام أيها المتهم؟!

سلمى: وماذا أقول يا سيدي؟

مروان: هل هذا الكلام صحيح أم غير صحيح؟

سلمى: نعم.

مروان: نعم؟! ماذا تقصدين بردك:نعم؟ هل تقصدين بها: صحيح؟

سلمى: نعم.

(تمر لحظات من الصمت والترقب)

مروان: لماذا صمتِ؟

سلمى: (بتكاسل) امنحني فرصة لأغفو فيها دقائق ثم..

مروان: لا. ليس قبل أن تعترفي.

سلمى: اعترف؟ (تمر لحظة صمت)

مروان: هيا.

سلمى : حاضر. حين وافقت أن أكون واحدة ممن يعملن في خدمتكم.

مروان: (بذهول) ماذا؟!

سلمى: لم يكن راتب زوجي يكفي لسد نفقات أبسط الاحتياجات، أجار البيت وفواتير الكهرباء والماء والهاتف والهدايا.

مروان: سلمى!!

مروان: فلان تزوج فاشتري له هدية يا مروان. وفلانة أنجبت فاشتري هدية للمولود يا سلمى، وعلتان مريض في المستشفى فالواجب يقتضي زيارته وحمل هدية إليه .. هذا عدا اللباس والطعام والمرض وو..

مروان: كفى يا سلمى.

سلمى: ومروان المسكين عليه أن يؤمن كل ذلك، بل يدفع لوالده العجوز بعض المصاريف وإلا ستقوم قيامته ويعدونه ولداً عاقاً أو ذَنَب زوجته. حينها، وكأنكم في بيتنا، تعيشون معنا، لا أعرف كيف تسللتم عبر جارتنا القوادة أم علي، الست المطلقة صباح. التي كن نحن نساء الحي ننفر منها كحيوان أجرب.

(ينهض مروان ويتجول في المكان كالتائه)

البداية كانت بنقل قطعة مخدرات إلى بيت في الحي المجاور لحينا، ثم قطعتان.. وراحت جيوبي تمتلئ بالنقود.. وأخذت أرتدي أفخر الثياب، وأمنح أهلي الهدايا، وأقيم الولائم، وكل ذلك دون أن آخذ من زوجي ليرة واحدة..

مروان: (بقهر) كفى يا سلمى.. كفى.

سلمى: وزيارة بيت الست صباح لم يكن الخروج منه مثل الدخول إليه، لقد كنتم هناك، وراحت أياديكم تعبث بجسدي..

مروان: (يبكي) ..

سلمى: ومروان، مروان المسكين كان غافلاً عن كل ما يجري معي، وحين كان يسألني من أين لك هذا الفستان؟ هذا الحذاء؟ هذا العطر؟ كنت أقول له: أمي أعطتني..

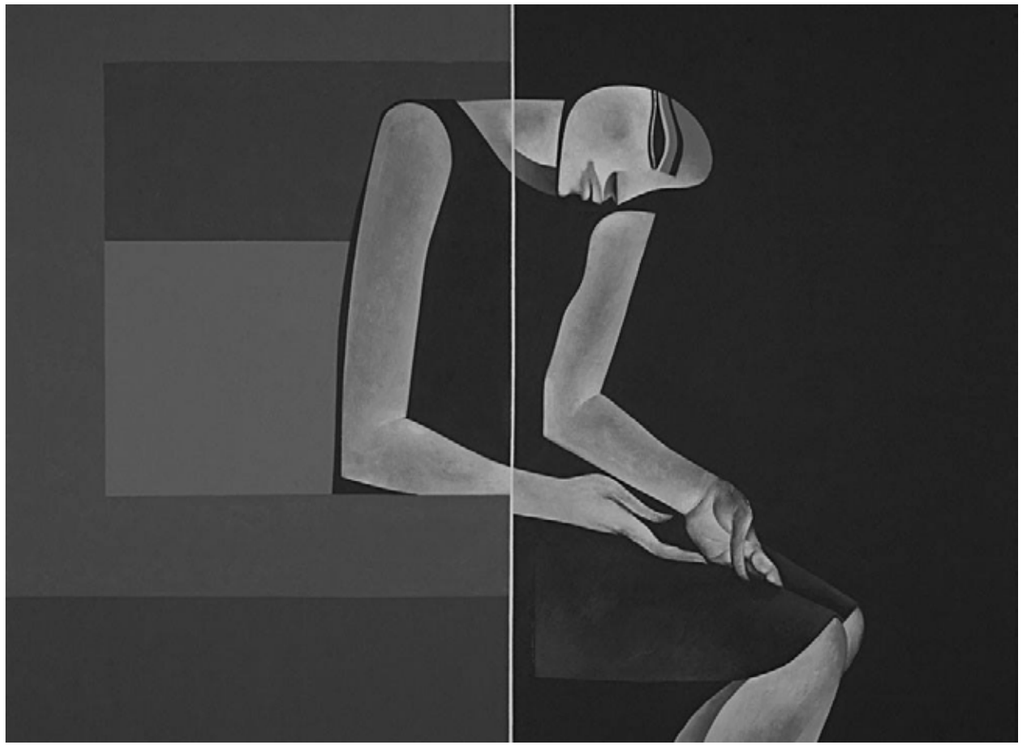

صفوان داحول

أبي أرسل لي..أختي، صديقتي، أخي.. وكنت أكذب وهو يصدق. أكذب وهو يصدق، أكذب وهو يهز رأسه بحزن ويصدق.

مروان: (وهو شبه منهار) لا، لم أكن أصدق.. لم أكن أصدق يا سلمى، لست حماراً كي لا أنتبه إلى كل هذا التغيير الذي بدأ يطرأ على حياتنا وفي بيتي، إلى كل نظرات التحقير في عيون الناس: الجيران والأصدقاء والزملاء وحتى الطلاب..

سلمى: وبدأت كثير من نساء الحي يسقطن، سميرة ومن ثم بشرى.. وأخريات وأخريات.(تصمت)

مروان: وأخريات، وأخريات، الآنسة الفلانية أصبحت مديرة.. كيف؟ لماذا؟ (يهمس) لأنها، اللهم أستر على أعراضنا، وفلانة لا تحمل سوى شهادة فنون نسوية.. لقد أصبحت مديرة.. كيف؟ لماذا؟ وفلانة أصبحت، وفلانة وفلانة.. شبكات تعريص هنا، وشبكة قمار هناك، والإدارة واحدة: الأمن. الأمن. (بعصبية تزداد) الأمن العسكري. الأمن الجوي. الأمن الجنائي. أمن الدولة. الأمن. الأمن. الأمن. الأمن...

(يسمع شخير خفيف، ينهض. يطوق رقبتها بيديه، يضغط عليها بعنف وقوة، وهو يصيح بهستيرية)

نامي، نامي إلى الأبد..فنوم الفاسق فضيلة.. نامي إلى الأبد.. نامي.. نامي أيتها الفاسقة.

(يضغط على رقبتها، تقاوم قليلاً، ثم تهمد على الكرسي جثة. يجلس تحت أقدام الكرسي. يبكي)

وأنا، من سيجعلني أنام.. من.. من.. من..؟

(ينشج بحزن بينما عقارب الساعة تتحرك بسرعة لتشير إلى الساعة التاسعة، فيرن جرس الهاتف، ويلحُّ في الرنين، فيزداد بكاء مروان، ثم يتكرر الرنين كلما أشارت العقارب إلى ساعة أخرى: العاشرة.. الحادية عشرة.. الثانية عشرة.. الواحدة، الثانية.. ومروان ينشج بحرقة حتى تصل إلى الثالثة فيكفُّ الهاتف عن الرنين، ويكفُّ مروان عن البكاء).

النهاية

كاتب من سوريا يقيم في ألمانيا

ذئب البوادي

النسخة السورية

حازم كمال الدين

شخصيات المسرحية

ذئب البوادي: بطل من العصور الغابرة والمعاصرة

الراعي: صديقه، ووسيطه

الجنية: ابنة شيخ الجان

موسيقي: آخر شخصية في امبراطورية الجن

شيخ الجان: والد الجنية.

شيهانة: أنثى الصقر وابنة ذئب البوادي

التنين:

الزمان

تراتب لا منطقي بين العصور الغابرة والمعاصرة.

الفضاء

افترضْ أنك تخرج من بيتك فإذا بك وجها لوجه أمام بادية الشام. لا طرقات مبلطة. لا أعمدة كهرباء. لا جيران. وحين تتحرك لا تقودك الحركة إلا إلى غور الفلاة.

وكلما أوغلت فيها يبدو لك لونها وكأنه يقترب من غروب لازوردي. ثمة بقع تصبح مشروع ملاذ مثل السراب. هنا وهناك تنبت (نقاط؟) في البادية. سراب داكنٌ أم شيء آخر؟ ومثلما يلتمّ الندى على بعضه ترى أن النقاط أخذت هيئة آدمية. حفناتٌ صغيرة من البشر تغذّ السير في ذات الاتجاه الذي تتجه أنت نحوه، وكأن ثمة موعد ما. أنت تتابع تلك المجاميع الصغيرة فتراها تختفي في شيء شبيه بواحة نائية. أنت تغذ السير نحو الواحة المفترضة. يبزغ طريق وكأنه طريق قروي ولكنه زقاق صحراوي. يكبر الزقاق ليس عبر العرض ولكن عبر الارتفاع. شيئا فشيئا تبزغ من تحت الأرض نبتات سرعان ما تصبح بيارغ ملونة. مشاعل. بخور. إيقاعات طبول. أزقة صغيرة تتشعب. في رأس كل زقاق شخص أو تمثال يقدم لك شاي نعناع أو ماء ورد أو شمعة يشعلها آخر وأنت تجتاز الزقاق إلى زقاق آخر. حيطان الأزقة ليست من الآجر ولا من الإسمنت. إنها عباءات طويلة غامقة الألوان. بعد أن تجتاز كل تلك الأزقة تنفرج أمامك بوابة نحيلة فتدخل فيما يشبه بيت القصب أو بيت الشعر.

ممثلة تجلس مثل وصيفة في عصر عباسي عند الباب، تقدم الشاي بالنعناع. بخور وأصوات موسيقى من بعيد. لا ضوء سوى التمايل المغناج لضوء الشموع. الشاي حار في اليد والجو دافئ عكس ما كان عليه قبل الدخول، أي في الخارج. الصمت يسبغ إحساسا من الغرائبية على المكان الذي بدت أرضه الصحراوية اللامعة شبيهة بسراب يكاد يحضر ولكنه لا يجرؤ. يبدو دخول الناس وكأنهم يتقاطرون مستسلمين لواحة الصمت وعبق البخور وجلال ذلك الجالس في الصدارة من دونما حراك.

1

الشخصيات تبدو وكأنها تماثيل. تماثيل حية! موسيقى وغناء. بعد فترة يتحرر الراعي من هيئة التمثال. طوال المسرحية، ستنطلق الشخصية من هيئة التمثال ثمّ تعود إلى نفس الحالة.

الراعي:

بسم الله الرحمن الرحيم!

السفر الأول.... امرأة منتصف الليل.

الرجل الجالس في صدر المجلس:

إي!

كان الوقت غروبا، حين أكملتُ الاستعدادات للبدء بالمهّمة. في صندوق سيارتي الرانج روفر كدّستُ مؤونة أربعين

بهرام حاجو

يوما، وعتادا، ووضعتُ إلى جانبي بندقيتي، ومسدسي، وسيفي الدمشقي!

أخفيتُ تحت المقعد التعاليم السرية التي استلمتها من صديقي الراعي بعد أن ودّعته، وتوغّلتُ في بادية الشام بحماسة كبيرة.

بعد أربعة أيام، عند منتصف الليل، ظهرت أنثى غريبة الجمال، يلتمع في يدها اليمنى خاتم دمشقي يخطف الألباب.

(موسيقى)

المرأة:

السلام عليكم.

(الرجل منعقد اللسان)

من أنت؟

(الرجل ينظر لها منعقد اللسان)

المرأة:

ما اسمك؟

الرجل:

ذئب البوادي!

المرأة:

ذئب البوادي! يا له من اسم!

....

ومن أين أنت يا ذيب؟

(صمت. ينظر ذئب البوادي كالمأخوذ)

أعني قبيلتك.. أين تعيش؟

ذئب البوادي:

في الجرود!

....

وقبيلتك؟

المرأة:

قبيلتي تعيش في حلب.

....

ذئب البوادي:

إلى أين أنت ذاهبة؟

المرأة:

إلى تدمر.

ذئب البوادي:

لوحدك؟!

المرأة:

أبي سيلتحق.

ذئب البوادي:

إلى تدمر.... و.. مشياً على الأقدام؟!

المرأة:

كنت أمتطي دابّة، لكن ساقها انكسر فنفقت.

ذئب البوادي:

كنت تمتطين دابّة؟!!

أنا أيضا ذاهب إلى تدمر!

اصعدي!

سآخذك في طريقي.

(نسمع صوت سيارة مغادرة. المرأة لا تتحرك).

انطلقنا إلى تدمر.

بعد ساعات عدّة طلبت مني أن نتوقف قليلا، فعرّجتُ على قرية متروكة.
داخل القرية كان ثمة كهف.
بحذر رحت أستطلع محيط الكهف لكي أتأكد من سلامة المكان.
وعندما انتهيت من الجولة كانت قد دخلت الكهف، وأعدّتْ فراشا، وأشعلت نارا، وخبزت خبزا، وبَسَطتْ وشاحها بالقرب من النار ووضعت عليه عسلا وبيضا!
....
تسحرّتْ واستلقيتُ، فجاءت واستلقتْ بقربي،... لكنّني وضعتُ البندقية بيننا.
بعد فترة قرّرتُ استئناف الطريق، فالوقت يمضي وعليّ أن أواصل مهمتي.
بيد أنها كانت مستغرقة في النوم.
....
قبل بزوغ الفجر استيقظتُ.
ذهبتُ إلى صخرة في عمق الكهف، ونظرتُ ثم نظرتُ ثم نظرتُ ثم نظرتُ، ثمّ أزاحتها وسحبتني إلى ما تحت الأرض.
(موسيقى احتفالية. يتحرك ذئب البوادي حركات عنيفة. المرأة باقية في وضعية التمثال!)

المرأة:

أنا جنيّة أعيش تحت الأرض، وأبي هو شيخ الجان.
ستمكث معي أربعين سنة.
(يتحرك ذئب البوادي بعنف)
إذا رغبت أن تكون لوحدك، قل "بسم الله الرحمن الرحيم!" وسأختفي.
....

ذئب البوادي:

فكّرتُ:
لكي أهرب من تحت الأرض عليّ أن أسرق خاتمها السحري!
وبانتظار الفرصة المواتية يجب أن أواظب على ترديد "بسم الله الرحمن الرحيم!".
وهكذا:
إذا أردت أن أستحم أو أقضي حاجتي ردّدتُ "بسم الله الرحمن الرحيم!".
لكنني نسيت ذات يوم أن أقول "بسم الله الرحمن الرحيم" فإذا بها تهجم عليّ.
(تغيير مشهدي)

الجنية:

من الآن فصاعدا ستقاسمني الفراش، وإلا ستموت.

ذئب البوادي:

يا سيدتي!
أنا.
....
أنا سعيد بضيافتك تحت الأرض، بيد أنّي أستميحك العذر، لأنّي لن أقتسم فراشك الناري.
يجب أن أصعد إلى ما فوق الأرض!
المهمة التي على عاتقي لا تقبل التأخير أكثر.

الجنية:

هراء.
....

ذئب البوادي:

وواقعتني!
ثم أخفتني في جرّة.
....
وهكذا مرّت الأيام، ومرت الشهور والدهور حتى أصبحنا نعيش كزوجين ولكن في الخفاء.
ذات يوم طلبت منها أن تطلق سراحي من الجرّة وأن نتزوج في العلن، إلا أنها رفضت وقالت إنّ الجن لا يجوز أن يعرفوا أنها متيمة بغرام أنسي.
لكنني حين كدتُ أنجح ذات يوم في الهروب إلى ما فوق الأرض، أمسكتْ بي وذهبت إلى أبيها شيخ الجان وفعلت عكس ما قالتْ!
(تغيير مشهدي)

الجنية:

أقدّم لك حبيبي يا أبي.
لقد قرّرتُ الزواج منه!

شيخ الجان:

إلى أي عشيرة من الجن ينتسب هذا؟

الجنية:

إنه.. إنه.. ليس بجني....

شيخ الجان:

ماذا؟

الجنية:

إنه إنسي.

(يحدّق بها شيخ الجان بذهول)
لقد منحته عذريتي.
....

شيخ الجان:

كيف تجرأتِ على هذا؟!
هل يعقل أن تمنح جنية عذريتها لابن آدم؟!

ذئب البوادي:

وتحدّيا لأبيها أخرجتْ الخاتم الدمشقي ولبسته في يدها اليسرى!
بعد أن تزوجتني علنا ظلت تحتفظ بي في الجرّة، ولا تخرجني إلا إذا أرادت إشباع غرائزها.
....
هكذا عشتُ أربعين سنة.
الجنية خارج الجرّة، وأنا:
داخلٌ خارجٌ، داخلٌ خارجٌ، داخلٌ خارجٌ، داخلٌ خارجٌ،
(يقتل الجنية!)
حتى ماتت ذات يوم بطريقة غامضة!
استحال جسدها الناري جمرا ثم تكوّم رمادا.
نفخت الرماد بحثا عن الخاتم الدمشقي، فلم أجده!
ولكي أكسب الوقت في البحث عن الخاتم أوصلتُ إلى أبيها رسالة تقول إنها لم تمتْ، وإنما ثمة من اختطفها فوق الأرض، وإني قادرٌ بحكم مهنتي على التعرّف على الخاطفين وتعقّبهم واسترجاعها!
لكن جواب أبيها كان صاعقا.
فجأة رأيتُ عبيده في غرفة النوم.
أمسكوا بي وحشروني في جرّة رماد الموتى، وأحكموا إغلاق السدّادة بالقار.
من بعيد تناهت إلى سمعي استعدادات عسكرية للصعود إلى ما فوق الأرض.
بعد أيام أخبرني حارس أن الحملة العسكرية عادت خالية الوفاض، ثم ظهر شيخ الجن كالحلم آمرا بعض جنوده أن يرموني والجرّة في طبقة الحمم البركانية تحت الأرض!!
....
في قلب بادية الشام، بقيت أتفحّم وسط الحمم.
(موسيقى احتفالية)

2

الراعي:

بسم الله الرحمن الرحيم!
السفر الثاني.. الوثن الأنثوي الجميل.

ذئب البوادي:

إي!
بعد أربعين سنة حرّرت نفسي من تحت الأرض، وعدت إلى الجرود.
رحّب بي رجال قريتي، وظهر صديقي الراعي.
(يحدّث الراعي)
هذه إشارة عظيمة يا صديقي!!
بإمكاني إذن العودة للعمل مرة أخرى؟!!

الراعي:

نعم.
وعليّ أن أقودك في المهمّة الأولى، فبعد أربعين عاما تغيّر كل شيء.

ذئب البوادي:

بعد حلول الظلام وصلنا قرية متروكة.
وسط القرية شاهدتُ كهفا.
ترددت.

الراعي:

علينا أن نتسلل بحذر.

ذئب البوادي:

دخلنا الكهف فوجدتُ بندقيتي ومسدسي والعتاد!
ذهب الراعي إلى صخرة وصار يحفر تحتها حتى استخرج ماءً وعرقا.
جلسنا نسكر، ونسكر ونسكر، وكنت أنظر طوال الوقت إليه!
(يحدّث الراعي)
لقد هرمت يا رجل.

الراعي:

بالطبع!
ماذا تتوقع بعد أربعين عاما!

ذئب البوادي:

رحت أنظر إليه وأشرب، أنظر وأشرب، أنظر وأشرب، أنظر وأشرب، ثم انسللتُ إلى مكان سري في أعماق الكهف.
سرقتُ نبتةً ثم:
(يحدّث الراعي)
أنظر يا صاحبي!
هذه هي النبتة التي تعيد الشباب!
تفضل إنها لك!

....
عند منتصف الليل اختفى الراعي بطريقة غامضة.
(صوت سيارة صحراوية تغادر. موسيقى وحركة)
ذهبت إلى مدخل الكهف بحثا عنه فإذا بي أرى وثنا نسائيا معلّقا في الهواء.
تمعّنت بالمرأة الوثن.
لقد كانت أجمل من أيّ كائن على وجه البسيطة.
من وشاحها ينبعث إشعاع غريب.
عندما هفهف الوشاح في الريح انكشف وهج خفي، وعندما انكشفت يدها التمع الخاتم الدمشقي:
(يهتف)
يا للمعجزة! إني أرى الخاتم!
تقدمتُ منها وطلبتُ منها أن تهبط بيد أنها لم تتحرك.
طلبتُ منها الهبوط مرة أخرى غير أنها بقيت معلّقة.
سألتها:
(يحدّث المرأة الوثن)
لماذا لا تهبطين؟
(صمت)
حسنا!
سأجبرك على الهبوط.
(يبدأ طقسا سحريا)
ألا أيتها النجوم احتشدي!
اظهر يا كوكب الزهرة في قلب السماء.
انظر:
حفرت بسيفي الدمشقي نجمة سباعية فوق الأرض ثم كتبتُ داخلها حرف الواو.
انظر:
حفرت خلف الصخرة، واستخرجت سبع حصوات.
- واهي، واها! واهي، واها.
انظر:
وضعت الحصوات السبع على رأس كل زاوية من النجمة.
وقفتُ وسط النجمة وغرزت بندقيتي وسط حرف الواو:
- واهي، واها! واهي، واها. أجيبي أيتها المرأة الوثن.
انظر:
أخرجت مسدّسي وأطلقت تسع رصاصات حولها في الهواء.
(يتوقف الإيقاع)
بعد هنيهة قلت:
(يأمر المرأة الوثن)
اهبطي!
(تسقط الجنية على الأرض بشكل مفاجيء)

الجنية:
السلام عليك يا ذئب البوادي..
كيف حالك؟
هذه مفاجئة أليس كذلك؟!

ذئب البوادي:
من أنت؟!

الجنية:
أنا الجنية الوحيدة في بادية الشام، التي تزوجتك تحت الأرض، واحتفظت بك في الجرّة.

ذئب البوادي:
ماذا تقصدين بهذا الهراء؟!

الجنية:
هذا ليس هراء!
أنا زوجتك يا ذيب!
أنظر للخاتم!
أنا أمتلك سبع أرواح، وكلما أسلمتُ واحدة أحصل على روح جديدة بهيئة أخرى بعد أربعين سنة!

ذئب البوادي:
حدّقت بها وحدّقت.
كان جمالها أخّاذا وكان الخاتم أقوى من تفكيرا!
تقدمت منها، فتقدمت بدورها مني وكادت تلامسني.
فتراجعتُ وأمسكتُ ببندقيتي.
(صمت)
أخبرتها بما فعله شيخ الجان، لكنّها لم تعلّق!!
....
بعد صمت بدأتْ تغنّي وراحت تتقدم مني ثانية.
وضعتْ يدها على كتفي، فلامست أناملها عنقي.
....
(موسيقى)
يا إلهي!!!!
إنها الأصابع التي تفوح بعطر السدر والياسمين؛ أصابع الجنيّة الجميلة.
أزحتُ وشاحها فرأيت في يدها العسل والبيض والخاتم الدمشقي.
نظرتُ إليها فنظرتْ إلي،

بهرام حاجو

ونظرت إليها فنظرت إلي،
وجدتُ نفسي داخل الكهف.
(موسيقى أعلى)
كنتُ أحدّق وهي تحدّق.
وأنا أحدّق وهي تحدّق.
وأنا أحدّق وهي تحدّق.
وأنا أحدّق وهي تحدّق.
ذات لحظة سمعت صوتي يوشوش لي:
- انتبه يا ذيب! ستغوص بك تحت الأرض!
- هراء..
- ستختطفك وتمنعك من أداء المهمة!
- هراء!
- ستخبئك تحت الأرض في الجرّة!
- هراء.
وكانت شرعتُ بإزاحة صخرة لكي تهبط بي إلى ما تحت الأرض.
- الجرة يا ذيب!
- هراء..
- انتبه يا ذيب! انتبه.
- هراء..
(يقتل الجنية)
رميتها بعيدا عن الصخرة ورميتُ نفسي على جانب آخر.

حين وقفتُ كانت قد اختفتْ!
في البقعة التي اختفت فيها رأيتُ جمرا سرعان ما استحال رمادا.
نفخت الرماد بحثا عن الخاتم، فلم أجده.
لقد وجدتُ بدلا عنه شارة غريبة:
بيضةً عملاقة!
(موسيقى احتفالية)

3

الراعي:
بسم الله الرحمن الرحيم!
السفر الثالث.... شيهانة أنثى الصقر
ذئب البوادي:
إي!
(بقليل من اليأس)
منذ أربعين سنة وأنا أخفق في تنفيذ مهمة كلفتني بها إدارة المخابرات العامة:
أن أستنبت الصقور في بادية الشام!!
كل عام يأتيني الراعي ببذور يقول إنها بيوض الصقر فأنثرها، وأنتظر، بيد أن لا شيء ينبت.
بعد أربع سنين أخبرت الراعي بغضب:
(يحدّث الراعي)
إنها بذور وليست بيوض!
الراعي:
هو الذي يدّعي أنها بيوض.
ذئب البوادي:
أربعون سنة وأنا أرمي البذور دون أن تنفلع الأرض، أو أن تنبثق شارةٌ للحياة!!
الراعي:
سيقتلك يا صديقي إذا لم تفلح هذه السنة باستنباته.
(نسمع صوت سيارة صحراوية تغادر)
ذئب البوادي:
واختفى الراعي!
وضعت البذور التي جلبها جانبا، وقررت أن أستخدم أسلوبا آخر.
ذهبت إلى القرية المتروكة.
إلى الكهف.
أخرجت تعويذة سرقتها من عوالم ما تحت الأرض،
ورحت أقرأها على البذور الميتة.
قرأتُ بين الأشواك.
بجانب الصخور.
فوق الهضاب.
في الوديان الجافة.
بعد أربعة أسابيع انشقّت الأرض عن بيضة عملاقة، ثم ظهرت بيضة عملاقة أخرى، ثم بيضة عملاقة، ثم بيضة، ثم بيضة، فبيضة!
فرحتُ ألتهم البيض وألتهم وألتهم حتى أصابتني التخمة!
في الكهف نمت خلف صخرة.
عند منتصف الليل فززت من نومي.
نظرتُ إلى صدري فوجدته وقد انفلع، واندلعتْ منه شيهانة، أنثى الصقر!
حدقّت بها وحدّقت:
إنها ابنتي!
هذه ولادة معجزة!
(حركة وموسيقى. تتحرك شيهانة دون أن تتحرك)
ورحت أتمعّن فيها.
كان لها جسد من بأس النمور، ومن قطرات هواء بعيدة المنال!
إذا ما حلّقت فوق الجرود التمعت في السماء واستحالت سمادا أنزلته الريح.
إذا ما حطّت بقرية تلألأ الليل وأضحتْ تعويذة لطرد الأرواح الشريرة.
بيد أنها حين استحالت سمادا عبأتها في جرّة ودفنتها تحت الأرض، وحين غدتْ تعويذة استخدمتها طقسا للقتل.
(تتوقف الموسيقى)
قالت إنها ستهرب!
قالت إن خلاصها منّي يتم في العثور على زوج يحميها، وخرجت..
وجدت أنيسا وتزوجت منه، وكان زوجها قطّا بريّا.
بعد الزواج بأربع ليال أخفيتُ القطّ في حفرة.
بعد أربعين يوما أرادت الزواج مرة أخرى، وكان زوجها ثعلبا بريّا.
وبعد الزواج اعتقلتُ زوجها في قبر.
وبعد أربعمئة يوم قرّرت مرة أخرى أن تتّحد، وكان زوجها أيّلا.

وحين أنجب لها الأيّل صبيا أخفيت الأب والطفل في جرّة.
بعد أربعة آلاف يوم خرجت أيضا للبحث عن شريك.
وحين التقت الإنسان وأرادتْ الاقتران به، كان قد بلغ السيل الزبى.
أمسكتْ بها وألقيتها إلى البحر حيث التقطتها إحدى الأسماك وابتلعتها!
فاستحال الاثنان إلى أمواج غضب شقّت نهر بردى وحطّت في بادية الشام.
(يقتل ابنته)
في تلك الليلة ولدت قرية متروكة في الجرود.
(غناء)

4

الراعي:
بسم الله الرحمن الرحيم!
السفر الرابع.... شيخ الجان
ذئب البوادي:
إي،
في تلك الأيام كان مجرى نهر بردى غزيرا، وكانت بيوت دمشق تتسلق الجبل.
أبحرتُ في بردى على متن باخرة في مهمة جديدة:
نقل المعتقلين الوافدين إلى سجن المزّة العسكري.
كنت اصطحبت معي شيهانة.
بردى كان هادئا.
كل أصيل كانت تطير شيهانة حول الباخرة، وبعد أن أستمع لقعقعاتها وأرى إلى التماعها في السماء أرمي لها الطعام:
أفراخ حمام.
في مساء جمعة وصلت جبل قاسيون.
وإذ كنت أغادر الجبل اعترضتني كتلتان ناريتان كبيرتان.
في البدء توهجتا خلف جبل قاسيون، ثم ارتفعتا وتقدمتا ببطء.
أطلقتا سهاما نارية عملاقة صوبي، لكني راوغتها فسقطت السهام في البساتين.
اشتعلت البساتين باللهب.
فانشغلتُ طوال الليل في إخماد الحرائق.
اندلع النهار وكان التعب قد أخذ مني مأخذا فنمت.
في الليلة الثانية، شرعت بتنفيذ المهمة، بيد أن الكتلتين الناريتين توهجتا من جديد.
تجمدتا لساعات في قبّة السماء.
طوال الليل كانت تحدّقان بي بغضب، بتوعّد، ولكنهما عند الفجر غابتا.
في الليلة الثالثة وصلت أسوار السجن، لكن الكتلتين الناريتين هبطتا مرة أخرى.
رمتاني بسهام عملاقة تجنبتها، واندلعت الحرائق في البساتين.
وإذ ظلّت الكتلتان الناريتان تبحثان عني أعلى جبل قاسيون ووسط الحقول الملتهبة أخرجتُ تعويذة سرقتها من تحت الأرض.
لففتها على سيفي الدمشقي وضربت الكتلتين حتى أطفأتُ واحدة.
وهكذا هدأ كل شيء، وسلّمت المعتقلين.
(صمت)
أخذت استراحة على سفح قاسيون وكانت شيهانة تنام بالقرب مني.
في اليوم الرابع ظهر **الراعي:**
هاهاه. ثمة تعاليم جديدة!
(يظهر الراعي)
الراعي:
لم آتِ لك بالتعاليم هذه المرة يا صديقي!
ذيب!
جئتُ لأفشي لك بسرّ خطير:
....
شيهانة في خطر.
استمع جيدا.
لقد قرّر أن يأتي لكي ينتزعها منك.
لا تنس يا ذيب:
أنا لم أخبرك بأيّ شيء.
أنا لم أخبرك!
أنا لم أخبرك!
ذئب البوادي:
واختفى الراعي!
عند منتصف الليل، بعد أن استغرقت شيهانة في النوم، هبّت ريح، وانبعثت صرخات، وهوّم عويل في البساتين.
كان ذلك عويل الأشجار.

هبّت رياح مسمومة، فرأيت دموع الأشجار تفيض وتغرق البساتين المحترقة.
في قلب الليل بانت من خلف جبل قاسيون كتلة نارية كالجرم السماوي، وراحت تتقدم نحونا:
شمسٌ في قلب الظلام! إنها علامات القيامة!
لم تقترب كتلة النار منّي، بل أرادت أن تختطف شيهانة.
وحين راوغتها ضربت طوقا من اللهب على شيهانة فاحترق بعضٌ من ريش جناحها.
علقتْ رائحة الريش في أنفي.
امتشقتُ سيفي الدمشقي وشطرت الكتلة ألف قطعة.
خمد طوق النار.
التفتُّ إلى شيهانة فإذا بها اختفت.
....
قبل مطلع الفجر ظهرت الجنية الجميلة.
كانت هذه المرة في هيئة حورية للبحر!
ولم أتأكد أنها جنيتي إلا عندما التمع الخاتم الدمشقي في يدها اليسرى!
سحبتني إلى ما تحت الأرض:
(حركة)

الجنية:

انتبه يا ذيب انتبه يا ذيب.
إن الكتلتين الناريتين اللتين ظهرتا كانتا عينا أبي شيخ الجان.
إنه يريد الانتقام منك.
ولن يتوقف عن ذلك حتى يقضي عليك!
سيرسل لك في المرة القادمة غولة تلعق باطن قدميك حتى يستعصي عليك السير، وستسجنك الغولة إلى أمد لا يعلمه سواه.
فانتبه جيدا:
البس حذاء من حديد لكي لا تلعق الغولة قدميك، وعندما تظهر، اهجم على ثديها وارضع منه.
بهذه الطريقة تأمن شرّها أربعين ليلة.
فإذا ما رضعت من ثديها لن تمسّك بسوء حتى تنقضي أربعون ليلة.
انتظر ليلة بزوغ البدر في السماء.
وإذا ما بزغ، فلا تتردد.
تظاهر أنّك تريد الرضاعة من ثديها ثمّ ابتزْ حلمتها اليسرى بأسنانك.
ابتر حلمتها بأسنانك.
ابتر حلمتها بأسنانك.
ابتر حلمتها بأسنانك.
(يقتل الجنية. يبحث بجنون عن الخاتم الدمشقي فلا يجده)

ذئب البوادي:

ظهرت الغولة من تحت الأرض، وباءت محاولاتي للإمساك بثديها بالفشل.
(موسيقى)
سحلتني إلى الكهف.
ومن هناك إلى صخرة تخفي مدخلا سرّيا يفضي إلى جرار لا تعدّ ولا تحصى.
جرارٌ تغلقها سدّادات تنفتح وتنغلق من تلقاء ذاتها..
جرجرتني حتى أوصلتني إلى أسوأ الأعماق.
إلى دهاليز مريعة.
هناك وجدتُ غيلانا عملاقة تحكم جموعا من الرعاع!
كانوا فتاتا من البشر!
أشلاء حيّة!
خرقٌ مضى على اختفائها أحقاب، حتى ظنّ الجميع أنّها ميتة.
لم تكن لتلك البقايا البشرية أسماء، ولا وجوه، ولا ملامح، أمّا التعرف على أصحابها فيتّم عبر الكشف عن المؤخرات التي دُمغت بالأرقام.
هناك..
في ذلك الحطام المجهول، دمغتْ الغولة رقما على مؤخرتي.
خيّطتْ لساني على شفتيّ، وانهمكتْ بممارسة التدريبات الخاصة بمناهج التعذيب، مناهجي ذاتها!
كما لو كنتُ وسيلة إيضاح، وكما لو كانتْ معلمة في مدرسة؛ تمارين، تمارين، تمارين:
الملزمة.
الخازوق.
بساط الريح.
الأريكة الدوارة.
طاحونة الهواء.
الصليب!
(حركة واسعة تتوقف فجأة)
أربعون عاما بقيت أتعفن داخل الجرّة حتى حرّرني صديقي الراعي!!

سمير الصفدي

ذات يوم أرسل دورية مخابرات بحثا عنّي في باطن الأرض.
وصلتْ الدورية إليّ، وحملتني إلى الأعلى.
فوق، التقيته.

الراعي:

ذيب!
لم يعد ثمة مكان آمنٌ هنا لك!
اهربْ قبل فوات الأوان.
أنت تعرف أنه يريد حياتك.
لقد أنقذتك هذه المرة لكنني لا أعرفُ فيما لو كنتُ قادرا على مساعدتك في المستقبل.

ذئب البوادي:

وفررتُ إلى حيث أستطيع أن أبدأ حياة جديدة.
بطريقة غامضة التقيتُ ابنتي ووقعت في حبّها.
قررت أن أتزوّجها، لكنها رفضت. وبعد محاولات إقناع فاشلة صرت أسوقها عنوة إلى مخدعي.
وقد أمتعتني لزمن ما، لكنها بدأتْ تتمرد بمرور الأيام.
وفوق ذلك بدأ يسيطر عليها شرود مستمر، وبدأتْ تنتابها رغبات مفاجئة للهبوط إلى ما تحت الأرض.
ذات منتصف ليل، انتفضتْ ونبت على جسدها ريش.
دارت حول نفسها ورقصت،
ودارت ورقصت،
ودارت ورقصت،
ودارت ورقصت،
ثمّ صاحت:

شيهانة:

خذني إلى شيخ الجان.

ذئب البوادي:

ماذا؟!

شيهانة:

يجب أن تهبط بي إلى ما تحت الأرض.

ذئب البوادي:

ماذا؟!

شيهانة:

أريد لشيخ الجان أن يصعد إلى ما فوق الأرض في وضح النهار.

ذئب البوادي:

ماذا؟!
فأقفلت عليها الباب بالمزاليج. لكنّها هربت بطريقة غامضة.
ارتديت حذائي الحديدي وعدت إلى بادية الشام بحثا عنها.
(يقتل شيهانة)
هناك.. بالقرب من القرية المتروكة تدحرجتْ بيضةٌ خارج رحم ابنتي وانفجرتْ، فتناثر جسدها، وماتت.

5

الراعي:

بسم الله الرحمن الرحيم!
السفر الخامس.. الأحراش

ذئب البوادي:

إي!
في أول أيام الخريف تلقيت أوامر بقيادة دورية كبرى من

رجال الأمن في مهمة، هدفها تحديد مخابئ سريّة في بادية الشام.
لقد أخبرني صديقي الراعي الذي حمل التعاليم كالعادة أن القيادة تريد دفن أسرار مهولة في تلك المخابئ.
(صمت)
إبان مهماتي السابقة في البادية، تراكمت لديّ خبرات هائلة في تحديد المخابئ، وكانت القيادة على اطّلاع دائم بتطوّر تلك الخبرات.
في أول أيام الخريف قرّرت بناء سفينة عظيمة في ميناء درعا.
وبعد أن انتهيت من صناعتها أصدرتُ الأوامر بالرحيل.
سحبتُ المرساة وأبحرتُ في الجرود، فوق التلال، في السهول المتروكة.
وقد اعترضني بين ما اعترضني عاصفة هدأت عند حلول الفجر.
أوقفتُ السفينة بالقرب من قرية متروكة، وأعطيتُ رجالي استراحة.
عند الغروب انبثق ضوءٌ في الأفق سرعان ما اقترب.
وعندما حدّقت بها جيدا رأيتُ أنّه صديقي الراعي وقد تنكّر.
أمسك بي وقادني بسريّة إلى أعماق كهف عملاق يتوسّط القرية المتروكة.
توقّف بجانب صخرةٍ في إحدى زوايا الكهف وهمس:

الراعي:

ذيب يا ذيب يا ذيب..
انتبه.
إنّ المكان الذي رسوتُ فوقه، ليس سوى وهم.
إن المكان الذي تراه، وتظنّ أنّه قرية فهو ليس كذلك!

ذئب البوادي:

ما هو إذن؟

الراعي:

إنه طائر الرخ!

ذئب البوادي:

طائر الرخ؟!

الراعي:

استمع يا ذيب!
....
إنه طائر رخ نائم من زمان قديم!
الرياح المتعاقبة غطّته بالتراب والطين، فنبتت فوقه الأشجار.
....
(ذئب البوادي يضحك)
ذيب يا ذيب يا ذيب! اسمع!
إنه كمين منصوب لك.
إذا كنت لا تصدقني أزح الصخرة وانظر!
هيا!
أزحها!
هل ترى عينه النائمة!
(الراعي يزيح الصخرة وينسحب. نسمع صوت سيارة مغادرة.
ذئب البوادي ينادي)

ذئب البوادي:

آهي، آها! آهي، آها!!
إلى السفينة، إلى السفينة يا رجال!
آهي، آها! آهي، آها!!
إنه طائر الرخ! سيقتلنا جميعا!
بعد فوات الأوان!
تزلزل كل شيء.
تحرك طائر الرخ تحت القرية فاصطفقت الأشجار ببعض.
انبعث جناحاه الكونيّان من تحت الأرض ورفرف بهما، فانقلعت الأشجار وانثالت الزوابع.
انجرفت الأراضي حتى صارت سيلا من الأحجار جرفت في طريقها كل شيء.
رمى طائر الرخ رجالي بأكوام من الأحجار حتى ابتلعهم السيل وغرقوا.
وعندما شارفتُ بدوري على الغرق توقف الطائر.
نظر إليّ طويلا وغادر!!!
عندها ظهرت الجنية للمرة الرابعة.
سحبتني خارج البركان الحجري.
وبعيدا عن هناك توقفت.
نظرتُ إليها.
كانت في هيئة زنوبيا الملكة.
وكان الخاتم الدمشقي يلتمع في يدها اليسرى.

الجنية:

ذيب!
اسمع ما أقول جيدا!
كما سبق وقيل لك، فأنت لم تصل بالصدفة للقرية

المتروكة.

ذئب البوادي:

ماذا؟!

الجنية:

إن العاصفة هي التي قادتك إلى حيث يكمن طائر الرخ!

ذئب البوادي:

ماذا؟!

الجنية:

اعلم أنّك لم تصل بالصدفة إلى تلك القرية.

ذئب البوادي:

ماذا؟!

الجنية:

أنت لم تصل بالصدفة إلى تلك القرية.

ذئب البوادي:

ماذا؟!

الجنية:

أنت لم تصل بالصدفة.

ذئب البوادي:

كيف عرفت ذلك؟!
(يقتل الجنية. يبحث عن الخاتم فلا يجده)

6

الراعي:

بسم الله الرحمن الرحيم!
السفر السادس.. التنين

ذئب البوادي:

إي!
جاءني الرّاعي بتعاليم جديدة.
في مناطق الرقة وحلب والحسكة يتوجب التصحير.
مهمتي التي يجب أن تنفذ سرا هي خلق الرمال لكي تزحف على المدن.
كنت أعمل ليلا.
شيئا فشيئا بسطتُ رمال الصحراء.
وضعت سرابا هنا، وواحة هنا وهناك.
(نسمع صرخة مفاجئة)

الجنية:

ذيب يا ذيب يا ذيب.
إحذر يا ذيب!
سيقضي عليك هذه المرة.

ذئب البوادي:

اللعنة!
إني لأعرف هذه النبرة.
قلت، وتناولت بندقيتي.
(يصرخ)
لقد عرفتُ!!
إنها جنيتي الجميلة الوحيدة في هيئة الآلهة عناة واقفة في فوهة الكهف.
الخاتم الدمشقي في يدها.

الجنية:

احذر يا ذيب!
احذر!

ذئب البوادي:

استدرت، فإذا بظلال التنين الكنعاني تخرج من قمقم.
لقد تحرّر التنين الكنعاني من القمقم!!
(بنشوة)
لقد تحرّر التنين الكنعاني من القمقم.

التنين:

لا ترحب بي يا ذئب البوادي!
لقد خرجتُ من القمقم لأصليك بالحمم.

ذئب البوادي:

أنا لا أستحق ما تصليني به بالحمم.
بالعكس!

التنين:

لقد قتلت الجنية الوحيدة في بادية الشام.

ذئب البوادي:

لقد وقفتُ بوجه مهماتي.

التنين:

لقد اغتصبت ابنتك.

ذئب البوادي:

لم أفعل ذلك.
تلك كانت رغبتها الشخصية.

التنين:

لقد أطفأت عينيّ شيخ الجان.

ذئب البوادي:

لم أكن أعرف ذلك.
لقد رأيت كتلتين من النار فقط!

التنين:
لقد سرقت نبتة الشباب وأهديتها إلى الراعي.
ذئب البوادي:
وما شأنك بهذا!!
(إلى الجنية)
افعلي شيئا!
الجنية:
إنه التنين الكنعاني!!
أنت تعرف أني أشلّ إذا ما خرج من القمقم.
لن يعيده إلى القمقم سوى تعويذة الجلجلوتية الكبرى!
ادخل الكهف.
اذهب إلى الصخرة.
اهبط من هناك.
اسرق الجلجلوتية الكبرى واجلبها لي وسأقضي عليه!
اسرق الجلجلوتية الكبرى!
(التنين يهاجم الجنية. حركة ورقص)
ذئب البوادي:
وكما يحدث في المعجزات، وجدت نفسي داخل الكهف.
أزحتُ الصخرة في العمق.
هبطتُ بسرعة البرق.
سرقت تعويذة الجلجلوتية الكبرى وصعدتُ.
سحبتُ الجنية سيفي الدمشقي من يدي وراحت ترسم به أشكالا غريبة في الهواء.
عندها تشتّتت رؤوس التنين السبعة فانقضّت الجنية عليه.
بصق التنين ألسنة من اللهب واندلعت الحرب.
انزويتُ خلف الصخرة وأنا أرتّل، ولم تتوقف المعركة حتى أصابت الجنية من التنين مقتلا.
سقط الكائن الكنعاني الأسطوري على قفاه، فضربته الجنية بالسيف الدمشقي!
سمعت صدعاً.
وكأنها أصابت جدارا.
ضربته ثانية فدوّت صرخة هائلة.
(صمت)
فتحتُ عينيّ ونظرت فإذا بالتنين مرميّ خارج الكهف كجبل شاهق من الجمر.
طحنته الجنية بمطحنة، ووضعت الطحين في القمقم.
بمثل لمح البصر فلقت صخرة بالسيف، فاندلعت ثغرة ابتلعت التنين المطحون، وبسرعة البرق التأمت الصخرة وكأنّ شيئا لم يكن!
(تقترب الجنية من ذئب البوادي)
الجنية:
لقد حرّر التنين الكنعاني من القمقم هذه المرة ليمنعني من الدفاع عنك.
لكن جهوده باءت بالفشل.
سأظل آتيك دائما للدفاع عنك.
ذئب البوادي:
وأرادت أن تسحبني لممارسة الطقوس التي أعرفها جيدا.
لكنني في تلك اللحظة كنتُ مهجوسا بالأسئلة:
أنّى للجنية أن تعرف كل تلك الأحداث؟
لا!
صرخت بها:
هذه المرة، لا.
وسحبت سيفي الدمشقي....
(يقتلها)
فتحلّلت فوق الرمال..
(موسيقى احتفالية)

7

الراعي:
بسم الله الرحمن الرحيم!
السفر السابع.... الراعي!!
ذئب البوادي:
جاءني الراعي بمهمة جديدة قديمة!!
الراعي:
ذيب يا ذيب يا ذيب!
لقد تمّ اكتشاف المخابئ السرية في بادية الشام، وعليك أن تبحث عن حلّ مناسب لنقل تلك الأسرار إلى مخابئ أخرى.
ذئب البوادي:
بمنتهى السرعة حدّدتُ مخابئ جديدة، وذهبتُ لنقل الأسرار من المخابئ القديمة.
وما أن ابتدأتُ حتى انقضّ عليّ ثور سماوي، حملني بين قرنيه، وطار إلى القرية.
أدخلني الكهف ثم أزاح صخرة وهبط بي حيث سجنني داخل جرّة.

سمير المقدني

400 عام بقيت محشورا في الجرّة لا أرى شيئا سوى الثور السماوي، يأتي لكي يمارس عليّ عمليات التعذيب.
اقتلع أسناني،
اغتصبني،
أدخل القناني في شرجي،
أدخل الأسياخ والخوازيق.
....
في عصرٍ ما تمكنت من رشوة حارس سرق لي إحدى تعاويذ ما تحت الأرض.
رتلّت التعويذة ألف مرة ومرة ثمّ ضربت جدارا في الجرّة.
ضربته، ضربته، ضربته، حتى تصدّع.
ففتحتُ ثغرة وانسللتُ إلى ما فوق الأرض.
قررت أن أختبئ في تلك المدينة.
فهناك لن يرسل أحد أبدا. دخلت المدينة. تمشيت بين الناس في أزقتها، وفي الساحات، وفي الأسواق المسقوفة.
دخلتُ بيتا أسدلتُ ستائره واتخذته سكنا لي.
في اليوم السابع عند منتصف الليل أزحتُ ستارة، فرأيتُ الصحراء تزحف لتلتهم المدينة.
رأيتُ الأحياء والأزقة تغرق رويدا رويدا في لجج الصحراء، ثمّ رأيتُ باب بيتي يغرق، ثمّ تغرق الغرفة، ثم السرير!
وبدأ الزمن يعود إلى الوراء.
ساعات تعدو إثر ساعات، حتى أصبح الوقت ظهرا.
وإذا أرى نفسي بي من جديد وسط بادية الشام.
(صمت)
فكّرتُ:
ماذا أفعل؟
فقلت لنفسي:
فكّر.
....

وفكّرتُ:
ماذا أفعل؟
فقلت لنفسي: فكّر.
....
حدّقت بالشمس ثم سمعت صوتي يقول:
قزر.
(يمارس طقسا)
انظر:
هرعت إلى القرية المتروكة.
هرعت إلى الكهف.
حفرت تحت صخرة، واستخرجت ما تبقى من تعاويذ.
خرجت إلى العراء وناديت نجوم الظهيرة!
طلبت من كوكب الزهرة أن يحوم.
انظر:
رسمت بسيفي الدمشقي النجمة المضلّعة فوق الأرض،
ووضعت فوق كل زاوية تعويذة.
انظر:
قرأت برج السرطان، ثم كتبته على ورق البرديّ ودفنته
في حفرة وسط النجمة، وناديت:
واهي، واها! واهي، واها.
يا ربّ الأفلاك وخالق العالم السفلي.
يا خالق العالم السفلي.
أحضر لي الجنية.
(يتوقف الطقس)
انظر:
أشعلتُ بخورا لكي أدعو العاصفة.
بعد هنيهة، انفلع صدري وانبثق منه صديقي الراعي.
....
صديقي الراعي؟!

الراعي:

كيف تجرأت على ممارسة طقوس الاستحضار في وضح
النهار؟
ألا تعرف أن هذا من المحرمات؟
ثمّ إنّ الجنية تظهر عند منتصف الليل فقط.

ذئب البوادي:

صديقي الراعي؟

الراعي:

نعم أنا هو!
....
دعنا نستريح قليلا.
(يجلس الراعي ويفرش عباءته)
انظر ماذا حملت لك معي.

ذئب البوادي:

نظرت في عباءته وإذا بي أرى خبزا وعسلا وبيضا.
في تلك اللحظة فقدت صوابي.
(صمت. ثم ينقض على الراعي)
كيف عرفتَ أني أحب العسل والبيض؟!
كيف عرفت أن طقوس الاستحضار ممنوعة في النهار؟
كيف عرفت أن ثمة جنية تظهر.
كيف عرفت أن الجنية تظهر فقط عند منتصف الليل؟؟!
كيف خرجتَ من صدري؟
كيف؟! كيف؟ كيف؟!!!!
وبينما كان الراعي يلفظ أنفاسه الأخيرة لامست أنامله
عنقي.
يا إلهي!
إنها أنامل الجنية ذاتها.

الراعي:

لقد طلبتُ مني أن أخبرك بالحقيقة قبل فوات الأوان.
ومع ذلك.. أنا أرى أن الأوان يفوت الآن!
(يقتل ذئب البوادي الراعي. صمت)

8

ذئب البوادي:

إي.
إي.
(حين يدرك أن لا أحد سيعلن المشهد، يقدم المشهد بنفسه)
السفر الثامن.... الكهف
عندما أردت مغادرة القرية المتروكة انفلع صدري مرة
أخرى وظهرت منه شيهانة.
قبضتْ عليّ بمخالبها وطارت إلى كهف آخر.
أسقطتني عند المدخل.
ضبابٌ مصحوبٌ بالتراتيل يتصاعد.
أضواء صاعقة تهشّم الضباب.
جرجرتني إلى أعماق الكهف.
هناك رأيتُ قبّة زجاجية مسجّاة فيها الجنية الجميلة!
مومياء يلتمع في يدها اليسرى الخاتم الدمشقي.

هيثم شكور

خبطتُ زجاج القبّة بقبضة يدي.
استدارت ببطء.
رمشت عيناها.
تحرّكت شفتاها.
بيد أنّني لم أسمع شيئا.
(ذئب البوادي يكاد يجن)
يا ربّ العباد، ما هذا؟
يا ربّ العباد، أريد أن أكون بقربها!

شيهانة:

اخلع رداءك!
....
خذ هذا الكفن، وتكفن!
سأحفر طريقا يوصلك إليها.
(طقس موت)

ذئب البوادي:

يا إلهي!
أنا بالقرب منك يا جنيتي الجنية!
يا إلهي!
أنتِ ملفوفة بلفائف من قماش الكتان.
(ذئب البوادي يدور حول الجنية. الخاتم الدمشقي متوهّج من
خلف لفائف الكتان)

الجنية:

ماذا تفعل هنا؟
....
لقد انتهت حياتي بسببك.

ذئب البوادي:

ولكنك.. أ..

الجنية:

هذا هو موتي الأخير.

ذئب البوادي:

لكنك قادرة على الانبعاث!

الجنية:

لقد فقدتُ هذه القدرة.

ذئب البوادي:

لماذا؟

الجنية:

لأنّك قتلت الراعي.

ذئب البوادي:
ما معنى هذا...؟!
الجنية:
ألم تفهم معنى العسل والبيض؟
كان الراعي هيئتي الإنسية في النهار.
نحن مرتبطان ببعض، فإذا قُتلت قرينتي الأنسيّة أموت أنا بشكل نهائي.
ذئب البوادي:
لمسْتُ لفائف الكتان فتعرّفتْ يدي على جسد الراعي داخلها.
....
أخرجتْ الجنية كفّها اليسرى الذاوية من الكتان لتلمسني فسقط من إصبعها الخاتم الدمشقي وتدحرج في الطريق الذي جئتُ منه.
هرعتُ خلف الخاتم، لكنه كان أسرع.
أسرعتُ خلفه فتدحرج خارج الكهف ثم خارج القرية صوب الجرود.
نبتت له أحراش ثم طغا عليه صلصال فتضخّم وتعملق كمثل كرة الثلج.
هكذا رسم الخاتم مسارا حلزونيا راح يتسع ويتسع وكانت أقدامي تسقط داخل المسار.
صارتْ أيامي تعدو خلفي وأنا أعدو خلفه.
كلما اعترضني عائق أزلته عن طريقي:
أهلتُ التراب على ناعورة حماة.
أزحتُ قلعة حلب من الوجود.
وحين دقّت ساعة حمص أمرت الزمن أن يتوقف.
اعترضتني حشودٌ من الديناصورات فجندّتها!
ظهرتْ بوجهي فيالق من المحاربين فجعلتها تابعة لي!
داهمتني وحدات من الدبابات وآلاف السيافين فدجّنتهم.
خلقتُ مدافع وشبكات ألغام، وصرتُ أخطب بهم وأنا أعدو لأقبض على الخاتم.
لم أدرك أن الخاتم الدمشقي كان يحفر أخدودا حلزونيا صوب طبقات الأرض السبع لأني كنت أجري خلفه دون تفكير.
حين وصل الخاتم طبقة الوشاح جرف صخورا بركانية وعلّق بدرا في قشرة الأرض فبدا الخاتم والقمر قمران تحت الأرض.
جندلتْ القمر وأوغلتْ خلف الخاتم.

(إيقاع وحشي يتصاعد)
حين غاص في طبقة صخر البلور نشر الخاتم ضياءه ومن هناك ولد القمر ثانية وتماهى ضوؤه بوهج الخاتم، لكنني ابتلعتُ ضوء القمر.
(يتصاعد الإيقاع)
في الطبقة الثالثة ادلهمّ وهج الخاتم، وعشعش ضوء القمر الباهر فوق المعادن المبلورة، فناديتُ صخور الدياجير لتمتص ضياءه.
(يتصاعد الإيقاع)
في الطبقة الرابعة حشّد الخاتم صخور الوشاح السفلي الكثيفة وصفّها داخل إطار قمر نمير ينبض بضياء أبيض، لكنني كنت أعرف من هو النمير ومن هو الخاتم.
ناديتُ لجج اللهيب فراح القمر يتخبّط في ألسنتها لسنتها المهولة.
استحالت ألسنة اللهيب مرايا.
فرأيتُ فيها صورة شيخ الجان.
رأيته يرمقني بعينين مفقوأتين.
حدّق بي، فحدقت به.
رأيته يخربش المرايا، اللهيب، فخربشتُ المرايا.
اقترب مني، فاقتربت منه.
حدّق بي فلم أعد أر شيئا.
تلمستُ ما حولي فإذا المرايا تعيد تجسيده كالرلييف.
في الطبقة السابعة، في قلب الأرض استحال الخاتم كرة من حديد ونيكل وصار القمر هلالين كالشفتين.
لقد كانتا شفتي شيخ الجان.
حين تحركت الشفتان انطلق الصوت منّي أنا!
هذا هو الذي شهدتُ حدوثه.
أنا ذئب البوادي.. أنا هو شيخ الجان.
(إيقاع وحشي)
عند قلب الأرض نقف وجها لوجه:
أنا وصورتاي وجيوشي من جهة، والخاتم وقلب الأرض من جهة ثانية.
هيا أيتها الجيوش!
إلى المعركة الفاصلة.
(الإيقاع الوحشي المصحوب بالغناء يتصاعد حتى تتحول المسرحية إلى أمسية موسيقية)

بهرام حاجو

مسرحي وكاتب من العراق مقيم في أنتويرب/بلجيكا

صمت النوافير

مقطع من نصّ مسرحيّ

حسن المؤذّن

الشيخ: وتدفعني قدمي فأشرّق
فإذا بمنارة الإسكندريّة مظلمة
والبحّارة لا يهتدون
مراكب الهند واليمن لا ترسي
حرائق في نخيل الكوفة
بسائط الحلّة قفر
والفرات دم وحبر
يا للظّلمة في قيظ الهاجرة!
"كأنّي بالمشرق قد نزل به مثلما نزل بالمغرب
وكأنّما نادى لسان الكون في العالم
بالخمول والانقباض
فبادر بالإجابة".
الجوق: الظّطر قادمون
دمشق ذات الأنهار السّبعة
تغلق أبوابها الثّمانية
الظّطر قادمون.
الشيخ: أدخلها كمن يستغرقه كتاب فريد
صفحاته باهرة الخطّ بديعة الزّخارف
من أيّ منعطف أنعطف أرى
قبّة النّسر ذاهبة بشموخ في الهواء
أمرّ من باب جيرون إلى باب البريد
أتمشى في دهليز الباب الغربيّ
فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الجوق: فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الشيخ: أدخل الجامع المكرّم
فينكسر ظلّي تحت ضوء شمسياته المتوهّجة
وتحتويني قبّة الرّصاص في فلكها المرصّع الجليل
فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الجوق: فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الشيخ: أرتقي جبل قاسيون مصعد الأنبياء
أوقد السّروج في مغارة الجوع
أقف على الرّبوة ذات القرار المعين
فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الجوق: فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الشيخ: أسير بين دكاكين الجوهريّين والكتبيّين
الشمّاعين وصانعي العطور، والنحّاس والقناديل
أمرّ بالمدارس والخوافق والرّباطات
وبالأرباض الفسيحة والسماطات
فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الجوق: فتثمل عيني
ويرتجف قلبي.
الشّيخ: أنشر بصري في الغوطة الخضراء
أشرب من مياه النّيرب
وأمهل خطوتي في رياض المزّة
فتثمل عيني...
وها من تربة منجك يرتجّ فضاء دمشق
قرع طبول، ونفخ قرون، وأبواق...

عامر الوهيبي

فأرفع وجهي إلى السّماء
أمَا من لطفك يا إلاهي!
بين جبل قاسيون وباب الفراديس مدفن
سبعمائة نبيّ
أمَا من لطفك يا إلاهي!
تسيل من عيني المرهقة دمعة خرساء
وأغمغم متفجّعا
كلّ مدينة تحرق كتاب يحرق
كتاب من النّفائس لا يستعاد...

آه! يا مراصد سمرقند ومراغة ونيسابور
ماذا تقول قرانات النّجوم؟
الجوق: من أين لي بعشبة مسكره
فلا أرى ما أرى
من أين لي بعشبة مسكره
فهذي المسالك جمر
والمدى مقبره.

كاتب من تونس

أناشيد الربيع والخريف

مسرحية مونودرامية

الحسن بنمونة

الممثل كالسياسي
هما معا يُضحكان الجماهير.
(الممثل ينتقل من مكان إلى آخر بطريقة مثيرة للسخرية، وهو يكشف للمشاهدين عن ديكور المسرحية. يستعمل يديه وأصابعه وأحيانا قدميه، بأن يركل شيئا ثم يعيده إلى وضعه السابق. يقوم بهذا عابثا ساخرا).
يقول ما يلي:
(خشبة فارغة إلا من كرسي وضع في مكان عال هو منصة، تقابله مقاعد، هي إن شئنا عشرون مقعدا. ربما هي مخصصة لاستقبال زبناء، ولكننا نفضل النطق بكلمة مريدين، بما أن المسرحية تتناول أفكار السياسة والحزب والمجتمع وما إلى ذلك من هذه الكلمات الرنانة. السياسة تشغل بالنا أيها السادة من المهد إلى اللحد).
(يضحك).
لا علينا.
الرجل الذي يدخل الخشبة ويتجه إلى الكرسي الذي وضع في مكان عال يبدو شابا عاملا، من النوع الذي يعجبه ارتداء الجينز الأزرق، والقميص القصير، والمشي بخيلاء معتدا بنفسه. ربما ليكشف عن فتوته وقوته. هو في مرحلة القوة طبعا؛ في ريعان الشباب.
لا علينا.
سنرى أن المَشاهِد وهي تتوالى توضح مراحل من حياة هذا الشاب العامل. قد يكون مثقفا على طريقة العامة الذين ينتقون معارفهم من هنا وهناك؛ بالاستماع أو بقراءة كتيبات صغيرة تشرح نظريات حزب أو سياسة ما، وقد يكون شبيها بالمثقف؛ من ذلك النوع الذي يحشر نفسه في كل كبيرة وصغيرة. هذا الأمر رهن بالمُخرج إذ ينبغي له أن يفطن إلى أن هناك تغيرا ما يحصل في حياة كائن بشري ، وكذلك في حياة واقع. ما الكائن وما الواقع؟ لا يهم أن نعرف. قراءة الأدب تكشف عن المستور. ليس المطلوب أن يكون الممثل مثقفا، يكفي أن يكون ممثلا حاذقا ورائعا، فهدفنا هو خلق إمتاع من خلال الكلمة والمكان. الثقافة تخدم أحيانا فكرة مواجهة الشقاء بالحلم. لا علينا.
في الأغلب يكون هذا النوع من الشباب متحمسا في البداية، ولكن التغيرات التي تقع، تفضح مقدار اليأس الذي يحس به. ولهذا ارتأينا أن نجعل الدور يجري في زمنين، فلنفطن إلى هذا. العامل وهو شاب في مرحلة، وهو شيخ في مرحلة أخرى. لا يهم إن كنا على يقين أن هذا يحدث مرارا، فهو يحدث حقا، ولكن الأهم هو أن نبكي على زمنين ذهبا إلى غير رجعة. لا بد أن يفطن المخرج إلى أن الأمر يتعلق بالحنين واللوم معا، الحنين إلى زمن مضى أنتج فرجة سياسية مصحوبة بالقسوة، واللوم كأن نلوم أنفسنا لأننا لم نستطع أن نحدث تغييرا.
أين؟ في الواقع طبعا.
إليكم المسرحية.
انتباه. انتباه. أيها السادة. الكبار والصغار. الرجال والنساء.
(يبين عن سخرية مبطنة إما بالضحك الذي لا يصل إلى مرحلة الاستهتار، وإما بابتسامات بنكهة الدعابة القاسية).
الجنتلمان والجنتلمانات.
المحافظون اليمينيون.
العصريون اليساريون.
اليمينيون اليساريون.

بهرام حاجو

اليساريون الجدد.
قراء الأدب الرفيع.
القراء الجدد والقدامى للعهد الجميل.
إليكم تحياتي الحزبية (يشير إليهم بعلامة النصر).
(ينشد شعارا هو طبعا لا يمتّ بأيّ صلة لأي حزب سياسي. لا نقول: أيّ تشابه بينه وشعار حزب حقيقي هو مجرد تشابه. هو تشابه ..ها ها ها).
إلى الأمام
إلى الأمام
الثورة قادمة
هناك عيون تترصدنا
لن نيأس. لن نيأس.
هي عيون ثعالب تريد الانقضاض علينا.
لن نيأس . لن نيأس.
هي عيون ثعالب تريد مشاركتنا الطعام.
نقول لها مرحبا. مرحبا.
في النهاية يأتي الفجر والصباح
فيكشف من كان معنا ومن كان ضدنا.
(هو الآن قبالة كرسيّ من الكراسي العشرين).
الكرسي بارد إن لم أخطئ. (يتلمّس بطنه وحوافه).

هو بارد لأنه لا أحد جلس عليه.

هو ليس بكرسي لا يثير أيّ معنى كما نرى. سنكشف بعد لأيّ كيف أنه سيكون المنبع الذي يطلق شرارة الثورة في حزبنا. الثورة؟ يا لها من كلمة ساحرة، فاتنة وكأنها ساق أنثى.

لا تظنوا أن الأمر يعني ثورة كما نراها في بعض البلدان العربية. وفي ظني المتواضع إن لم أخطئ هي ثورات جنينية كما يقول منشورنا. لا تشبه ثورة الكومونات القديمة، أو ثورة القرنفل، أو ثورة الفوضويين. أنتم طبعا تفهمون ما أعنيه. أحيانا لا تستطيع أن تكمل الجملة، لأن المعنى يكون مستوعبا من الآخرين، فيكون السكوت هدية لا تقدر بثمن. المعنى قد يقال في لمحة أو تلويحة يد أو غمزة.. في جملة.. في كلمة أو حرف. لا يهم كيف يقال، فالأهم هو أن يُفهم.

وعلى أي حال. لم نحن في عجلة من أمرنا؟ في الواقع نسيت أن أقدّم لكم شخصي الكريم. لا يجدر بي أن أضيف إلى الكلمة لفظة الكريم. يروقني التواضع في المسائل السياسية. وأنا في هذا الباب أقتطف نبذة من منشورنا الذي نتداوله علانية، وهو يباع في المكتبات، وإن كان بعض الكتبيين يخفونه عن القراء بأن يضعوه في صندوق ثم يغلقوا منافذه. هؤلاء ليسوا بثوريين إذا عرفنا أن الثورية لا تعني إلا شيئا واحدا: أن تحترم أفكار الآخر. وعلى أيّ حال، أنا عامل يؤمن بنظرية ثورة العمال في القطاعات المنتجة. لست مثقفا بالمعنى المتعارف عليه؛ الحاصل على قدر من المعرفة يؤهله لشغل منصب حكومي. أحصل على معارفي من الجرائد والمعامل كما فعل الروس زمن الحماس الثوري. إن شئتم قولوا هي معارف ساذجة ولكنّها تنبع عن قلب طيب. طبعا نحن نعرف أن القلوب الطيبة لا تصنع إلا الطيبة. لا تصنع ثورة أو تغييرا.

لا علينا.

هذا لا يهمنا الآن في شيء. أن تقول (أنا) لا تعني إلا شيئا واحدا هو أنك أناني. فلنلتجئ إلى كلام مؤدب لا يثير حفيظة أحد.

(يلتفت إلى الجهة اليمنى، حيث المدخل إلى القاعة في الخشبة، وكأنه ينتظر مقدم الزعيم).

سيأتي الزعيم.

في هذه الحالة يكون عليّ أن أصرخ عاليا احتراما لشخصه وثقافته التي أنارت طريق الحزب: يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. ثلاث مرات بالتمام والكمال.

سيأتي الزعيم حتما. (يخرج من جيب سرواله ورقة). حضوره مكتوب هنا. هو الآن في مدينة.. ينظر للمرحلة القادمة. هي طبعا مرحلة حرجة من تاريخ بلادنا. مرحلة ثورات واسمحوا لي أن أنعتها بالكلبية لأنها ابنة كلب حقا تقع هنا وهناك. قال لنا الزعيم: لا بد أن نقول كلمتنا بإزاء ما يحدث. أنا فهمت من كلامه أنها من صنع أياد خارجية. اسمحوا لي أن أكشف عما فهمت من كلامه. لم أقل إن ما فهمت هو من لبنات أفكاره. قلت ما معناه يبدو لي أنه سيتحدث عن المرحلة القادمة التي يريد لها أعداؤنا أن تتجه عكس الريح. هل استطعت أن أوصل إليكم الفكرة؟ أعني المرحلة القادمة.. أوه، يبدو أن الشرح في كثير من الأحيان يتحول إلى غموض. فلنوضح أكثر: هو يعني أننا مقبلون على مرحلة حرجة..على أزمة تطال الأخضر واليابس. الفكرة واضحة الآن. أليس كذلك؟ إن لم تكن كذلك يمكن لي أن أوضحها أكثر.. ولكن دعونا من هذا الإشكال.

يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم.

سيأتي حتما ليشرح لنا السياسة العالمية التي ترغب في تقسيم الكعكة. الدول الكبرى التي تثير الحروب بين الإخوة وتفشل أيّ مشروع للنهوض بهذه الأمة الغريبة في عالم غريب. أنا في الواقع لا أمتلك فهما عميقا للمسألة، وإن كنت أحشر نفسي في ما لا يعنيني فأرجو أن تتفهموا كوني أنطلق من غيرة عميقة على ما يحدث لنا من نكبات. من يقوم بالحرب؟ إنهم الجنود، أليس كذلك؟ أنا جندي. ها ها ها. صحيح أنني لا أجيد إطلاق الرصاص، ولكنني جندي في معركة فكرية، في حزبنا. الفكرة واضحة.

أنا في الواقع نذرت روحي للحزب. حتى إنني لم أعد أفكر في الحب. لم أعد أشغل بالي به. أقول دائما إن الحب والسياسة لا يجتمعان. أن تحب لتقترن بامرأة فقد آن الأوان للابتعاد عن السياسة. وأن تكون سياسيا فقد آن الأوان للابتعاد عن الحب. أستطيع القول دون خجل إن كل الصلات التي جمعت بين الاثنين انتهت إلى الإفلاس. لا أرغب في الزواج. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. نذرت حبي للحزب. لا يسرني أن أرى حزبنا يتكبد الخسارات. صحيح أنه انقسم نصفين. الكلاب. أعداء الطبقة العاملة. الأوغاد. اسمحوا لي إن كنت أتجرأ على النطق بكلمات نابية. سمعنا كلاما يدور في الخفاء عن كون حزبنا سيشق نصفين. قلنا هذا كلام أعدائنا الطبقيين. لم ندر أننا كنا سذجا بالنسخة القديمة. أن يطعن صديقك أو رفيقك ظهرك فهذا يؤلم النفس أمدا طويلا. يعيش الزعيم. نتلقى الضربات والطعنات، ولكننا صامدون في وجه العواصف والرياح والأمطار والنكبات. فليعلم أعداؤنا أننا لن نيأس، ولن نركع. يعيش الزعيم . يعيش الزعيم. ألف مرة. مليون مرة. الأعداء. الكلاب. الأوغاد. أنا أكاد أختنق عندما أتذكر الخيانات. أسأل نفسي دوما: لم لا يكون الساسة رجالا نبلاء كالأطفال؟

(يمسح العرق عن جبينه).

مؤلم ألا تتزوج حبيبتك التي صادقتها أربع سنوات. يكون الفراق مؤلما كالطعن في الظهر. ولكنه شر لا بد منه. لا يجتمع الحب والسياسة أبدا. اذكروا أنها فكرتي أنا. لم أسرقها من كتاب أو رجل فكر. هي من بنات أفكاري كما يقال.

نذرت روحي فداء للحزب الصامد في وجه العواصف والرياح. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم.

لا أنكر أنني أحيانا أكفر بالسياسة وألعنها قائلا: يا ابنة الكلب، مخربة البشرية. أنتم تعرفون أن المرء عندما يكون وحيدا في المقهى يحتاج إلى جليس لتمضية الوقت. وفي البيت كذلك. ينام المرء وحيدا، وبدل أن يضع يده على يد بضّة تشع جمالا يضعها على وسادة لا تملك أيّ أحاسيس إنسانية. يكون الوضع مؤلما أيها السادة والسيدات. أنتن ولا شك تضحكن على غبائي. لا زلت يافعا والوقت لم يمر بعد لكي ألتفت إلى نفسي. ولكن ما باليد حيلة. أقول لكم أنا نذرت حياتي للحزب. أريد أن أبعث الأمل في المجتمع. صحيح أن الأمر يحتاج إلى قرون ولكن لا بد للمرء أن يخطو خطوة إلى الأمام، على ألا يخطو أي خطوة. قد أغير رأيي في يوم ما، ولكن بعد أن أرى بلدي ينعم بالحرية التي تجعل منا آدميين. لست راضيا عن هذا الوضع الذي ينذر بالكوارث. عندما يصير الوضع أفضل قد أغير رأيي. الفكرة واضحة، أيها السادة والسيدات. هل أوضح أكثر؟ ربما يكون السكوت أحسن.

(يشرب الماء).

لا ننكر أن الزعماء كلهم الذين نذروا حيواتهم لأجل الإنسان.. لأجل الكرامة والحرية ولدوا في ضواحي المدن. صحيح أن بعضهم ولد قسرا في المدن ولكنهم عاشوا ردحا من الزمن في الضواحي. السينمائيون ورجال الفن والمسرح والغناء كلهم نزحوا من القرى أو من الهوامش. ربما هذا يحتاج إلى وقفة تأمل كتلك التي نقوم بها بإزاء تماثيل أو نصب تذكارية تمثل ربابنة فتحوا آفاقا جديدة في أعالي البحار أو في أراض بعيدة أو في التصدي للأسياد. يحتاج الأمر فعلا إلى وقفة تأمل عميقة، إلى دراسة يقرؤها اللاحقون. يأتي رجال فقراء من الضواحي ليسكنوا المدن، وعندما يشتد عودهم يبدأون في التفكير والتنظير. لا بأس أن يدخلوا السجون. ألم تُبنى لأجل الرجال؟ قد يتساءل أحدكم: ولكننا لا نرى ساسة في السجون؟ أنا أوافقكم الرأي. لا أحد من الساسة يدخل السجون. في الواقع أنا لم أنتبه إلى هذه الفكرة من قبل. لم يعد الساسة يدخلون السجون. ومع هذا أنا أصيح بفخر: يعيش الزعيم. يعيش الزعيم.

(يشرب الماء).

أتذكر الآن كلمة قالها أحد العمال وهو يضرب في الأرض الضربة الأولى لحفر أخدود: إن هذه الضربة لا يمكن لها أن تكون قوية إلا بالضربة الثانية والثالثة فالرابعة ثم الخامسة. كان عاملا مناضلا في الأممية العالمية. قدم الشيء الكثير للعمال والطبقة الكادحة في دول العالم الثالث بخاصة. قد أكون مجحفا لو قلت إنه كان ملحدا على غرار الدرجة السياسية التي طبعت أواخر القرن التاسع عشر، ولكنه كان صادقا. على الأقل هذا يشفع له خطأه. ولكن لم نشغل بالنا بتلك الأشياء الخاصة؟ فليكن ملحدا أو كافرا أو زنديقا أو كلبيا.. الأهم ألا يكون منافقا وخائنا يخون الثورات. يبكي في الاجتماعات السرية تأثرا بما وقع للعمال في معمل النسيج وقد تعرضوا للضرب المبرح، ولكنه يجتمع بالكبار ليلا. يعد هذا العمل المخزي إسهاما منه في المجهود الوطني للحفاظ على الأمن العام. هذه الطينة تريد القضاء على الثورة وهي شرارة. تظن أنها تقدم خدمات وطنية للوطن. نحن العمال، أبناء الثورات المجهضة الذين يحمون الوطن.

يعيش الزعيم. يعيش الزعيم.

هل نحافظ على الأمن العام بحشر الناس في سجون لمجرد أنهم قالوا: لا؟ ولم خلقت هذه اللاّ؟ الجواب بسيط للغاية. لأن نعم خلقت ساعة خلقت لا. لا لم تعد تقال إلا إذا أريد لها أن تقال. لا تقال عفوا في أي وقت، وفي أيّ مكان. لا كائن غير شرعي أيها السادة والسيدات. لا بد أن يوضع

في ملجأ للأيتام. لا لم تعد تناسب الوضع.

(يمسح العرق عن جبينه).

ليس سهلا أيها السادة والسيدات أن يتحدث المناضل عن سنوات العمل الجاد، عن القراءة المتأنية للإرث السياسي العالمي، وسير الزعماء الأتقياء، والأدبيات التي تسجل الأعمال الخالدة. ليس سهلا أن يعود إلى المجد والحياة المظلمة، والسير في الأحراش فرارا من الأوغاد، والسباحة ليلا في مياه عكرة، وطرق أبواب تَسوُّلاً للأكل بما يسد به المناضل رمقه حتى يكتسب قوة جديدة تؤهله لخوض غمار رحلات إلى المجهول.

(يمسح عرق جبينه بإصبعه).

لم نستسلم وهتفنا جماعة: يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. ثلاث مرات.

يكون التذكر سُمًّا يتجرعه المناضل وهو في العراء.

يرغب في أن يسلم نفسه ثم يتراجع، لأنه قرأ في كتاب النضال المقدس ما يلي: التراجع معناه الانحدار. يفضل المناضل الانتحار على التراجع. لو كان اندحارا فهو إهانة، ولو كان انتحارا فهو عار. نتربى على نكران الذات. لا نهتم ببناء المستقبل بالزواج والأولاد والمال. مستقبلنا هو البشرية كما يقول الزعيم. هو السعادة العمالية.

هو السعادة الأفلاطونية.

هو أن تترك حذاءك في الشارع فلا يقربه أحد، لأن لا أحد يشكو الحاجة أو العوز.

هو أن تدعو شرطيا إلى طاولة في مقهى أو مطعم ليشاركك الطعام. تتبادلان الدعابات السياسية والاجتماعية دون حرج أو خوف. لن يخاف من أن تشي به، ولن تخاف من أن يشي بك.

هو أن تقول لا أو نعم بالطريقة التي ترى أنها صائبة.

هو أن تحدّث من بالخارج كما تحدث نفسك.

هو ألا تخاف على نفسك.

(يمسح العرق عن جبينه بإصبعه).

لا أحد يختار قدره كما يقول الزعيم.

ربما هو اقتبسه من مكان آخر، ولكنه يفي بالغرض.

وأنا أستطيع القول دون خجل:

إن قدري أحمق الخطى ولكنه يصيب الهدف.

أظن أنني اقتبست الكلمة من شخص آخر، فاعذروني إن أخطأت.

لا علينا.

(يصدح غناء وتطبيل جماعي في الخارج).

لن يكون إلا احتفالا بمقدم الزعيم.

(يذرع المكان طولا وعرضا).

يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم.

(يتجه إلى المدخل).

تفضلوا سيدي الزعيم.

إلى الأمام كما عهدناك دوما. إلى الأمام زعيمنا الأوحد.

ادخل سيدي الزعيم . حضورك يبارك مجلسنا الموقر. يضفي عليه سمات الثورة المنشودة. فلتسقط الدكتاتورية.

(لا أحد يدخل، ويخفت الغناء والتطبيل).

هل أخطأت التصويب. ألم يكن احتفالا بمقدم زعيمنا؟ ربما هو احتفال بزفاف في منزل مجاور لمقر حزبنا. أنتم تعرفون أن اختيارنا هذا المقر تم بتقرير كتبته بقلمي. قلت فيه ما معناه: إن كانت أدبياتنا تلحّ على ضرورة الاختلاط بعامة الشعب، فليكن مَقرُّنا اسما على مسمى. وهكذا اخترنا هذه الشقة في هذا الشارع العام ليكون عبرة لمن لا يعتبر. أنتم ولا شك قد سمعتم من الأحزاب الأخرى أننا حزب بورجوازي. يقولون: حزب بورجوازي. يا لسخافة هذه الأحزاب الشبيهة بالصخور. لا ننكر أن من مناضلينا بورجوازيون ولكنهم منفتحون على الطبقة الكادحة. منا المحامون الذين يدافعون عنا ساعة الضيق، ومنّا الأطباء الذين يرتقون الجروح ساعة المواجهة، ومنا الشعب الذي نحتمي به إذا تعرضنا للطعن من خلف أو من أمام.

الحزب الذي أنتمي إليه يدافع عن حقوق الفقراء. أنا دخلت بيته لأن ابن خالتي عضو فيه برتبة لا بأس بها. قال لي: يا ابن خالتي، بما أنني ذكي فقد حشرت نفسي في هذا الحزب. أنا ابن فقير ورئيس حزبنا لا يزال يصارع القوى العاتية التي تريد إيذاء مجتمعنا. صحيح أنه يسكن الآن منزلا مبنيا بالإسمنت والآجر ولكنه قطن من قبل حيًّا شعبيا تشرَّب فيه الأزمات الاجتماعية. في مقر حزبنا صورة لرجل بلباس عامل مصنع يمسك منجلا باليد اليمنى ومطرقة باليد اليسرى. أحببت المنجل لأن أبي يمتلك واحدا منه، وهو يلازمه أيام الصيف، لأنه يحصد به حقول الأغنياء. هم لا يشبهون في الواقع أغنياء الطبقة الأرستقراطية الذين زرعوا الرعب في أوربا. أنا أحبهم لأنهم طيبون ولا يماطلون أبي عندما يطالبهم بأجرته. صادقت أبناءهم. لم يكونوا أغوالا يخيفوننا. كانوا طيبين كأغصان شجر التوت. يقول أبي إنهم يشكون العمال قلة

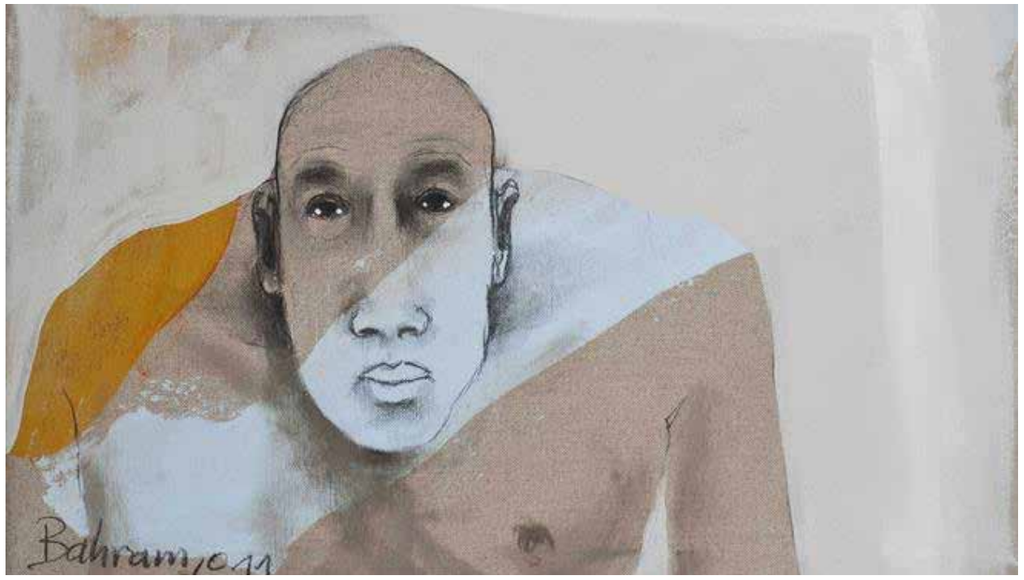

بهرام حاجو

اليد وبخل الحكومة التي تثقل كاهلهم بالضرائب ولا تشفق عليهم. لا علينا، رئيس حزبنا حدثنا عن الأحزاب الأخرى التي تسعى إلى الاستئثار بالحكم في الانتخابات القادمة. حثنا على ضرورة التصدي للحكم الجائر. أشفقت عليه لأنه أرغى وأزبد وتطاير نثار لعابه فأصاب ذوي الرتب الأولى في الحزب. كانوا يكتفون بمداراة الخجل بوضع الأيدي على الأفواه. فهمت في ما بعد أنه علينا أن نحذر لعاب الآخرين. في النهاية رَبَّت الرئيس أكتافنا واحدا واحدا، وقد نمنا ليلتها حالمين بحدائق غناء تحلق في سمائها الطيور المغردة. أنا أحب حزبي وأحب رئيسي وأحب الانتخابات. ابن خالتي قال لي إنه فخور بي أيما افتخار، لأنني رمز التضحية، أضحّي بوقتي وعملي الذي طردت منه شر طردة. قال كذلك إنه سينكب على وضع برنامج لحشر أفراد العائلة كلهم في الحزب. بدا لي معتوها. كيف لخالتي ولزوجها مثلا أن يقطعا عشرات الكيلومترات لحضور اجتماعاتنا. قلت له: يا ابن خالتي، أنا أخالفك الرأي فهما لن يفقها شيئا مما يدور في هذه الحجرة الضيقة . سرت في خديه حمرة الخجل البدوي . قال: لا تعارض أفكاري، إن تماديت في مخالفتي جعلتك من أعداء الحزب. لا يمكن لهذا البلد أن يتقدم إلى الأمام إذا لم نضحّي بالدم والحياة. يا ابن خالتي: أنت لا تخدم القضية الحزبية بهذا العمل، لأنك تسيء إليها بحشر أبويك في ما لا يعنيهما وهما لا يعرفان القراءة والكتابة. أعرف ما يدور في رأس ابن خالتي. يريد أن يربح حزبنا الرهان؛ رهان التقدم والديموقراطية. آلمني حقا أننا لا نصنع الشاي في مقر حزبنا. أقول هذا الكلام لأنني مدخن شره. أحب الأفكار والتدخين والتفكير في البلد الذي يسير نحو الهاوية اللعينة. لا بأس من أن يحشروا الناس كلهم في حزبنا إذا عثروا على مكان يسعهم.

صاحب الحجرة الضيقة يطالبنا باسترجاع ملكه.

يقول رئيسنا: هذا من فعل فاعل معروف. يريد النيل من صبرنا، ولكننا عازمون على المضي قدما نحو الأمام. لن نركع. لن نركع.

أنتم تعرفون ما يقوم به الأوغاد الكبار. الملاك والأرستقراطيون الجدد. الحثالة التي أنتجتها الأمراض الاجتماعية. يبنون معامل وعمارات لاستعباد الطبقات. لا يعرفون أن الثورات جاءت بها البورجوازية التي امتلكت ثقافة فلسفية وأدبية. كانت تنهب صفحات الروايات والقصص نهبا. كانت الشخصيات وهي كما يقال من ورق تناضل لأجل غد مشرق. وهؤلاء، ماذا يملكون؟ في رؤوسهم بِرَك آسنة. ماء كدر فإذا جف نطت منه الضفادع المقززة.

(يشرب الماء).

عندما تتحدث عن الحثالة الاجتماعية لا بد أن تهرق في

بطنك خمسة لترات ماء. تشعر بالعطش رغم أنك شربت قبل لحظات لترا. الحثالة التي تنط الآن هنا وهناك سعيدة بإنجازاتها، وكأنها حققت السعادة للبشرية. تتحدث عن الديموقراطية والحرية فتصاب بالدوار والغبن. هل يجوز لأرستقراطي متنطع أن يتفوه بهذه الحماقات دون أن تفكر في حمل مدية وبقر بطنه؟ كان ابن خالتي مناضلا متهورا. كان يحمل في سترته دوما مدية يهدد بها أعداء حزبنا. جرح يوما مناضلا في حزب منافس فأوقف عن العمل. تحلقنا حوله على سبيل إضفاء القداسة على منظمتنا العتيدة الصامدة في وجه العواصف والرياح، وأمطرناه بالشتائم والسباب من قبيل:

نحن لا نحمل مديات ولا سواطير.

كلماتنا المقدسة هي من تجرح لحم الأعداء اليوم أو غدا.

سيكتب عنا الأوغاد أننا حزب يتبنى العنف للوصول إلى الحكم.

وقد يتجرأ بعضنا على البصق في وجهه.

صحيح أن خسارة مناضل على الطريقة الكلبية يعد اندحارا تاريخيا، ولكن لكل مرحلة رجالاتها.

لابن خالتي أدين بهذه المكانة التي أشغلها اليوم، وإن حز في قلبي أنه فهم المرحلة بالمقلوب. لا علينا. في النهاية كلنا عمال. في البلدية أو في المحافظة أو في الشارع نكنس القمامة، أو في الشركات. نعمل بجد لأجل أن نعيش في سلام. ابن خالتي اليوم يجمع المتلاشيات من الشوارع والأزقة. لا أدري كيف يمكن لي أن أشرح لكم أن وضعه المالي تحسن كثيرا. اقترن بامرأة وأنجب ولدين. تخلى عن هذه الهرطقة السياسية ولم يعد يهتم بمن صعد أو نزل من السلم. أنا لم أتزوج بعد. قال لي رفيق دربي ساخرا: أنت تأكل أبناءك. لم يشرح لي هذا الوغد كيف أنني آكل أبنائي. أنت لكي تلد ينبغي لك أن تقترن بامرأة. أنا آكل أبنائي. أيها الوغد. ابن الكلب الذي يبيع صوته بعشرة دراهم. (يضرب جبهته بقبضة يده). أوه، لا يجوز أن أشتم رفيق دربي. (وكأنه يوجه كلامه إلى أعضاء): أيها الرفاق. أنا أعتذر لرفيقي في الدرب. إن هي إلا زلة لسان. لا علينا. قلت لكم إن ابن خالتي يفكر في أن يشتري مَرأبا ليبيع فيه المتلاشيات. ابن الكلب. يريد أن يحرق طبقته ليتسلم مشعلا من طبقة أخرى. قلت له: يا ابن خالتي. (في وضع المتوسل الباكي). لم تفعل هذا؟ أنت كنت عاملا من الدرجة العاشرة. كنت سياسيا بالفطرة. وكأنك رضعت الأفكار الكبيرة من لبؤة متوحشة. كنت تستطيع أن تفحم حتى المثقف العضوي الذي نفاخر به الآخرين. كنت تقول كلمة فنفغر أفواهنا مستغربين. من أين تأتي بهذه الأفكار أيها الوغد؟ صحيح أن رأسك صغير في حجم بطيخة، ولكن أفكارك كبيرة في حجم جبال الهملايا. كنت سعيدا معنا. كنت تقتات من السعادة معنا. ها أنت صرت تملك مرأبا واسعا. صرت بورجوازيا من تلك الحثالة التي تمتص الدماء كالناموس البري، فهل تظن أنك ستشعر بالسعادة التي نشعر بها نحن؟ أستطيع أن أرد عليك بقولي: كلا. عد إلينا أيها الوغد.

(يشرب قليلا من الماء. ويمسح جبينه بإصبعه).

أريد أن أقول لك ابن خالتي الرفيق القديم الذي بنى صرحنا بالمدية والساطور. كيف أشرح لك ما أفكر فيه بدقة. أريد أن اقول لك.. بعبارة أخرى.. أوه.. إن الكلمات حبيسة أدراجها لا تريد الخروج.. ها هي أخيرا.. واسمح لي إن أنا لم أراع مقدار المعاناة التي قاسيتها حتى صرت من حثالة البورجوازية التي تمتص الدماء كما لو كانت ناموسا بريا متوحشا.. ها هي أخيرا.. نطلب منك نحن أعضاء الحزب، رفاقك القدامى الذين نذروا حيواتهم للحزب المقدس.. للنضال ضد الإمبريالية والاستعمار والتجارة الحرة ، والعولمة.. أن تضع مرأبك رهن إشارتنا في الساعة والحين.

(في وضع المتوسل الباكي).

هل يطيب لك رفيقَنا القديم الذي صار عضوا في حثالة البورجوازية المتعفنة أن ترى رفاقك القدامى يُطردون من هذه الشقة الوضيعة، لأننا لم نعد بالكثرة التي باستطاعتها أن تضمن ثمن الكراء نهاية كل شهر.

تذكر أنك كنت تمسك بالمدية وتجرح سواعد أعدائنا.

تذكر أنك كنت تمنحنا ما تملك من مال حصلت عليه بعرق الجبين. نضعه نحن في صندوق لا يفتح إلا بأوامر القيادة العليا.

صحيح أن المال سرق بفعل فاعل، ولكن هل تظن أن السارق مناضل حقيقي يستطيع مجابهة الرياح والعواصف العاتية؟ أقول لك: كلا.

هل تود لو ترى أوراقنا وأفكارنا وكتبنا التي علمتنا الثورة على حب الذات ترمى إلى الشارع على مرأى من الأعداء؟ كلا. كلا. كلا. ثلاث مرات.

(يُسمع غناء وتطبيل قوي. فيلتفت هو فجأة إلى المدخل ويصرخ عاليا).

يعيش الزعيم .يعيش الزعيم. يعيش الزعيم.

قلت لكم إن الزعيم لا ينسى رفاق دربه الطويل.

قلت لكم أيها السادة والسيادات إنه سيأتي. سيبشرنا بالقرارات التي اتخذت في القيادة العليا. ستكون قرارات تحدد مصيرنا بإزاء ما يحدث لنا من ويلات ونكبات.

(وكأنه يحدث الزعيم. الغناء والتطبيل يتواصل ولكن بخفوت حتى لا يغمر صوت الممثل).

أهلا وسهلا أيها الزعيم.

أهلا بكم وبرفاقنا الأعزاء. لا. هذا غير مناسب. الكرام. لا. هذه كلمة تقال عادة للمحافظين. برفاقنا الأوفياء. هذه كلمة مناسبة جدا.

أهلا بزعيمنا الأوحد.

أهلا بكم وبرفاقنا الأوفياء.

تشرفتم. نلت من الأعداء الإيديولوجيين. من الحثالة.

(يخاطب نفسه). ربما هذا الكلام لا يناسب هذا المقام. أعتذر لكم أيها الرفاق. لا شك أنهم يعضون على النواجذ. بل إنهم يعضون على الأصابع. وربما سيأكلون لحمهم.

أهلا بكم أيها الزعيم.

يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. يعيش الزعيم. ثلاث مرات.

(الغناء والتطبيل يقوى).

أهلا بكم جميعا.

تفضلوا. أدخلوا آمنين مطمئنين.

(يخفت الغناء شيئا فشيئا، وكأنه يأتي من بعيد، ثم يسود صمت رهيب مخز).

ت.. ف.. ض.. لوا..

(يوجه خطابه إلى الجمهور الذي يبدو عليه الذهول لوقع الكلمات، وهو حتما سينفجر ضحكا. أنا متيقن من هذا).

تفضلوا أيها السادة والسيدات.

لم يكن إلا غناء زفاف، أو احتفالا بنجاح تلميذ.

سامحوني إن أخطأت التصويب. فليس كل الضربات تجدي نفعا كما يقال.

أيها السادة والسيدات.

كيف أستطيع أن أشرح لكم ما يحدث؟ إن هي إلا مؤامرة صهيونية أميركية. أنتم تعرفون أن الأيمركان مخربون. انتهازيون. جبناء. أولاد أوغاد. لا يرون أي فائدة في أن ينجز حزب انتصارات في بلده. يريدون أن يرونا متأمركين. سلبيين بلا روح. بلا أحلام. تبا لكم أعداء الوطن.

(إظلام).

(بعد لحظات نرى الديكور عينه، ولكن الممثل الذي رأيناه شابا يافعا، نعاينه الآن شيخا أبيض شعر رأسه، يمسك بعصا، منحني الظهر قليلا. نعاين شيخا يتكبد هزائم أوقعتها به الأمراض).

(الغناء والتطبيل يقوى في الخارج. الممثل يمشي بتؤدة ويضرب بين الفينة والأخرى الأرض بالعصا. دغ. دغ. دغ. ثلاث مرات).

صحيح أن الأعداء اليوم يقولون أشياء من قبيل إن الزعيم مريض أو هو مشرف على الموت، ومن يخلفه؟ وأن الحزب يتعرض للتمزق العاطفي بين إخوة الأمس. هذا كلام جرائد يكون الغرض منه نشر الكراهية بين العمال والقادة. يقولون كذلك إنه يفكر في أن يخلفه ابنه. كلام جرائد غير مأمون الجانب. مدسوس. صحيح أنه عمر طويلا في حزبنا، وقيل كلام يندى له الجبين عرقا من قبيل: أين هي الديمقراطية إن كنتم تطمحون إلى نشرها بين أفراد الشعب ؟. هم لا يدرون أن المرحلة كانت حرجة في تاريخ السياسة. مؤامرات وانقلابات ومعارك وتصفيات جسدية ونفسية. كانت المرحلة باختصار مرحلة تأسيس مبادئ. لم تفهموا قصدي. ربما لأنني لم أستطع أن أوصل الفكرة بوضوح. هذا يرجع إلى عامل السن، والكبر، والمرض. أعتذر لكم إن حصل سوء فهم أو توضيح..

(يمكن التدليل على هذا بأن يعمد بين فترة وأخرى في أثناء الكلام إلى أن يشد على خصره أو قلبه أو كبده ليبث أنينا أو شعورا بنوبة طارئة، وتكون هذه الأمور مغلفة بنكهة السخرية والدعابة) .

آه، أشعر بنوبة حادة في قلبي، ولكن لا بأس من أن يتعلق المرء بالحياة إلى آخر نفس. المسألة ترتبط بمقدرته على تحمل الأعباء كما تحمَّلها الزعيم والأعضاء، والرفاق الأحياء والأموات. السياسة لم تكن في يوم ما طريقا معبدا مضاء بأعمدة كهرباء ساطعة. السياسة.. واسمحوا لي أن أتفوه بالكلمات التالية: كانت طريقا متربا عبدناه بعرق الجبين. كانت ركام قمامة يتوسط الطريق. كانت رأسا صلعاء.

(يضحك).

الشَّعَر هم نحن.

بهرام حاجو

نبت الشعر بعد صبر طويل.
ولا بد أن تتخلله شعيرات بيض تبدو مشاكسة. تحدث انتكاسات وانقلابات، ومؤامرات عشوائية تسعى إلى بث الفرقة بين الرفاق. كانت مرحلة تنظيف البيت من الوسخ. صحيح أن المرحلة كانت في حاجة إلى تصفية الإرث القديم. ولكنها أثمرت عصرا جديدا من الأفكار.
آه، بكبدي وجع لا يطاق. (يشد على منطقة الكبد).
الأوجاع كثيرة، وإذا أضفنا إليها أوجاع العواطف الجياشة التي حرمنا منها نكون قد حققنا سبقا في أن نظل دوما الإنسان الذي يريد التحقق من أنه كان على صواب. لم يكن يرى إلا الجانب المضيء في الطريق.
كانت مرحلة حرجة أيها السادة والسيدات. واسمحوا لي إن استعملت الكلمات التالية: لم ينل مني الحب مناله، لأنني نذرت حياتي للشعب.
أنتم أنجبتم أبناء.
أنا أنجبت أفكارا.
أنتم انشغلتم بالحياة، تفرون إلى السينما أو المطاعم أو الحدائق ساعة الشعور بالضيق.
أنا كنت أبني عالما تكونون فيه أنتم سادة العالم.
كنت أنزع وسخ الحب عن قلبي.
كنت أقول: لن نكون أهلا للحب حتى نتمكن أولا من أن نكون إنسانا يقدر معنى الحب.
كان الزعيم يقول (الحب مخيب للآمال عندما يقترن بالسياسة. نتزوج النساء لنمتص رحيقهن أمدا طويلا، فننجب أولادا يصيرون عبيدا، مع أن الواقع يفرض علينا أن ننجب الأفكار التي تغير العالم).
آه، معدتي تحتاج إلى الدواء.
(يستل علبة دواء من سترته ويتناول حبة مع الماء).
ربما كنا مخطئين، ولكن المرحلة كانت حرجة. كانت تتطلب تضحيات عظيمة.
لم تكن مرحلة التغني بأناشيد الحب والنساء.
كانت مرحلة خريف جمعنا فيها الأوراق المتساقطة من الأشجار.
كان يعاب على المرء أنه لا يكترث لموقعه في هذا الواقع .
كان عليه أن يفعل شيئا لأجله.
واسمحوا لي أن أقتطف كلاما للزعيم (المرحلة اقتضت أن نجابه رومانسية الحياة بواقعية التخلي عن اللذة. أن ندع الحب جانبا حتى نبني دورنا بعرق الجبين، وبعدها يحق لنا أن نُسَوِّد الأمة).
يبدو هذا الكلام مضحكا. كانت المرحلة مسرحية مضحكة مثّلنا فيها أدوارا صبيانية.
لا تبنى المجتمعات إلا بالإنصات إلى رنين القلب.
ربما كنا على صواب، وربما كنا على خطأ.
ما يهمنا الآن هو أن نضحك قليلا على أوهام عِشْنا فيها ردحا من الزمن.
صحيح أن المرحلة كانت حرجة، كانت مصابة بالجرب، وقد وجب علينا أن نقتلعه بأظافرنا، إنما.. واسمحوا لي أن أصرح قائلا: بعد أن اقتلعنا الجرب ونظفنا البيت من الحشرات.. افهموا قصدي أيها السادة، أمَا كان يحق لنا أن نثمل لحظات حتى نرى الوجه المقلوب للحياة؟ افهموا قصدي أيها السادة.
كانت مرحلة مسلية جدا.
يقولون: ولم أنجب الزعيم أبناء؟
نقول لأعدائنا: هو خلاصنا الذي فدانا بزواجه.
صحيح أننا اليوم عالة على الآخرين، ولكن المرحلة..
افهموا قصدي أيها السادة..
يكون عليّ دوما أن أجد مبررات للفشل الذي أصبنا به جميعا.
ولا بأس إن أنا علقت هذا الهم بمشجب المرحلة..
كانت مرحلة.. (يضحك)
تبا لها ولنا ولكم جميعا.
افهموا قصدي..
المرحلة..
أوه، يا لهذه الأفكار الصبيانية التي تسلّينا بها في ما مضى من الزمان..
افهموا قصدي أيها السيدات..
لم نترككن لأنكن لم تكنّ جميلات..
كانت المرحلة حرجة.. كنا ننشد أناشيد الخريف أيها السادة.
(يتوارى عن الأنظار والضحك يتعالى في الفضاء، ثم يسود صمت مريب. التصفيق في هذه الحال ضرورة لا بد منها فقد جرت العادة أن تنتهي المسرحيات بهذه اللازمة دوما).

المحمدية: من ماي إلى سبتمبر 2014.

كاتب من المغرب

حالة حصار

مشهد من مسرحية

حمادي المزي

بيت الشاعر

ناظم : (يذرع المكان جيئة وذهابا وهو في حالة قلق. يتوقّف بين الفينة والفينة وينظر من خلال النافذة كأنّه ينتظر شيئا. صوت رضيع يبكي يصاحب هذا المشهد) أن ننام الآن لنستيقظ بعد مئة عام ؟ إنّ عصري لا يخيفني ولست هاربا منه. أنا لم أندم يوما لكوني أتيت هذا العالم باكرا.

منور : ابنتك مصابة بالسل وابنك مازال رضيعا. وأنا لا أستطيع أن أوفّر لهما...

ناظم : لا فائدة في تذكيري (بغضب) رأسي يتمزّق. قلبي ينفطر.

منور : ثمن كتبك وترجماتك لا تفي بالحاجة.

ناظم : دوسي قلبي المملوء بالأعاصير وأمواج البحور، دوسي.

منور : (باحتجاج) هل فكرت في ابنك ؟ آه. أجبني. هل فكرّت؟

ناظم : إنّ قلبك لم ير بهذه الأعاصير حتّى يخفق ولو قليلا. ولو قليلا ! فلا القارب الذي ينشر شراعه معاكسا الأمواج، ولا الأوراق النحيلة التي تداس تحت قدميك قادران على جعل قلبك الصخري يدرك الصواب.

منور : أيها المتكبّر العنيد. فكّر في حاضرك. دع عنك كلّ هذه الأوهام.

ناظم : أريد التغلب على قيظ هذا الحاضر اللعين الذي يشدك. واعلمي أنّ الآتي أفضل من حاضرك هذا.

منور : مللت سماع هذا الكلام.

ناظم : إنّ وضع الآمال في أدراج المستقبل يقينا السقوط في خيبة الحاضر. ويزرع فينا الأمل في لحظات إحباطنا.

منور : فكّر في حاضرك أيها العنيد، ففيه يكمن تحقيق مستقبلنا.

ناظم : أن ننسى شرط المستقبل فذاك الجنون بعينه. السعي العنيد الدائب ذو المنعرجات والمنعطفات يكمن فيه تحقيق ذواتنا.

منور : الحياة شيء جميل فلم كلّ هذه العقيدات؟

ناظم : نعم الحياة شيء جميل وعلينا أن نحياها إلى درجة أن نموت في سبيل بقائها.

منور : (بغضب) كلمات، كلمات، كلمات. نفس الكلمات دائما ونفس الإصرار والعناد.

ناظم : آه! ليت بوسعي أن أصبّ في قلبك النيران التي تلهب فؤادي. كيف نقف الآن موقف المتفرّج الآمن؟ كيف؟ لا يسعنا في هذه الحالة إلاّ أن نخجل من طمأنينة عيشنا، بصغرنا، وتفاهة وجودنا أمام جراح عالمنا.

منور : وجراحي أنا؟ آه هل فكرت فيها؟ لم قدّر لأناس أن يحيوا في هذا البؤس؟

ناظم : أجمل أيام العمر لم تشرق بعد. أجمل أنهار العالم لم نرها بعد.

أجمل أطفال العالم لم تكبر بعد. وأنا لم أهمس في أذنك أجمل ما أتمناه أن أهمس لك به.

منور : (وقد تجاوزت حدّة غضبها) سأموت إذا كنت سأفقدك إلى الأبد.

ناظم : (مواسيا) فلتهدأ نفسك يا حبيبتي. فلو أنّهم نجحوا في شدّ الحبل في عنقي ما وجدوا في عيني سحابة خوف. فستبقين أنت وسيبقى أصحابي، وبلجي في عيني حتّى مغرب آخر أيامي. وسأذهب لا أستشعر لوعة، إلاّ لوعة أغنية لم تكتمل.

منور : أوّل مرّة أشعر فيها بالخوف والرّعب.

ناظم : لا عليك. في اللّحظات الفاصلة في عالمنا نعيش لحظات فاصلة بين الزمن المعتم والزمن المشرق. سوف يعين الناس الناس. ستشفى ابنتي، سيكبر ابني ستشرق

سمير المنذي

في عينيك الصافيتين الضحكات. في اللّحظات الفاصلة نحيا.

منور : كلماتك يا حبّي تنبض أحزانا ومرارة، تتدفق أملا وشجاعة. كلماتك يا ذا القلب الذهبي فيها ثقل الأيام وبريق الأنجم.

ناظم : أنا وأنت تعلّمنا أن نحتمل الجوع ولسع البرد وثقل الإرهاق. أنا وأنت تعلمنا أن نحيا منفصلين لكنّنا لم نقترب من كف الموت. علينا أنا وأنت تعليم الآخرين لينضمّوا إلى صفوف الشعب. أن يزدادوا للمستقبل حبا. (صمت).

منور : لعلهم سيأتون إلى بيتنا خلال دقائق، أو حيثما الفجر يولد. وسينقضون عليك كالكلاب المسعورة. وسيسوقونك إلى السجن برفقة كتبك ووسط عسكرهم...

ناظم : (يقاطعها) حتّى وإن ظفروا بي وبك. أنا داخل جدران السجن وأنت بخارجها أسوأ شيء نفكّر فيه، أن نحمل في أنفسنا السجن (يقترب منها) دعيني الآن أتأملك

لأبصر فيك ربيع الأرض. لأبصر فيك ربيع الآفاق (يعانقها) إيه أنت يا حبيبتي، بل يا أمّى ويا زوجتي ويا أختي، يا من تحملين الشمس على جبينك، أيتها الطفلة الحلوة في عيونها من ذهب، يا طفلتي التي عيونها من البنفسج الأصهب.

منور : (تمازحه) أتتذكر لما أردت أن تشتري لي باقة من البنفسج الأصهب وكنّا جياعا فأكلنا بثمنه خبزا أسمر؟

ناظم : (يعانقها) ترى ما الذي سيبقى في ذاكرتنا؟ لا شيء؟ سوى بعض الكلمات؟ هل سيبقى الحزن كذلك في أعماق القلب؟

منور : متى ستعود الشمس تملأ قلوبنا ثانية بالدفء؟

محمد : (طفل في الخامسة من العمر يدخل مسرعا) أبي أبي العسكر، العسكر.

منور : (تنظر من خلال النافذة).

[صوت جزمات العسكر، تغيير في الإضاءة، في خلفية الركح le lointain نشاهد العسكر يكتسح الفضاء في تحركات كوريغرافية. يأخذ هذا المقطع نسقا تصاعديا حتّى نهايته].

ناظم : بنيّ، هل يكون نصيبي يا صغيري أن أراك بعد الآن؟ أنا أعلم أنّك ستكون رشيقا كسنبلة. عيناك ستكونان واسعتين كعيني أمّك، وسيغشاهما من حين إلى حين حزن غريب. جبينك سيكون وضاء وصوتك جميلا. سنغني أغنيات حلوة تلامس القلب.

منور : إنّهم قادمون (تتوارى).

ناظم : يا ولدي. لا تعذب أمّك، لا تعذبها، أنا لم أستطع أن أمنحها الضحك فاجعلها أنت ضاحكة. دع وجهها يضحك على الدوام. أمّك قوية كالحرير وناعمة كالحرير. أمّك ستبقى جميلة حتّى تصبح جدّة، كأنّها يومئذ هي التي التقيت بها أول مرّة وهي في السابعة عشرة: ضوء القمر، ضوء النّهار، سمرة الخوخة قبيل نضجها بل أجمل ما تكون المرأة في دنيانا.

(يمكن خلق موازاة على مستوى الحركة الحركية بين منور زوجة ناظم التي نشاهدها تهيئ أغراضه وتعدّ حقيبته وكتبه، ومعطفه الطويل ونظاراته ودفتره الأسود وقبعته السوداء وربطة عنقه الحمراء وغليونه وكذلك منامته الحمراء. وفي المقابل نشاهد الجنرالات يعطون تعليماتهم للعساكر الذين يطوّقون المكان. من خلال هذه الموازاة نستشف منطقتين متباينتين: الأولى نؤكّد فيها على الجاب الشعري، أمّا المنطقة الثانية فنؤكّد فيها على جانب العنف والعنهجيّة في أقصى مظاهرهما).

ناظم : بنيّ لا تعش في الدنيا مستأجرا كمن جاءها ليصطاف. عش دنياك كأنّها بيت أبيك. ثق بحبّة القمح، ثق بالأرض، ثق بالبحر، ولكن ثق أكثر من ذلك بالإنسان. أحبّ البحر، الكتاب، الريح، أحبّ الغيوم، ولكن أكثر من ذلك أحبّ الإنسان. أحسّ بحزن الغصن الذي يجف، بحزن النجمة التي تنطفئ، بحزن الحيوان العليل، ولكن أحسّ قبل ذلك بحزن الإنسان. النور والظلمة يعطيانك السرور، الفصول الأربعة تعطيك السرور ولكن الإنسان أعظم مسراتك (يعانقه) بنيّ إنّي في لهفة إلى أمّك، إلى إخوتي، إلى وطني إلى شعبي. علّني أموت بعيدا عنك ولكن الحياة التي تنطفئ بي ستبقى جذوتها فيك أنت سنين معدودة من عمرك ولكنّها ستبقى إلى الأبد في شعبي.

منور : (تدخل من الجهة اليسرى حاملة أغراض ناظم)

(كوكبة من العسكر تكتسح الفضاء من كامل الجهات).

العسكري التركي: هو ذا.

العسكري الإنكليزي : Here he…

العسكري الفرنسي : Le voilà notre poète, notre héro, ami d'Aragon et de Jean Paul Sartre !

العسكر الإيطالي : eccolo…

ناظم : (ينظر إلى ابنه وزوجته) يقف الجلادون بيننا كجدار يفصلني عنكما (على حدة) فؤادي يعصف بي (يواجه ابنه) يا ولدي… (الجنود يتقدّمون نحو ناظم).

العسكري الإنكليزي : (يعطي إشارة للتوقف –الجنود يتوقفون في حالة استعداد).

ناظم : (يهمس إليه) قد يحرمني القدر لقاءك ثانية ولكني أعلم أنّك ستكون ثابتا كسنبلة. أعرف أنّ عيناك ستغشاهما أحيانا سحابات حزن مريرة. فلتكن رفيقا بأمّك ورفيقا لها، إنّها أحكم الأمّهات (يقبّله، ثم يأخذ أغراضه من زوجته منور).

منور : لا تثقل رأسك بهمومي. انس همومي ولا تنسني.

إظــلام

علا الأبيوي

مسرحي وكاتب من تونس

أكاذيب صغيرة

مسرحية من فصل واحد

درويش الأسيوطي

الشخصيات:

(1) **الشيخ:** قصير هادئ فوق الستين يلبس نظارة طبية.
(2) **رجل1:** شاب في العشرين حاد الملامح والطباع يلبس ملابس عادية.
(3) **رجل2:** في الأربعين متوسط الذكاء تبدو عليه آثار العلة.
(4) **رجل3:** ضخم الجثة فوق الأربعين يبدو مسالما.
(5) **رجل4:** ضئيل الجسم حركي.
(6) **المرأة:** متوسطة الجمال في الأربعين من العمر.
(7) **العالم:** في الخمسين يلبس ملابس مختلفة عن السائد يمسك حقيبة أنيقة بيده.
(8) **العامل:** يلبس نفس طراز ملابس العالم في العشرين ضخم الجثة.
(9) **العامل2:** يلبس نفس ملابس العالم في الثلاثين ضخم الجثة.

المنظر:

[الساحة الرئيسية بالمدينة، نحن أمام ساحة تاريخية، شيخ على كرسي متحرك في وسط المكان تحت بقعة إضاءة يقرأ في صحيفة قديمة في وقار وصمت واستغراق. تدخل مجموعة أهل المدينة من الرجال وبينهم امرأة. الجميع يتقدمون في خطوات رتيبة شبه موقعة. وقد رفعوا في أيديهم وأمام وجوههم تماما أوراقا أشبه بالمنشورات، يقتربون بهدوء والشيخ مستغرق في القراءة لا يبدو أنه يشعر بهم إلا عندما تضيق الدائرة حوله، يلقى الجميع بأوراقهم عند قدميه ويجلسون حوله في شبه دائرة كاملة].

الشيخ[: [ضاحكا] ما هذا؟
يقدم إليه أحد الحضور واحدا من المنشورات في صمت، ينظر إلى المنشور من تحت نظارته ويعاود الضحك]
أتصدقون هذه الأكاذيب الصغيرة؟!!
[ملوحا بالصحيفة القديمة في وجوههم]
علينا أن نثق في صحفنا!
رجل1 : ولكنها قديمة؟
الشيخ : [هاربا إلى وسط الدائرة]
أتظن أن العالم تغير منذ صدورها؟!! لا شيء جديد..
[مغن] مع الإنسان..
منذ وجود الإنسان..
وجد الخير..
كما وجد الشر.. سيان..
رجل1 : [مقاطعا] أريد أن أعرف.. الجميع: نريد أن نعرف.. كلنا..
الشيخ : [مغنيا بسخرية] كلنا.. نحب القمر..
[ضاحكا] ماذا تريدون ؟
رجل2 : هل ما جاء في هذه الأوراق.. صحيح أم لا.. ؟
الجميع : نريد أن نعرف
رجل1 : نريد..
الشيخ : لا.. لا تنزعجوا.. إنها مجرد أكاذيب.. والأكاذيب يا أحبتي.. كالعالم.. لا تتغير.. ستظل برغم كل شيء.. مجرد أكاذيب صغيرة..
المرأة : زوجي يا شيخ.. لم يعد من يومين إلى البيت..
الشيخ : مخطئ.. زوجك مخطئ يا سيدتي الجميلة.. من له امرأة مثلك.. لا ينبغي أن يتأخر عنها إلى هذا الحد..

خالد تكرلي

المرأة : أخشى عليه..
الشيخ : وأنا موجود ؟!!.. لا لا..
رجل1 : هل سنظل هنا إلى الأبد؟
رجل2 : نريد أن ننام..
الشيخ : ناموا..!
رجل1 : أين؟
الشيخ : أرض الله واسعة..
رجل3 : أرضنا ضاقت بنا..
المرأة : بناتنا تشكو العنوسة أيها الشيخ..
رجل4 : لا أجد مسكنا لأعيش فيه.. أريد أن أتزوج..
الشيخ : ولماذا الزواج.. ؟ أتريد أن تعقّد المشكلة أكثر؟ الناس لا تجد المأوى.. هل تريد أن تضيف مشاكل جديدة ؟!!
رجل1 : أنت المسئول عنا..
الشيخ : [يقرأ في الجريدة] ارتفاع حقيقي في الأجور..
الجميع : ماذا؟
الشيخ : هذا.. من الأخبار الخارجية..
الجميع : [بامتعاض].. يووه..
الشيخ : [عائدا بكرسيه للخلف] نحن حريصون كما ترون.. على متابعة شؤون الدنيا في صحفنا..
رجل3 : لكن ماذا عني أنا؟!!
رجل2 : ماذا عنك؟
الشيخ : أتظن أنك حققت إنجازا بتوقفك عن التدخين؟!!
رجل4 : [يخرج نصف سيجارة ويعيد إشعالها في عصبية]
قل له هذا الأحمق..!! وما الفائدة؟!!
رجل2 : أستطيع أن أشتري اللحم كل أسبوع..!!
رجل4 : [متفلسفا] هناك ملايين لا تدخن.. ولا تأكل اللحم..
وملايين أخرى تأكل الحم ولا تدخن..!!
الشيخ : [يقرأ] الترويكا تزور المنطقة...
المراة : التروي.. ماذا ؟أهي نوع جديد من العطور؟
رجل4 : أظنها من أدوية الأمراض المتوطنة.. وإلا ما الذي جاء بها إلى المنطقة؟!!
المرأة : أنا أبحث عن زوجي
الشيخ : إن لم يعد.. تزوجتك أنا..
[ضحك من الجميع] اضحكوا..!! أزيحوا ما تضعونه على قلوبكم من غم.. !! نحن رغم ما نحن فيه نعيش على تلّ من ذهب!!..
الجميع : تلّ من الذهب؟!!
الشيخ : نعم.. هكذا قال الخبراء.. التاريخ..التاريخ يا أحبتي..
رجل1 : وما دخل التاريخ والجغرافيا في الذهب؟!!
الشيخ : إن كان عمرك 4000 عام.. أليس هذا إعجازا؟ هناك دول عظمى.. عمرها مئات السنين.. بل عشرات السنين..!!
المرأة : ومن هذا الذي يعيش 4000 عام؟
الشيخ : أنت..
المرأة : بعد الشر.. أنا بنت كذا وعشرين.. لكنه الحزن يغير

الإنسان..

الشيخ : هذا التاريخ القديم الذي يقف في هذه الساحة.. يكفينا لأن نعيش بلا مشاكل.. ما بقي لنا من عمر..

الجميع : كيف؟

الشيخ : بالتخطيييييط..

رجل1 : طيط ؟!!

الشيخ : نعم.. لا أقصد طبعا التخطيط.. أي التخطيط.. ولكن أقصد التخطيط التخطيط..

رجل2 : [مندهشا] لا أفهم..!!

الشيخ : أحبتي.. لا بد أن نعترف أن هناك مشكلة.. هل تعترفون؟

الجميع : نعترف

رجل2 : قلت لك لا أفهم..

الشيخ : أعلم.. أعلم.. ولهذا أحدثكم باستفاضة مملة.. نحن في ضائقة.. أتعلمون ؟

الجميع : نعلم..

الشيخ : لكنكم لا تعلمون أننا لسنا وحدنا..

رجل3 : هل هناك من هو مثلنا فى الدنيا

رجل2 : لا أظن..

الشيخ : بل تأكد.. واحمدوا الله..

المرأة : السلع عندنا غالية

الجميع : نعم..

الشيخ : لكنها موجودة.. هناك من لا يجد القوت..!!

الجميع : يا ستار..

الشيخ : ولا الماء..

الجميع : يا حفيظ

الشيخ : مجاعات

الجميع : يا لطيف

الشيخ : جفاف وقحط..

الجميع : يا رحمن

الشيخ : الحمد لله.. كدنا نخرج من عنق الزجاجة

رجل1 : لثلاثين سنة أسمعه يقول ما يقول..

الشيخ : أنا لا أملك عصا موسى.. ولا بساط علاء الدين..

رجل3 : أتعني أنك لا تجد حلا لمشكلتنا؟!!

الشيخ : من قال هذا.. سألنا أهل العلم..

رجل4 : أهل العلم من؟

[يدخل من الخلفية رجل في ملابس غريبة مخططة بالعرض]

الشيخ : أقدم لكم.. نابغة التخطيط.. وبحوث العمليات.. عالم حقيقي..

الجميع : عالم؟!!

العالم : عفوا.. أنا جاهز.

[يعلق حقيبته التي يحمل على كتفه ويفرك يديه]

الشيخ : اسمح لي يا سيدي بتقديمك.

العالم : لا وقت لديّ.. لا وقت

رجل1 : اشرب شايا..!!

العالم : في الخامسة تماما

المرأة : لقمة على ما قسم..!!

العالم : في السادسة تماما.

رجل4 : نصف سيجارة.

العالم : [يخرج من جيبه ساعة غريبة ويقربها من أذنه] بعد أربعين دقيقة وربع.. يمكن أن أعاود التدخين..

الجميع : يا سلام..

الشيخ : دقة..

العالم : هل أنتم مندهشون؟

المرأة : بل أنا معجبة..

العالم : [في مراهقة مفاجئة] بل أنا المعجب.. !! تصوري.. لم أكن أتوقع أن أجد بين هذه الخرائب.. من لها هذه العيون.. أو هذا القوام.. أو هذه الـ.. [مشيرا إلى الأرداف]

الجميع : والمشكلة؟

العالم : المشكلة أنكم تعقدون الأمور.. [للمرأة] طبعا تعرفين ما أعنيه؟

المرأة : أعرف.. وأعرف أنكم تسهلونها..

الشيخ : يا مسهل.. هل ندخل في الموضوع..؟

الجميع : ندخل..

الشيخ : نحن نعرف أن وقتكم ثمين.. ونحن سعداء برأيكم في المرأة عندنا.. ماذا نفعل

العالم : [هارشا رأسه ثم بعد لحظات] الأمر بسيط.. يلزمكم مشروع قومي للإسكان.

رجل2 : إسكان؟

رجل1 : أين؟

رجل3 : لا يوجد شبر في المدينة من الأرض الفضاء..؟!!

العالم : لا بد من إخلاء هذه الساحة..

الجميع : ماذا؟

رجل2 : وبيوتنا؟

رجل3 : مقابر أجدادنا.

رجل4 : كل ما نملك هنا..

الشيخ : صبرا.. صبرا.. لا تقلقوا.. نحن أصحاب القرار..

العالم : لا تقلقوا.. كله في الخطة..

رجل2 : بيوتنا.

رجل3 : مقابر أجدادنا.

المرأة : أطفالنا.

العالم : هناك خطة للحل على مراحل.. خطة مرحلية.. برنامجنا له قلب.. وعيون..

المرحلة الأولى قلب..

الشيخ : قلب..

العالم : إخلاء المباني العامة فقط.. لا مساس بغير ذلك

الشيخ : لا مساس [جانبا] في هذه المرحلة..

العالم : المدارس.. الملاجئ.. دور الحضانة.. المسارح.. المسارح يجب إزالتها أولا.

رجل2 : والموظفون..

العالم : كله في الخطة.

رجل2 : ماذا عن الموظف.

العالم : سيتحمل المشروع راتبه..

رجل3 : دون عمل؟

العالم : يكفي أن نعمل نحن.. نيابة عنكم.. ويمكن لمن يريد أن يعمل في الفنادق.. في المطاعم.. في دور النقاهة والاستشفاء والملاهي..

رجل3 : ألا يوجد في خطتكم.. مصانع مثلا..؟

العالم : [منزعجا] أووه.. لا بالتأكيد..!! هل تريد أن نلوث البيئة..؟!! نحن نريدكم كما أنتم.. مدينة خضراء.. مزارات تاريخية.. فنادق.. حدائق.. ملاهي.. لا ينبغي أن نلوث جلال التاريخ..

رجل1 : ومن يرفض..

العالم : يمكنه أن يهاجر..

الشيخ : لم لا.. نحن بلد حر.. لا نمنع أحدا من السفر.. ليس لدينا قائمة منع..

رجل1 : ويترك بلده..

العالم : يا عزيزي.. الهجرة سلوك حضاري.. طبيعي.. الحشرات تهاجر.. الأسماك تهاجر.. الطيور..

رجل2 : والمرحلة الثانية؟

العالم : سنكون مستعدين لاستيعابكم في شقق مفروشة.. مضاءة...

المرأة : شقق مفروشة؟ مضاءة؟

العالم : بالطاقة الشمسية.

رجل4 : بالطاقة الشمسية؟

العالم : وأطباق التقاط البث المباشر..

رجل3 : البث المباشر؟

العالم : ستشاهدون ما يحدث في العالم لحظة بلحظة.. منوعات رائعة.. 24 ساعة.

رجل4 : هذا جميل.

الشيخ : ألم أقل لكم.. لا تقلقوا..

العالم : تبقى لدينا مشكلة بسيطة..

الجميع : يووه.. مشكلة مرة أخرى؟

الشيخ : يقول بسيطة.. بسيطة إن شاء الله.. لا تعقدوا الأمور..

رجل2 : وما هي؟

العالم : مشكلة.. هندسية..

رجل3 : هندسية؟

العالم : بحتة..

رجل1 : ومالنا ومال الهندسة البحتة؟

رجل2 : عندنا مهندسون..

الشيخ : المشكلة تحتاج لرأي الخبراء..

العالم : فعلا..

الشيخ : ونحن نحب أن نترك العيش لخبازه..

العالم : لا أفهم

رجل1 : لا تفهم.. وتحل مشكلتنا ؟

الشيخ : نحن نفوضك في حل المشكلة بالطريقة الهندسية المناسبة..

العالم : أنا ديمقراطي.. هل توافق الأغلبية على رأيك هذا؟

الشيخ : طبعا.. أتوافقون؟

أصوات : موافقون..

العالم : هذا جميل.. هذا حسن..

[يخرج من الحقيبة ورقة مطوية بشكل معين يبسطها على الأرض ويخرج بعدها ختامة كبيرة يضعها إلى جوار الورقة] عليكم توثيق هذا الرأي بالتوقيع عليه بأقدامكم..

الجميع : بأقدامنا؟

العالم : نعم.. بأقدامكم اليمنى.. هذا مهم.. إخلعوا أحذيتكم..

رجل2 : كنا نبصم بأصابعنا.

الشيخ : هنا المفاجأة.. حذاء لكل مواطن..

[يبدأ الحضور في خلع الأحذية]

رجل3 : يذكرني هذا بأول حذاء اشتريته.

رجل4 : هل يزول هذا الحبر؟

المرأة : ومتى كان آخر حذاء اشتريته؟

رجل3 : لا أذكر..

رجل1 : لن يزول هذا الحبر..

رجل4 : ومن يحتاج إزالته؟

العالم : ماذا قلتم؟

الشيخ : [يخلع حذاءه] موافقون..

الجميع : موافقون..

[يتقدم الشيخ ويضع بصمة قدمه على الورقة فيتبعه الجميع] **العالم :** هذا جميل.. هذا حسن.. هذه وثيقة حسن النوايا..

[يطوي الورقة ويعيدها والختامة إلى الحقيبة في حرص ثم يعطي إشارة بيده للخارج]

الآن.. نبدأ العمل..

الجميع : الآن..

العالم : نعم الآن.. لا وقت لدينا نضيعه.. علينا أن نفعل شيئا للإنسانية..

رجل3 : إنسان والله.

رجل4 : مخلص.

المرأة : ورقيق..

الشيخ : ودقيق..

رجل3 : عالم..

[يدخل رجلان يدفعان أمامهما آلة تقترب في شكلها الخارجي من آلة درس القمح، لكنها تأخذ الشكل البشري. ولها فتحتان أحدهما الفم، وقد رسمت عليه ابتسامة عريضة وينبغي أن نلاحظ الشبه بين الآلة وتمثال الحرية] **العالم :** اقتربوا..

[الشيخ والعاملان يرددان خلف العالم] أصوات : اقتربوا.

العالم : اصطفوا..

أصوات : اصطفوا

العالم : الأطول فالأطول..

أصوات : فالأطول.

العالم : هنا خلاصكم..

أصوات : هنا خلاصكم

العالم : أدخلوا إلى فردوسنا الحضاري..

اصوات : أدخلوا ادخلوا..

العالم : تخلصوا من كل ما يثقل نفوسكم من عنصرية.. من الشك والقلق.. والخوف والضغينة..نحن أبناء أمّ واحدة.. هي الأرض.. [مشيرا لفم الآلة] هذا مدخلكم للحل العلمي لمشاكلكم.. أبشروا..

أصوات : أبشروا

العالم : الأمر ليس صعبا.. وليس معقدا.. بهذه الآلة.. سنحل مشاكلكم الهندسية

[يضع العالم في الآلة مفتاحا فتصدر عنها نغمات مختلطة لنشيد بلادي بلادي والماسليز وحفظ الله الملك ودينج دونج في لحن عبثي]

[الشيخ يصفّ الناس صفًا واحدا أمام فم الآلة] **رجل1 :** ما هذا يا مجانين؟

المرأة : لعلها آلة تبخير.. لن تضر.

رجل4 : أمراض الصيف زادت.

رجل3 : لن نخسر شيئا..

المرأة : سنوفر الصابون.

العالم : أدخلوا ... أدخلوا في صمت..

أصوات : أدخلوا أدخلوا..

العالم : رددوا اللحن الإنساني.. لحن الخلاص من مشاكلكم المزمنة.. من عقدكم القديمة.. أمامهم أيها الشيخ..

[ينهض الشيخ من على كرسيه المتحرك نشيطا، يبدأ في الدخول وخلفه الجميع واحدا واحدا إلى داخل الآلة، وعندما يختفي الجميع داخل الآلة أو هكذا يبدو، تبدأ الآلة في إصدار أصوات مزعجة وتتحول إلى ثعبان ضخم بعد لحظات

يسقط من الجانب الآخر من ناحية الذنب مكعب صغير في حجم علبة السجائر أزرق اللون يسرع العالم ويلتقط المكعب في حرص ويتجه للصالة]

لقد كانت مشكلتنا في حجمكم.. أنتم تشغلون مساحات أكبر من اللازم.. وهكذا يكون الحل العلمي.. أن تكونوا بهذا الحجم المناسب.. أيها الأصدقاء.. لن نحتاج إلى كل هذه الأرض لتسكنوا فيها.. لن نحتاج إلى كل هذا التاريخ.. نحن نريدكم بهذا الحجم..

[يفتح المكعب ويخرج دمية للشيخ]

الحجم المثالي.. التاريخ الإنساني أيها الأصدقاء.. دائرتان.. فاعل.. ومفعول به.. لقد كنا في يوم من الأيام في الدائرة الثانية..! يومها جئتم أنتم لكي تمارسوا الفعل الحضاري بشروطكم.. من فوق ظهور خيولكم.. والآن.. جاء دورنا

خالد تكرتي

نحن لنعبر إليكم فوق آلاتنا..!! ونمارس نحن الفعل الحضاري الذي توقفتم أنتم عن ممارسته..!! وبإتقان..

العامل1 : [يحضر مكعبا آخر] هل هذا الحجم مناسب يا سيدي؟

العالم : أعتقد.. وأعتقد أيضا.. أن مترا مربعا واحدا يكفي لاستيعاب كل هؤلاء.. بعد أن وضعناهم في الحجم الأمثل.. أما بقية هذه الأرض.. كل الأرض.. فهي لنا....!! دورنا الحضاري هو الاستغلال الأمثل لكل الموارد.. أليس هذا هو التعريف العلمي للإدارة؟ الاستغلال الأمثل لكل الموارد المتاحة..

العامل2 : إنهم يتصرفون في مكعباتهم وكأنهم ما زالوا بحجمهم القديم؟

العالم : دعهم في وهمهم.. يظنون أن العالم لا يتغير.. هذا في مصلحتنا.. دائما.

[يضحك بشيطانية] **العامل1 :** أستطيع أن أحضر أسرتي؟

العالم : طبعا.

العامل2 : كلبي سيجد مساحة واسعة ليجري..

العالم : ذكرتني.. كيف حاله الآن.. أما زالت تنتابه المخاوف النفسية.

العامل2 : لا.. عالجه الأخصائي النفسي.. وهو الآن بخير..

العامل1 : كلما تذكرت حالته.. صوته الضعيف.. بكيت..

العالم : نعم.. نعم.. أنا كذلك..وكلما تذكرت النظرة الحائرة في عينيه.. استعصى عليّ النوم..

العامل1 : رقة مشاعر إنسانية..

العالم : نحن البشر.. نملك الحس الإنساني.. ولهذا نحن أفضل المخلوقات.. ولكن هذه الأفضلية لا تعطي لنا الحق أن نتجاهل حيواناتنا البائسة.. علينا أن نعاملها بلطف.. ورقة وحنان.. علينا أن نعطي لها من الحرية ما يمكنها من العيش

دون مشاكل نفسية.. تذكروا إننا رسل حضارة.. وأن علينا أن نقيم مجتمع الحرية.. والإخاء.. والمساواة.. لكل البشر..

العامل1 : [منزعجا] كل البشر يا سيدي؟!!

العالم : [يضحك] لا أظنك تقصد.. [يلقي بالمكعب على الأرض وبدمية الشيخ في يده] إشش.. بدأ الشيخ يفيق.. [مخاطبا الدمية] ماذا تقول يا سيدي.. ارفع صوتك.. تريد أن تنام ؟! لا تقلق.. عندي بيت جميل.

[يخرج من الحقيبة نموذجا لبيت خشبي ملون] لا تقلق.. عندي بيت جميل.. بحديقة صناعية.. لا تحتاج إلى ريّ.. انظر يا سيدي.. حجرات واسعة.. بالنسبة إليك طبعا.. حمامات.. ملاعب.. كل شيء مناسب لحجمكم الجديد..

[ينصت] ماذا ؟ لا لا لا تصدق.. تكلفة المشروع مناسبة.. لا تصدق.. إنهامجرد أكاذيب صغيرة..

[يضحكون والثعبان يعود مرة أخرى إلى شكل تمثال الحرية]

إظلام

كاتب مسرحي من مصر

الإضاءة الأولى

السيرة والذات

زبير بن بوشتة

«يضاء مكان مهجور يشبه خلاء أو مقبرة بلا أيّ انتماء ديني، ليست بمسيحية ولا بيهودية ولا بإسلامية. مقبرة تشبه كل هذه المقابر ولا تشبهها. مريودة، قيّمة المقبرة، سيدة في منتصف العمر، بملامح غير محددة. تتفحص باستغراب هندام شخصين يقفان منغرسين في مكانهما ظهرا لظهر دون حراك في هيئة تمثال واحد بوجهين يتشابهان وكأنهما نفس الوجه يتكرر في كلتا جهتي التمثال نفسه. تتملاه مستقرئة ملامحه»

مريودة:

أنف معقوف، شاربان أشقران، معطف بُنيّ ناعم، بريه باسكي، يبدو هذا الوافد الجديد وكأنه قادم للمنادمة وليس للدفن حيث الموت سيد المكان.

«تمعن في سجلّ مفتوح بين يديها»

أرسلوا الجثة من المستشفى العسكري بلباس مدني. «لحظة» موتى آخر الزمان! لم يعد ثمة من يقيم للمصاب الجلل ما تستحقه هيبة الموت من إجلال وتقديس. «لحظة» يتجرأون على إرسالنا ميّتهم مجردا من كفنه بل وبملابسه الحياتية؟ كيف يجرأون على فعل مقيت مثير للقرف كهذا؟!

«تتفحص رأس التمثال»

يبدو رأسه غير حليق. لم يمسس المقص شعرة منه. استكثروا فيه حلق شعر الرأس والعنة والإبطين، وأكيد أن الجثة لم تمر بمغسل، أما الكفن فلا شك أنهم احتفظوا به لاستعمال أهم.

«تتطلع إلى سجل بين يديها وتقرأ بإمعان»

يسجلون في كناش موته أن الوافد ليس غريبا على المقابر فالسجل يذكر عن زمن أخطائه بالحرف:

«تقرأ نقلا عن السجل. وكل ما تقرأه ينعكس كتابة على سور المقبرة»

(لا أعرف ما يحفزني دائما إلى التجوال في المقابر؟ أهو سلامها أم هي عادتي أيام نومي فيها؟ أم حبا في الموت؟) كما يذكر أن الوافد كان يمتهن الكتابة لذلك فإنهم وضعوا جردا لمرفقات جثته والتي تحتوي على أقلام متنوعة في الأشكال والأحجام التي عادة ما كان يحتفظ بها في الجيب المستور من معطفه.

«تخرج أقلاما من الجيب الداخلي للمعطف. بتلقائية تجرب الكتابة بها على السجل. كل ما تخطه ينعكس مباشرة على سور المقبرة»

(كتبتُ.. في المقابر اليهودية، والنصرانية، والإسلامية خاصة المقابر التي يرجع عهدها إلى القرن التاسع عشر في طنجة، ربما لأن المقابر القديمة أكثر إيحاء أو لأني أحب الموت القديم.)]

«تخاطب التمثال»

الآن وأنا أكتشف السر وراء إرسالهم إياك بكامل هندامك الدنيوي، فأنت تأتي إلى هنا لتحيا حياتك الأخرى التي فاتك أن تحياها هناك.

«تدخل يدها في جيب المعطف وتفتشها»

عشتَ استناء وها أنت تموت استثناء لتنبعث هنا مرتديا معطفك المعتاد بجيوب ما خلت يوما من علبتي سجائر اثنتين:

«تخرج علبة أولمبيك الزرقاء»

أولمبيك الزرقاء لاحتراق الصباحات السوداء،

«تتبعها بإخراج علبة مارلبورو»

ومارلبورو لرماد المساءات الشقراء،

أسامة دياب

«تخرج ولاّعة»

وما بينهما ولاّعة بيضاء بلا انتماء، قد تضيّعها وقد تضيّعك في زحمة الكلام والقهقهات العابرة.

أين لي بك وافدا غريب الطلعة والأطوار؟ «لحظة» في الغالب الأعم يظهر على دفناء المقبرة العجز والوهن بأطراف حجّرها جمود بارد بمجرد دفنهم. لا تعدو تنتفض أرواحهم الهادئة على إثر زيارة قريب أو صديق ثم تعود مستكينة إلى مثواها. ما إن توضع رؤوسهم على أوسدة أتربتهم حتى يستسلمون لسبات الأواخر.

«صمت طويل، تتأمل التمثال، ثم تخاطبه»

ما بي أرى في فيك نبع حياة، كأنك لم تمت، منذ أن حللتَ هنا وجثمانك في شغب وصخب! هل يُعقل أن يكونوا هناك في المستشفى العسكري قد أخطأوا إرسالك إلى هنا عوض إرسالك إلى حفل توقيع كتبك في المكتبة الوطنية؟

«تقترب من التمثال أكثر لتتملّى ملامح وجهيه»

بأنفك المعقوف تبدو متعجلا قلقا. ما إن يستقر بك مقام حتى تتعجل استبداله. مددناك وقفتَ، أقعدناك انتصبت. كل الدفناء غارقون في نومهم الأفقي تحت أرضي، إلا أنت فقد أصررت على الرقاد وقوفا كجبل تدغين لا تمل من معاندة عصف الأيام بقوارص بردها وبقوارض قيظها. في نظرتك ما يكفي من الرؤيا وفي أنفتك شظايا من عنف العشيرة. «لحظة»

وافد لا تُشبه باقي الدفناء. فمن أين جاءك الكتاب؟ من

الخلف أم من الأمام؟ أنزل عليك أم أصعدته من جحيم القاع؟ وهل أوتيتَ كتابك بيمينك أم بشمالك؟

شك:

«الوجه الأول للتمثال» بيميني أوتيتُ كتابيَ.

«يمدها كتابا باليد اليمنى بعنوان: الخبز الحافي»

ري:

«الوجه الثاني للتمثال» بشمالي أوتيتُ كتابيَ.

«يمدها كتابا باليد اليسرى بعنوان: «زمن الأخطاء»

مريودة:

«تستلم الكتابين وتتأملهما محدثة نفسها»

دفين بكتابين هذا ما أنزل به من سلطان!

«بشكل استعراضي»

أنت هو محمد شكري الملقب برجل الخبز الحافي؟

«ينشطر التمثال إلى شخصين بسرعة فجائية. يفترق كل واحد منهما عن الآخر في تقابل»

شك وري:

«الاثنان معا وبإيقاع سريع وتلغرافي»

نعم أنا هو محمد شكري الملقب برجل الخبز الحافي.

مريودة:

للتو كنتما واحدا فكيف صرتما بغتة اثنين؟

شك وري:

اثنان في واحد!

مريودة:

«تصرخ فيهما بصرامة» باختصار! من منكما محمد شكري الملقب برجل الخبز الحافي؟

شك وري:

«الاثنان» أنا

مريودة:

أنتما واحد أم اثنان؟

شك وري: اثنان في واحد

مريودة:

بلغة أهل الدنيا، اثنان في واحد تساوي اثنان. أما بلغة دار الحساب والعقاب فالمفروض أن تكونا واحدا بكتاب واحد. أنتما اثنان بكتابين. فمن منكما محمد شكري الملقب برجل الخبز الحافي؟ أنت أم أنت؟

شك وري:

«الاثنان» أنا

مريودة:

واش بغيتو تحمقوني؟ أنتما واحد أم اثنان؟

شك وري:

اثنان في واحد...

مريودة:

تساوي اثنان. وأنا أريد واحدا بكتاب واحد.

شك:

أنا كاتب وما كتب.

مريودة:

باليمنى أم باليسرى؟

ري:

أخذت الكتاب بقوة...

شك:

«يكمل»...حتى أحيا

مريودة:

كما لو أنك يحيى!

شك:

أنا من أحيا الكاتب والكتابة.

ري:

أنا من عاش الكاتب والكتابة.

«على إيقاع سريع تتداخل حواراتهما إلى أن تصير أهزوجة يتغنيان بها»

أنا من أحيا الكاتب والكتابة.

أنا من عاش الكاتب والكتابة.

مريودة:

أنا هنا القيمة على سير حياتكم في مماتكم، والسجل يقول إنكما دفين واحد فلا يعقل أن أمنحكما قبرين، هذا ليس عدلا، حتى وإن تعلّق الأمر بكاتب ذاع صيته بين سائر البشر بل وحتى العفاريت. لكما الحق في قبر واحد كما يحق لجميع الأموات. كما تعرفان، كثرت الوفيات وأثمان القطع الأرضية ارتفعت فلا يعقل أن نظل نوزع المقابر على ذوي النزوعات التجريبية في استنساخ الأصل والمفصل. «لحظة»

ري:

أنا لست استنساخا...

شك:

«يكمل».... أنا كاتب وما كتب.

مريودة:

«تصرخ فيهما» اسكاااااات! أريد منكما أن تتقمصاكما

لتحكيا لي عن الكاتب وما كتب لأدرك مَنْ مِنكما الأصل ومَنْ مِنكما النسب! «لشك» أريد منك أنت، أن تتقمصك كاتبا بأناقة فتوتك وحلم نظراتك. أما أنت «لري» لك أن تتقمص الطفل الشريد الذي كنته.

«يسرع شك إلى الجانب الآخر من الركح ويقتعد كرسيا بجانب طاولة تكدست فوقها كتب وقواميس وينكب على الكتابة»

شك:

أنا كاتب وما كتب وإن لم تصدّقيني فها أنا ذا في مقهى السينطرال أكدس حولي الكتب والقواميس، أكتب ما تيسر لي من السيرة والذات.

«في هذه الأثناء يتأبط ري صندوق ماسح أحذية ويتوجه إلى حيث شك ليعرض عليه خدمته. يضع شك إحدى قدميه على صندوق تلميع الأحذية منشغلا بالكتابة دون إعارة أدنى انتباه للطفل ري ماسح الأحذية الذي انكب على تلميع الحذاء»

ري:

أنا هو السيرة، والذات أنا، وإن لم تصدقيني فهأنا ذا في ريعان الطفولة ألمع حذاء كاتب يكتبني فأعيشه.

«تعم الظلمة أرجاء المكان إلا حزمة ضوء خافتة مسلطة على شك وري في وضعيتهما»

[1] «_ftnref1» \l «post=338025&action=edit» – زمن الأخطاء. محمد شكري. ص: 42. الطبعة الأولى. الرباط. 1992

[2] «_ftnref2» \l «post=338025&action=edit» – نفسه

[3] «_ftnref3» \l «post=338025&action=edit» – تدغين أعلى قمة جبلية في سلسلة جبال الريف ويبلغ ارتفاعها 2465 مترا

الإضاءة الثالثة

وردة أرناها أريجها

«تلاطم قوي لأمواج هادرة. أنطيوس منكب على منضدة. يبدو أن تجاربه العلمية تستحوذ على تركيزه. تزمجر العواصف بحدة أعنف من تلاطم الموج. لحظات. يسمع وقع حوافر حصان، حينا يقترب وحينا آخر يبتعد. ينتبه أنطيوس على إثر تصاعد الوقع».

أنطيوس: وكأن كائنا يقترب! أو لربما هو شيء يُتدبر! «لحظة إنصات»

بلى إنها حوافر تبتعد! تراها تركض أم أنها ترقص؟

لعلها تطوي المسافات! أم تراني أستهيم بأوهام فراغ يلفني داخل هذه المغارة المشرعة على الظلمات؟

منذ أن زج بي هرقل ههنا، لم يناجِ أذني إلا زئير البحر وعويل العواصف..

عشر سنوات، وجها لوجه أنا وهذا الصخب الصامت وهو يلوح لي بطيف موتي، يحصي علي أنفاسي. فأنّى لك أن تقبض على روحي يا هرقل الانتصار؟

«وقع الحوافر يزداد حدة ممزوجا بهدير البحر وصفير العواصف»

وهذا الوقع، ما يعنيه يا ترى؟ أحصان يقترب أم تراه يبتعد؟

كدت أنسى وقع حوافر الأحصنة، إيقاعَها حتى! أتراه إيقاع ركض أم رقص أم رفس للأحشاء؟

أم تراه هرقل هذا الذي

يلهو الآن بالبحار وبالأشجار

يؤجج جحيم الآلهة بغابات الغار.

يعبث بالسحب ويبعثر مجاري الأنهار.

ينفخ في الناي صولة الانتصار

فيتزوبع الكون على رقصة الإعصار...

وكأن الحرب لهو والحرائق متعة...

«يصيخ السمع باهتمام أكبر»

كم هو حي فيّ هو هذا الموت، وكم هي متجبرة فيّ هذه الهزيمة.كأنه هرقلٌ يتعملق في الخلايا، يتجذر في أعماق الكيان والأعمدة. يجثم على صدر أمي الأرض. يجتث الموج من قلب نيبتون: أبي!

«يقترب من الفجوة المطلة على البحر ويخاطبه»

أبي يا بحر الهزيمة...

منذ أن لملم هرقل حدائقي

وانتزع من رأسي

إكليل مملكتي

واستباح تفاح جداتي

الهيسبيريديات

وأنا أتعايش وموتي..

أنّى لأجنحتي أن تسترد حرية تحليقاتها؟

أنّى لزوجتي طنجيس أن تستعيد شهقة الحب في أحضاني؟

... وهرقل يكبلني بخيار مشروط: أن أخترع سلاحا فتاكا

أسامة دياب

يستعين به على إتمام أشغاله الإثني عشر و إلا أعدمني
على مرأى من الطيور والوحوش
على مرأى من أمّي الأرض
على مرأى منك أنت! نيبتون!
أبي! يا بحر الظلمات!
على مرأى من كل الآلهة والأقزام
أوَ لازال للكون رب يستحق أن نموت من أجله؟
«يعود إلى داخل المغارة. كما لو يخاطب طنجيس المنزوية خلف عمود»
عشر سنوات وجها لوجه أنا وموتي ولا ثالث لنا إلا هذا المختبر... أستقطر من إنبيق الاحتضار قطيرة حياة أزرعها في مسام المادة لتصير روحا يشتهيها هرقل آلة تحصد الأرواح.
وكأن الصلاةَ حرب والآلهةَ خدعة.
«يصير الوقع أقوى أو ربما أقرب»
أنطيوس: نهاري شمس تطلع في المغيب.
طنجيس: ليلي قمر يطل من فجوتي ويمرق في البعيد.
أنطيوس: تراني صرت شبحا في مهب كيمياء وقت أخلطه نهارا بليل علني...
طنجيس:.... أعثر على أصل لظلي المتلاشي في الغياب...
أنطيوس: علني...
طنجيس:... أقبض على نصفي المتوحد في اليَباب.
أنطيوس: وكأني في ظلمات كينونتي...
طنجيس: وجه يطارد ملامحه.
«تصير طنجيس أقرب من أنطيوس. لا يبدو على الاثنين أيّ تعبير بالمفاجأة وكأنهما لم يفترقا كل هذه السنين»
أنطيوس: أريج أرنته وردته.
طنجيس: وردة أرناها أريجها.
أنطيوس: أستنشق عطرها في عفونة جسدي المنخور بالرطوبة.
طنجيس: أستنشق عطره في تحليقة نورس.
أنطيوس: أستنشق عطرها في تراتيل لا تنتهي لموجة غضبى تأبى الموت على عتبة المغارة.
«تحضنه»
طنجيس: أشتاق إليه وقد استسلم لأحضاني ككسيح أقعدته عزلة المغارة...
«تحضن وجهه بكلتا يديها»
أنطيوس: أشتاق إلى راحتي كفيها تحضنان وجهي...
«يعبث بضفائرها ويفكّها واحدة واحدة»
طنجيس: أشتاق لخشونة أصابعه وهي تتغلغل بين ضفائري وتفكها بجنون حنون.
أنطيوس: تشتاق شفتاي الجافتان لرحيق شفتيها المبتلتين حنينا...
«تحضنه»
طنجيس: هو يصير أنا.
«يحضنها»
أنطيوس: هي تصير أنا.
«يلتحمان للحظات»
الاثنان: روحان تحلقان في نورس واحد، يصير آثنانا.
أصوات تغني: أنا من أهوى، ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتَني أبصرتَه
وإذا أبصرتَه أبصرتَنا
أيها السائل عن قصتنا
لو ترانا لم تفرق بيننا
روحه روحي وروحي روحه
من رأى روحين حلّت بدنا [1]
«ينتبه أنطيوس كما المستيقظ من حلم»
أنطيوس: ياه وكأنني أفيق من غفوة!
«يتفقد ما حوله»
كدت أنسى الكون وما يعنيه الزمن! عشر سنوات مرت وكأنها غفوة!
أحقا هي من كنت أعانق منذ لحظة؟ أم تراها دياجير المغارة وقد تفجرت فجأة ضَيا؟
«طنجيس متهالكة على عمود في الحديقة تعصر بين يديها تفاحة ذهبية»
أم ترى هذا النور المحزوم في غمد روحي جرعة حياة تقتحم علي موتي المؤجل من فجوة جسد بلوري؟
«يصيخ السمع. وقع حوافر الأحصنة وهي تبتعد»
يا حراس! أما آن لهذه الحوافر أن تتوقف... ها قد عاثت في الأحشاء غُثُوا؟
«يسود ظلام تدريجي فضاء المغارة»

[1] ديوان مولانا الحلاج الحسين بن منصور. قصيدة «روحان في جسد».

كاتب مسرحي من المغرب

دولة السيّد وحيد الأذن

مسرحية صامتة

صباح الأنباري

الصامتون:
مجاميع المحتفلين
رجالات الحماية
فقراء ومعدمون
مجموعة من الجند
الرجل أو دولة صاحب الفخامة وزوجته الحبلى
قائد الجند
رجل معمّم
مصور تلفازي
أربع ممرضات وممرض واحد
دولة السيّد وحيد الأذن

قبل العرض:

{تتوهج الإضاءة ويرتفع صوت الموسيقى فنرى، أمام بوابة قصر فاره بطراز غير محدد بمعلم عمراني، مجاميع من المحتفلين يتحركون هنا وهناك وهم يحتسون النبيذ المعتّق أو ما شاء لهم من أنواع الشراب المختلفة. نساء ورجال بملابس فخمة جداً وبطرز تدلُّ على الجاه والثراء. بين بوابة القصر وأرضية حديقته مَدْرَجٌ عريض مرتفع بشكل مبهر، وعلى جانبيه بعض التماثيل النصفية لأشخاص غير محددة وجوههم مع عدد من تماثيل الحيوانات المفترسة، وعلى مساحة الحديقة في الجزء الملاصق للمَدْرَجِ يقف أعيان الناس بملابسهم الجميلة الراقية، وخلفهم مباشرة يتجحفل رجالات الحماية مثل جدار عازل بين الأعيان وأفواج المعدمين والفقراء ذوي الملابس الرثة البالية، وحول الجميع يَتَحَلَّقُ الجند بملابسهم الحربية الكاملة. تتحول الموسيقى فجأة إلى ضربات طبول مختلفة تنتهي بضربة صنج قوية ومدوية فيتوقف الجميع عن الحركة}.

المُصْمَت الأول:

تنفتح بوابة القصر، ويخرج من خلالها دولة صاحب الفخامة وإلى جواره تسير زوجته الحبلى، يبدو من حجم بطنها أنها على وشك الولادة، ومع بدء حركة البوابة يبدأ المصور التلفازي بتصوير الحدث فتظهر صورته على شاشتين ثبتتا على جانبي البوابة ليرى المحتفلون جميعاً ما لا يستطيعون رؤيته بسهولة. يركّز المصور على بطن الحبلى بتقريبها شيئاً فشيئاً حتى يمتلئ الكادر بها. يحيّي دولة صاحب الفخامة المحتفلين برفع يده إلى الأعلى فتردّ عليه الجموع الغفيرة برفع أيديها إلى الأعلى. تتحرك الكاميرا بينهما، وتمتلئ الشاشة بصورة أيديهم وهي تحيّي الرجل. يدخل من البوابة نفسها أربعة رجال وهم يحملون هَوْدَجاً ضخماً أعدّ خصيصاً ليكون غرفة للولادة. تتبعهم أربع ممرضات بملابسهن البيض الناصعة. يتقدمن من المرأة الحبلى. ينحنين لها ويرافقنها إلى داخل هَوْدَجِ الولادة. يرفع الرجل نخب بدء ولادة الطفل المرتقب فيفعل مثله الأعيان فقط. يذهب جيئة وذهاباً أمام الهَوْدَج. يتوقف قليلاً وهو يفكّر بقلق واضح. يعاود المشي جيئة وذهاباً مرة أخرى. يتوقف برهة أمام الهَوْدَجِ يتنصت. يفزّ من صرخة المخاض. يعاود المشي بينما الجميع يغرقون في صمت مطبق، وترقب كبير منتظرين صرخة وليّ العهد الأول لدولة صاحب الفخامة. يزداد الرجل قلقاً وارتباكاً ينظر لساعته اليدوية. يضرب يديه بعضهما ببعض. يتوقف في منتصف المكان أمام الهَوْدَج. يقفز فرحاً حال سماعه صرخة الطفل. يمدّ قبضته إلى الأعلى بفرح غامر وبنشوة عارمة فيفعل الجميع مثله صارخين بكلّ ما لهم من القوة (هيه). تتساقط الورود بألوانها وأنواعها من شرفة القصر على رؤوس المحتفلين، وفي الخلفيّة تتصاعد الألعاب النارية مضيئة الفضاء

خالد تكرتي

المحيط بالقصر مع الموسيقى. يشير الرجل بيده فتدخل للمكان عربة محمّلة بالهدايا. تتوقف العربة أمام جمهرة الفقراء ومن داخلها ترمى الهدايا على الناس الذين بدأوا يتدافعون ويتزاحمون للحصول على المزيد منها حتى يكاد الكلّ يحصل على ما شاء من رزم الهدايا. تدخل عربة أخرى وبالطريقة نفسها ترمي الهدايا فوق رؤوس الناس. يتقدم دولة صاحب الفخامة من الناس. ينثر على رؤوسهم أوراقاً مالية يتدافعون من أجل الحصول على بعضها وما إن ينتهي من رزمة حتى ينثر رزمة أخرى وأخرى. تخرج من الهَوْدَجِ الممرضة الأولى ثم الثانية، فالثالثة، فالرابعة وهي تحمل المولود الجديد ملفوفاً بأغطية من الحرير. ينتبه دولة صاحب الفخامة إليهن فيترك الناس في هرجهم ومرجهم. يرتقي المَدْرَج. تقترب منه الممرضة الرابعة. تثني ركبتيها برشاقة احتراماً لدولته. يقذف رزم المال إلى الممرضات، ويدسُّ عدداً آخر منها في جيب الممرضة الرابعة. تسلّم الطفل للرجل الذي أربكه الفرح، وغمرته المسرّة. يأخذ المولود الجديد. يضمّه إلى صدره بحنان وانبهار. يرقص معه على إيقاع تصفيق الأعيان. تنقل الكاميرا الحدث أولاً بأول ثم تركز على المولود الجديد أو دولة وليّ العهد. يزيح دولة صاحب الفخامة الأغطية الحريرية من على رأس الطفل فيفاجأ بشكل رهيب حتى يكاد الطفل يسقط من بين يديه. يقرّب المصور وجه الطفل حتى تمتلئ الشاشة به. ينظر الرجل إلى المصور بانفعال وغضب ثم يستدير بسرعة في محاولة منه لحجب وجه الطفل عن الكاميرا. يظهر على الشاشة ظهر الرجل وقد امتلأ الكادر به. يهرع الرجل المعمم إلى المصور ليوقفه عن نقل الحدث. يهمس في أذن أحد رجالات الحماية فيشير الأخير للناس بمغادرة المكان. ينسحب الكلّ تباعاً: الفقراء، ورجالات الحماية، والجند، والأعيان حتى تفرغ حديقة القصر تماماً. تأخذ الممرضة الرابعة المولود الجديد من الرجل وتتجه به إلى الداخل. تتبعها الممرضات الثلاث. يحمل الرجال الأربعة الهودج ويتوجهون إلى الداخل أيضاً. يظلّ الرجل ساهماً مفكراً يائساً وقانطاً. يتوجه مع الرجل المعمّم إلى الداخل

فتغلق البوابة بعدهما ببطء.

المُصْمَت الثاني:

يظهر دولته جالساً على كرسيّه الفخم. يدخل المعمّم من اليمين، وقائد الجند من اليسار. ينحنيان له بوقار. يقتربان منه. ينهض. يسير بضع خطوات بارتباك. يتوقف بينهما. يضغط على زر في الجدار الخلفي فتظهر صورة المولود الجديد مقرّبة جداً على شاشة في منتصف ذلك الجدار. يقف دولة صاحب الفخامة تحت الصورة مباشرة. ينظر إلى المعمّم والقائد. ينتبهان له بتركيز شديد. يشير بإحدى يديه إلى صورة الطفل وتحديداً إلى جهة الوجه التي ليس لها أذن. ينتبهان إلى أن المولود الجديد بأذن واحدة فتكون ردة فعلهما واضحة. يفرد دولة صاحب الفخامة يديه إلى الجانبين ثم يضرب بعضهما ببعض بقوة وعلى وجهه ملامح غضب وحزن في آن. يرفس كرسيّه الفخم بتألم وهو ينظر نحو الصورة. يبرك مطأطأ الرأس حزيناً ومهموماً. يتحرك الرجل المعمّم مفكراً وهو يطارد فكرة من أفكاره الجهنمية. يشير إلى أنه التقط الفكرة تواً. يذهب إلى صاحب الفخامة. يضع يده على كتفه. يلتفت صاحب الفخامة إليه فيبتسم المعمّم. ينهض الرجل مندهشاً ومتفائلاً. يتحرّك نحو كرسيّه الفخم. يجلس عليه منتظراً بتلهّف وفضول. ينحني المعمّم له مستأذناً. يخرج برهة ليعود بعدها محملاً بدمى أطفال بحجم المولود الجديد. يضعها واحدة جنب الأخرى. يستلّ خنجراً من تحت جبّته. ينظر نحو قائد الجند مبتسماً بخبث. يتقدم منه. يسلّمه الخنجر. ويقفل راجعاً لمكانه. يشير إلى القائد بالاقتراب من الدمى. ينظر لصاحب الفخامة بارتباك فيشير له بالرأس إشارة الموافقة. يقف خلف الدمية الأولى. ينظر إلى المعمم فيشير إليه بقطع أذنها وإذ يقطعها تظهر صورة المولود الجديد على الشاشة ويبدو التشابه واضحاً بين الدمية والمولود الجديد. يقطع أذن الدمية الثانية فتظهر صورة المولود الجديد ثانية، وثالثة، ورابعة حتى آخر دمية. يسرّ الرجل (دولة صاحب الفخامة) لمرأى الشبه بين وليده وبين مجموعة الدمى. يصفّق مبتهجاً وقد غمرته فرحة عظيمة. يقبّل المعمم الذي لم يسبق له تقبيله بطريقة صبيانية. يعاود الجلوس على كرسيّه الفخم. يصفق ثلاثاً فيدخل الحاجب. يشير له بإدخال رجالات الحاشية. يدخلون تباعاً. يحتلّون أماكنهم في بهو القصر. يشير إلى الحاجب مرة أخرى فيخرج لتدخل فرقة الرقص الوطنية. يقف أعضاء الفرقة بهيئة قوسين على جانبي المكان. ينحنون لصاحب الفخامة بطريقة مسرحية فيشير ببدء الرقص. تدور كؤوس الشراب والحلوى على الحاضرين. تؤدي الفرقة رقصة الدبكة العربية، ثم الكردية، ثم اليونانية على إيقاع موسيقى (زوربا). تنسحب الفرقة خارجة بعد أن تحيّي الرجل. تنطلق موسيقى الفالس. يبدأ رجالات الحاشية بالرقص وإذ ينتهون يحيّون صاحب الفخامة وينسحبون. ينسحب الجميع إلا الرجل وقائد الجند. تتركز الإضاءة عليهما فتفصلهما عن بقية الموجودات. يستلّ الرجل خنجراً من نطاق القائد ويضعه فوق يديه. يمسكه من جانبي ذراعيه ويشدّ عليهما بقوة. ينسحب القائد خطوة إلى الوراء بطريقة عسكرية. يؤدي التحية وينصرف بعزيمة واندفاع لأداء مهمته الجديدة. يظلّ الرجل ناظراً في إثره حتى تختفي الأضواء تدريجياً، ويظلم البلاط.

المُصْمَت الثالث:

يفتح الضوء على شكل دائرة أسفل اليمين. يظهر داخل محيطها القائد بلباسه الرسمي ونياشينه المختلفة. يظهر الرجل المعمّم والمنادي (قارئ الفرمان) بهيئة تدل على القراءة الخطابية بحماس، والى جانبه يقف الطبّال الذي ينقر على طبله بين فقرات الفرمان التي يؤديها المنادي بحركات رشيقة في دائرة ضوئية أخرى أسفل اليسار، وفي دائرة ثالثة أعلى الوسط يقف الممرض بملابسه البيض الناصعة، وخلف الكلّ بعض من جند القائد بكامل ملابسهم العسكرية. يشير القائد للمعمّم فيشير المعمّم إلى المنادي بالانتهاء من الفرمان. يتوقف عن حركاته ويبدأ بطيّ فرمانه الطويل. يشير القائد إلى جنده بالتحرك فيتحرّكون، بالهرولة الإيقاعية، باتجاهات مختلفة إلى الخارج. نسمع صوت جلبة وضوضاء، وبعد برهة يعود أحد أفراد الجند بصحبة طفل صغير وأبيه. يحاول الأب استرجاع الطفل لكن الجندي يبعده بقوة. يضع الجندي الطفل على سرير العمليات الصغرى. يتقدم القائد منه. يستل خنجرا من محزمه. يسلّمها للممرض ويشير عليه بقطع أذن الطفل. يعود القائد إلى محله فينظمّ له الرجل المعمّم. يقطع الممرض أذن الطفل بحركة سريعة ومباغتة. يصرخ الطفل صرخة قوية ثم يستمر بالبكاء بينما تنطلق

خالد تكريتي

الزغاريد من وراء الجدران ممتزجة بالعويل. يعالج الممرض جرح الطفل مضمّداً إياه. يسلّم القائد رزمة من النقود للرجل المعمم فيسلّمها بدوره لوالد الطفل ويأمره بالمغادرة. يأخذ الرجل ابنه ويغادران. يدخل فرد آخر من الجند بمعية طفل آخر وأبيه. يضع الأب طفله على السرير ويقوم الممرض بالقطع والمعالجة. تتكرر عملية القطع والتضميد، وتسليم الرزم المالية. يصطفّ الناس في طابور يمتد من السرير إلى خارج المكان وكلّما قطعت أذن تنطلق صرخات الطفل مصحوبة بالزغاريد المبتهجة بتطهير الطفل من الأذن. يشعر الممرض بالتعب فيتوقف عن القطع. يشير القائد بإصبعه إلى المنادي. يتقدم المنادي من القائد بحركة سريعة. ينظر في عينيه فيفهم ما يريد منه. يتحرك المنادي نحو الممرض بحركة سريعة أيضاً. يتوقف أمام الممرض. ينظر في عينيه فيفهم ما يريد. يقف المنادي بين الممرض وطابور الناس يمنعهم من تقديم أطفالهم إلا بدفع مبلغ من المال وكلّما استلم مبلغاً كلّما سمح للدافع بوضع ابنه على سرير التطهير. تجري عمليات التطهير من الآن فصاعداً بسرعة فائقة حتى ينتهي الممرض من آخر طفل، وحتى ينفضّ الناس عن المكان. يشير القائد إليهم باقتسام المال فيتقاسمونه كلّ حسب الخدمة التي قدّمها. يستمرون بعدّ النقود وتوزيعها مثل ورق اللعب (بوكر) حتى يظلم مسرح الحدث تماماً.

المُصْمَت الرابع:

نسمع من خلال الظلام موسيقى الفالس. تفتح الإضاءة فنرى وليّ العهد ذا الأذن الواحدة وقد غدا شاباً يافعاً وهو حاسر الرأس. يتحرك بين ضيوفه حاسري الرؤوس أيضاً والكلّ بأذن واحدة حسب. يرقصون ويحتسون ما لذّ لهم من المشروبات الروحية الراقية. ترافق كلاً منهم امرأة جميلة وكلّ جميلة بأذنين كدليل فيزيولوجي على أنوثتها، أو هكذا أشيع بين الناس، كما أشيع أن الأذن الواحدة دليل على الذكورة والفحولة. يدخل جندي إلى المكان قادماً بخبر لدولة السيد وحيد الأذن. يقف أمامه. ينحني له برشاقة. يأذن له دولة السيد وحيد الأذن فيقترب الجندي منه. يهمس في أذنه فيوافق دولته على ما أراد الجندي. يعطي الجندي الإشارة للفرقة الموسيقية

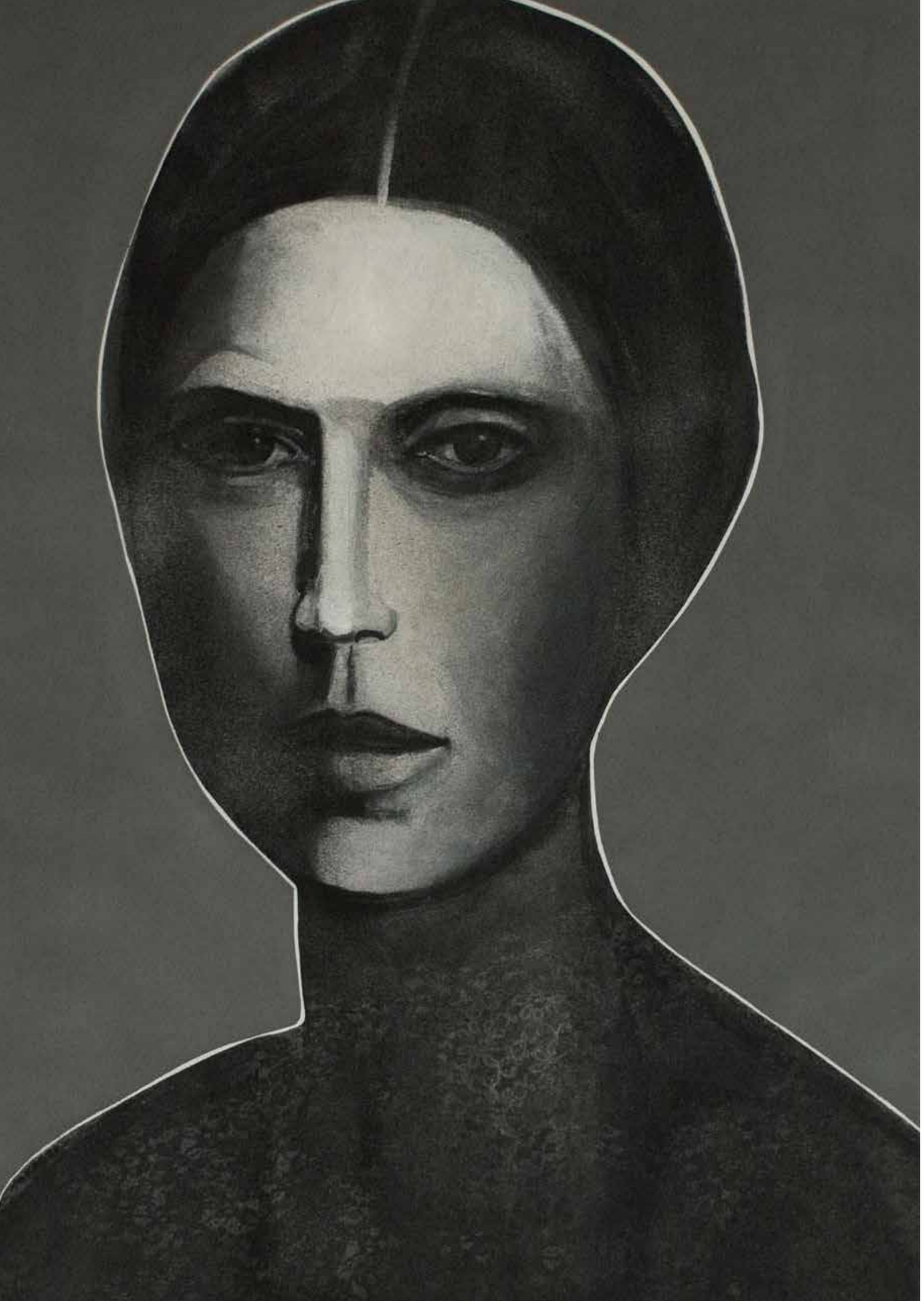

خالد تكرتي

بالتوقف عن عزف الفالس ثم البدء بعزف السلام الخاص بالوافدين الجدد. يفسح الراقصون الطريق للقادمين من مملكة الجوار. يدخل الوافدون تباعاً. ينحنون لدولة السيّد وحيد الأذن وقد رفعوا قبعاتهم احتراماً وإجلالاً، وكلّ فرد منهم بأذنين. ينتبه الجميع إلى كونهم بأذنين فينفجرون ضحكاً. يضحك دولة السيّد وحيد الأذن ثم تنتقل عدوى الضحك لضيوف مملكة الجوار. يضحك الكلّ حتى يشير عليهم بالتوقف فيتوقفون. يتحرك دولة السيّد وحيد الأذن نحو الضيوف. يستعرض آذانهم باستغراب واضح وإذ ينتهي فإنه يعاود الضحك ثانية. يهمّ الكلّ بالضحك لكنه يوقفهم بإشارة مباغتة. يحاول الضيف الأول التحرك نحوه فيوقفه بإشارة من يده. يتحرك دولته نحو كرسيّه الفخم، يجلس عليه، يشير للضيف بالتقدم فيتقدم منه بارتباك. يشير للجندي بإعطائه خنجراً فيفعل. يأخذ دولته الخنجر، ويسلّمه بخبث للضيف. يضع الضيف الخنجر على أذنه. يحاول بترها لكنه يتوقف متراجعاً عن قراره. يسقط الخنجر من يده على الأرض. يتناول ملفوفة من الجلد من أحد مرافقيه ويتحرك ليسلّمها إلى دولته لكن دولته يوقفه آمراً إياه بالتراجع. يترك دولته الكرسي، يتحرك نحو الخنجر، يرفعه عن الأرض، يسلّمه للضيف لكن الضيف يمتنع عن استلامه فينفجر دولته بالضحك ثانية، وثانية يضحك المحتفلون مقهقهين بصوت عالٍ وسط استغراب الضيوف وذهولهم. ينسحب الضيوف إلى الخارج مستنكرين عرض دولة السيّد وحيد الأذن بينما يقف دولته باستياء وغضب جرّاء عدم الردّ على مشيئته التي لا تردّ. تشرع الفرقة بالعزف مرة أخرى لكنه يوقفها ويأمر الكلّ بمغادرة القاعة. تطفأ الأضواء تدريجيا مع خروجهم، ويسود الظلام.

المُضمَت الخامس:

لا يزال دولة السيد وحيد الأذن على غضبه الشديد. يتحرك بتوتر جيئة وذهاباً أمام كرسيّه الفخم. يدور حوله أكثر من مرة. يفكّر والغضب يمور في دخيلته. يقاطعه دخول الحاجب فيزداد دولته غضباً. يرتعب الحاجب، ويولّي الدبر هارباً خارجاً من حيث أتى. يدخل قائد الجند (وهو ابن القائد السابق) فيرتطم به الحاجب بشكل كوميدي. يغادر الحاجب مضطرباً. يقترب القائد من دولة السيّد وحيد الأذن. يؤدي التحية ويظلّ على وقفته منتظراً أمر دولتِهِ. يصطحب دولتُهُ القائدَ إلى منتصف الجدار الخلفي. يضغط أحد الأزرار الموضوعة على الجدار فتعرض الشاشة خارطة ضخمة يشير عليها موضحاً خطته لاحتلال بلد الجوار. ينظر إلى القائد كمن ينتظر شيئا ما. يؤدي القائد التحية العسكرية فيغادر دولة السيد وحيد الأذن. يوجه القائدُ أمراً بتجمّع قطعاته الحربية. تدخل بعض الكتائب أو قادتها. يقف القائد في منتصفهم. يشير على أحدهم فيتحرك إلى الميمنة. يشير إلى آخر فيتحرك إلى الميسرة. يطلق إشارة البدء بالهجوم فيصرخ الكلّ صرخة واحدة موحدة وينطلقون مهرولين نحو اهدافهم المرسومة ببطء أول الأمر ثم تزداد حركتهم نشاطاً حتى تبلغ ذروتها. تظهر على الشاشة وقائع معركة مدمرة تندمج مع وقائع ما يجري على خشبة المسرح من هرولة، وضرب، وطعن، وقتل وصراخ، ودم حتى تنتهي المعركة باستسلام العدو للغزاة. تنطلق الموسيقى منسجمة مع دخول عدد من الأسرى المكبلين بالحديد تباعاً. يدورون حول المكان بانكسار، وبأمر من قائد الجند يتوقفون. تبتر أذن الأسير الأول فيطلق سراحه، ثم تبتر أذن الثاني فيطلق سراحه أيضاً، وهكذا يستمر البتر حتى آخر الأسرى. ينقل المصوّر الحدث أولا بأول وفي عمق المكان تظهر صورة دولة السيد وحيد الأذن وهو يتابع الوقائع من على الشاشة السابقة نفسها وقد بدا عليه الارتياح التام. يغادر الجميع إلا قائد الجند. يترك الملك الشاشة ويحثّ الخطى نحو القائد. يؤدّي القائد التحية لدولته ويظلّ واقفاً في محله لا يريم. يستلّ دولته من جيبه عدداً من الصور الملونة. يسلّمها للقائد واحدة فواحدة، وكلّما سلّمه صورة تعرض تلك الصورة على الشاشتين الكبيرتين. تمثّل الأولى شخصاً آسيوياً، والثانية أوربياً، والثالثة أفريقياً، والرابعة أستراليا، والخامسة والسادسة.. إلخ.. إلخ. يؤدي القائد التحية. يستل خنجراً من نطاقه. يحيّي بها دولة السيّد وحيد الأذن، ويغادر منصرفاً لأداء مهمّته الجديدة. يتناول دولة السيّد وحيد الأذن مرآة. ينظر متأمّلاً أذنه بغرور. ينزل المرآة وهو يرى إلى جمهور النظّارة في دائرة صغيرة من الضوء. يبتسم لهم بخبث ثم يشدّ على قبضته بقوة فتطفأ الأضواء ويعمُّ الظلام.

كاتب من العراق

كونتينر

عباس الحايك

(1)

ملاحظة: أحداث هذه المسرحية غير محددة الزمان ولا المكان، الشخصيات هنا متخيلة، والأحداث متخيلة، وقد يكون ثمة تطابق بين أحداث المسرحية وأحداث واقعية، لكنها بالتأكيد غير مقصودة، فالحكاية تتكرر في كل زمان ومكان.

المسرح عبارة عن كونتينر معدني مخصص للاجئين، والأحداث تدور في مخيم للاجئين في مكان ما في هذا العالم، الكونتينر رغم بساطته مرتب بأناقة أنثوية، منصة طبخ وعليها بعض الصحون والقدور، بعض الكتب المرتبة على رف، صورتان ليافعين، صورة للزوجة وهي تعزف على البيانو في مسرح. الهدوء يعمّ المكان سوى بعض الطرقات على جدار الكونتينر الخارجي، طرقات منتظمة، وصوت ريح خفيفة. على جانب من جوانب المسرح فراشان على الأرض حيث ينام الزوج والزوجة، صوت همهمات الزوج يتعالى على وقع الطرقات المنتظمة، تتسارع أنفاسه شيئاً فشيئاً، يصحو فزعاً يتنفس بسرعة، عليه يبدو الخوف يصرخ من خوفه..

الزوج: (خائفاً) هم، لقد عادوا مجدداً.. لا أريد أن أذهب معهم.

تصحو الزوجة بتثاقل وهدوء، تهز رأسها

الزوجة: (بهدوء) ليسوا هم، لا أحد هناك.

الزوج: (خائفاً) ألا تسمعين، إنهم يطرقون الباب، لمَ أنا بالذات، لمَ يلاحقونني أينما أذهب؟

الزوجة: (بنفس الهدوء وهي تتثاءب) نم، لا أحد هناك. إنك تزعجني بصراخك، وستزعج الجيران.

الزوج: اذهبي، قولي لهم إني لست هنا.. خبئيني عنهم.

الزوجة: أرجوك، كفّ عن هذه الكوابيس. أريد أن أنام، لديّ عمل في الصباح.

الزوج: (بخوف) أيّ صباح هذا الذي تتحدثين عنه؟، إنهم يريدون اعتقالي مرة أخرى.

الزوجة: (بهدوء) نحن بعيدون عن زوار الليل، بعيدون جداً، لن يلحقوا بك إلى هنا (بتذمّر) أريد أن أنام، أتسمع؟، لا أحد هنا.

الزوج: (لا زال في خوفه) وهذا الطرق على الباب؟

تقف الزوجة متململة وتتجه جهة الباب، تفتحه وتخرج، تعود ثانية بلوح خشبي مكتوب فيه رقم الكونتينر، تقترب من زوجها المتكوّم الخائف وترمي بجانبه اللوحة.

الزوجة: طلبت منك مراراً إصلاحها، وبسببها طار النوم. هذا ما كان يطرق الباب.

الزوج: (متكوّماً خائفاً) لا، أكيد هم، لقد جاؤوا ثانية لأخذي، لا أريد العودة للسجن.

تبتعد الزوجة وزوجها لا زال في حديثه، تأخذ كأساً من الماء، وتقترب منه، تصب الماء على وجهه وجسده بكل هدوء، يفزع وينتفض.

الزوج: (مفزوعاً) ماذا تفعلين؟

الزوجة: لكي تستيقظ من كابوسك، كلما سمعت صوتاً في الخارج انتابك كابوس الاعتقال والسجن (بتذمر) وأنا لا بد أن أعاني من كابوسك المتكرر هذا.

الزوج يستعيد إدراكه، ينظر يميناً ويساراً، يتحسس جسده، يرفع اللوحة عن الأرض وبكل هدوء يقف ويبتعد عن زوجته، يتجه للباب، يفتحه ويخرج، يعود بعد لحظات وبكل هدوء ويقترب من زوجته، يمسك يدها،

صفوان داحول

تسحب يدها منه.

الزوج: ألن ننام؟

الزوجة: نم أنت.

الزوج: (باستغراب) وأنتِ؟

الزوجة: غادر النوم رأسي.

الزوج: (مرتبكاً) أنا لا أدري لمَ ما زالت تنتابني الكوابيس، كوابيس السجن وغرف التحقيق.

الزوجة: لأن الماضي لا زال يسكن رأسك، لا زالت الذكريات تنغص عليك حياتك وحياتي معك.

الزوج: (مستسلماً) لم أستطع النسيان، بل لا أستطيع.

الزوجة: لكننا تواعدنا على النسيان، تواعدنا أن نترك كل شيء من الماضي وراءنا، نفتح صفحة بيضاء جديدة، نعيش حياة أخرى.

الزوج: (يبكي مستسلماً) حاولت ولكنني فشلت، ظلام السجن وغرف التحقيق، وحفلات التعذيب التي كان يثمل عليها المحققون لا زالت تحوم في رأسي، لا أستطيع

نسيانها.

الزوجة: أنا نسيت كل شيء، نسيت الألم والوجع، نسيت لحظات الذل واللاإنسانية، محوت كل شيء من ذاكرتي. حاول أنت لنكمل حياتنا بهدوء.

الزوج يتجه لمغسلة الماء يغسل وجهه ورأسه، ينشّف رأسه من الماء، يقترب من زوجته الواقفة.

الزوج: لأجلك سأحاول، تعالي لننام.

الزوجة: لا أريد النوم.

تتجه إلى دكة على جانب من المسرح وتبدأ بحياكة صوفية.

الزوجة: سأكمل حياكة القبعتين، البرد سيكون قارساً هناك، لا بد من قبعات تحميهما.

الزوج: (يحاول المزاح) وأنا؟، ألن تصنعي لي واحدة؟

الزوجة: لا، أنت لا تبرح هذا المكان، لن تحتاج لقبعة تحميك من البرد، تحتاج لقبعة تحميك من كوابيسك ومخاوفك.

الزوج: لا تكوني قاسية عليّ.

الزوجة: (وهي تجوك) أنا لست قاسية، لو كنت كذلك لتركتك، وكنت تبرّأت من علاقتي بك، سأقول لهم إني لا أعرفك، أو سألعنك أمامهم وألعن اليوم الذي ارتبطت فيه بك، وما كنت سأعاني كل هذا بسببك.

الزوج: (باستنكار) ليس بسببي. بسبب ما فعلوه بنا طوال السنوات الماضية. هل كنت راضية بحالنا؟

الزوجة: وهل أنت راض عن حالنا الآن؟

الزوج: على الأقل لنا كرامتنا.

الزوجة: (تضحك بسخرية) أيّ كرامة يا رجل؟ نعيش لاجئين، نأكل من المعونات، نرتدي ممّا يتصدق به الأغنياء علينا من ملابس مستعملة، بعضها بالٍ، وتقول لي كرامة؟ لا تتحدث عن الكرامة رجاءً، فيكفي ما حلّ بنا من وراء الكرامة التي تبحثون عنها.

الزوج: أنت لم تتغيري، منذ سنوات ورغم أن الوقت كشف لك أيّ سلطة كانت تتحكم بنا.

الزوجة: (بإصرار، تترك ما بيدها وتقف مواجهة زوجها) ولن أتغير، سأظل أرى أنكم سبب كل ما حلّ بنا وبالبلد.

الزوجة: والسلطة؟

الزوجة: لا أبرّئها، أنتم شركاء في الخراب.

الزوج: بل السلطة وحدها بكل من فيها.

الزوجة: وأنتم معها، كنا نعيش بهدوء، كل ما ينغّص علينا كان ما نجنيه من رواتب ضئيلة، ولكنها كانت تكفينا.

الزوج: بل اكتفينا من الأحلام لأننا نعرف تماماً أنها لن تتحقق.

الزوجة: (متبرمة) آه يا زوجي العزيز، لا تقلب عليّ المواجع. يكفيني كل خيباتي. يكفيني أنني فقدت الأمل في كل شيء. أنا أحاول أن أبني حياة جديدة بعد حياة فقدتها. أنا امرأة جديدة تحاول أن تنسى كل شيء مضى.

الزوج: لكنني لا أستطيع أن أنسى. أنسى وجعي وألمي، أنسى كرامتي المهدرة؟ أنا لا أستطيع نسيان لحظة أتوا بك إلى غرفة التحقيق..

الزوجة: (تصرخ بغضب) إنسَ.. إنسَ..

الزوج: (غاضباً) لا أستطيع.. هل تفهمين لا أستطيع، المشهد كاملاً يسيطر على ذاكرتي، هو ما يجعلني رجلاً مهزوماً محطماً..

الزوجة: (بغضب، وهي تضع يديها على أذنيها) لا أريد أن أسمع، جئت هنا لأنسى.

الزوج: (وكأنه لم يسمع صراخها) لا أنسى لحظة كان الوغد يتحسس بيده جسدك كي يحطّمني، كي يهزمني.. لم يجد غير هذه الوسيلة لينتزع اعترافا؟.. صرت أشعر بأن يده من تتحسس جسدك كلما اقتربت منك، لا يدي..

الزوجة: (تهجم عليه وهي تصرخ) قلت لك إنسَ، كف عن هذا الكلام.. (تغلق فمه وهو يحاول الكلام) اصمت، اصمت..

-إظلام-

(2)

تفتح الإضاءة على الزوج في غرفة التحقيق، حيث يجلس على كرسي وهو منهك وفي يديه الأغلال، تتّسع الإضاءة ويدخل المحقق، يقترب من الزوج، يضاء المسرح في الجانب الآخر من المسرح حيث الزوجة تجلس بنفس هيئة الزوج، ويبدو عليها الإنهاك، والأغلال بيديها وجزء من ملابسها ممزق.

المحقق: (وهو يقترب من الزوج) ما رأيك بهذه المفاجأة؟ لم تكن تتوقعها، أليس كذلك؟

الزوج: (بصوت منهك) لا ذنب لها.

المحقق: (بصوت بارد) ذنبها أنها زوجتك، وذنبك أنك تمردت على السلطة.

الزوج: ليس تمرداً، كنت أطالب بحقوقي، بحقوقنا، بكرامتنا.

يضحك المحقق بسخرية وهو يبتعد عنه ويقترب من الزوجة، يقرب وجهه منها.

المحقق: (بسخرية) وهل حصلتِ على كرامتك؟ حقوقكِ؟ يقول إنه لم يتمرد، بل طالب بحقوقكم المهدورة..

يمسك شعر الزوجة ويحرك يده على شعرها، تحاول إبعاد رأسها بخوف، ينظر الزوج بحنق للمحقق، يمسك المحقق بخصلات من شعر الزوجة ويشمها.

المحقق: (يستنشق رائحة شعر الزوجة) لشعرك رائحة الورد.

تبكي الزوجة خائفة، تحاول التكوّم على نفسها، والزوج الحانق يحاول مداراة وجهه، لكنه يسترق النظرات. يحرك المحقق يديه على أجزاء من جسد الزوجة الخائفة التي تنشق بكاءً وخوفاً..

المحقق: جسدك يبدو شهياً.. كم أحسد هذا الوضيع بأن له امرأة مثلك..

يبتعد عنها ويقترب من الزوج ويواجهه.

المحقق: (بنوع من الغضب) كم أنت محظوظ أيها الوغد، لك امرأة شهية، جميلة، ناعمة، شعرها تفوح منه رائحة الورد.. لكنك تعرّضها لأقسى ما يمكن أن تتعرض له امرأة. أنت لا تستحقها.

يهدأ المحقق قليلاً.. يبتعد عن الزوج، ويقترب من الزوجة التي تترقب خائفة..

المحقق: أنت لا تستحقها، لا تستحق هذه المرأة أبداً (يهدأ قليلاً، ويقترب أكثر من وجه الزوجة، ويهمس لها) هل تحبينه؟

تهز الزوجة رأسها إيجاباً وكلها خوف.

المحقق: ما الذي تحبينه في رجل يتسبب لك في كل هذا الأذى؟ هل تعرفين ما الذي أنوي أن أفعله بك إن لم يعترف. أنا مخوّل من السلطة أن أفعل بكما ما أشاء حتى يخبرنا بمن يحرّضه.

يخرج سيجارة من معطفه ويشعلها، ينفخ دخانها.. يبدو القلق والترقب واضحاً على الزوجين.

المحقق: بصراحة، بدأت أشتهيكِ. ويحلو لي أن أغتصبكِ أمامه حتى أكسر عناده وكبرياءه.

تنهار الزوجة باكية، وتصرخ بهستيريا، يصرخ الزوج بالمحقق.

الزوج: (بغضب) اتركها، إنها زوجتي ولا يحق لك أن تمسها بسوء، مشكلتك معي أنا.. اتركها أيها الوغد.

يهجم المحقق على الزوج، ويبدأ بضربه بغضب.

المحقق: (بغضب) أنا الوغد أيها الوضيع؟ سأغتصبك أمامها لتعرف أيّ رجل هي تحته.

يرميه على الأرض ويبدأ بركله، وسط بكاء الزوجة وفزعها..

-إظلام-

(3)

نفس المنظر في المشهد الأول، الزوج والزوجة يقفان بمواجهة الجمهور، هي شاردة وفي يديها أغراض الحياكة، تحوك بعصبية واضحة، الزوج منكسر وشبه شارد..

الزوج: كلما مددت يدي إليك، صرت أرى يده اللعينة مكان يدي.

الزوجة: (وهي تحوك بعصبية وبشرود) إنسَ.

الزوج: كلما قرّبت شفتي لأقبلك أحسست أنني أصبحت هو، شفتاي أصبحتا شفتاه.

الزوجة: (تقاطعه بعصبية ولكن بذات الشرود) إنس.. قلت لك إنسَ.

الزوج: صار يزور أحلامي، أرى فيه كل هزائمي وانكساراتي..

الزوجة: (بنفس الوضع) إنس.. قلت لك إنس.. إنسَ

الزوج: كلما تحسست جسدي شعرت بيده على فخذي وأحسست بأشيائه..

الزوجة: (تقاطعه) قلت لك إنسَ.. فرّغ رأسك من كل هذه الذكريات .. إنسَ.

الزوج: لمَ توظف تلك السلطة المجرمة أولئك المحققين، إنهم ينتصرون بانكساراتنا، ننهزم نحن لينتصروا هم.

الزوجة: تذكّر أشياء أجمل، تذكر القادم الذي سيكون أفضل، إنس الماضي بكل ما فيه.. نحن هنا لننسى. النسيان نعمة، النسيان رحمة الله بنا.

الزوج: (منكسراً) ومن أين آتي بالنسيان؟ الذكريات لازالت محفورة في رأسي كوشم لا يزول.

الزوجة: (تواجه زوجها) لأنك لا تريد أن تزيله. تعجبك لعبة التذكر التي تمارسها مع ذاتك ومعي. اترك لي فرصة النسيان، كلما انتابك كابوس نفخت في جمر الذاكرة الذي خمد. حرام ما تفعله بي.

الزوج: (متوسلاً) ارحميني أرجوك، ساعديني حتى

أنسى.. (يمسك بيدها التي تمسك بسنارة الحياكة ويقربها من رأسه) أفقئي ذاكرتي حتى أنسى. أغرزيها في رأسي أرجوك.. (يبكي منهاراً)..

الزوجة: (تبعد سنارة الحياكة وهي خائفة) يبدو أنك لن تنسى أبداً، ويبدو أنني لن أنسى أيضاً ما دمنا معاً.

يتوقف الزوج عن البكاء وينظر للزوجة مصدوماً.

الزوج: (مصدوماً) تتركينني؟

الزوجة: لا أستطيع، لو كنت أستطيع لتركتك منذ الساعة الأولى التي شعرت فيها بأن حياتنا مهددة.

الزوج: (برجاء) إذن ساعديني على النسيان.

تصمت لبرهة، تفكر ملياً، تبتعد عن زوجها الذي يراقبها تتجه للدكة وتجلس عليها. تبدء بالحياكة وهي سارحة. يراقبها بصمت.

الزوجة: (مستسلمة) سأساعدك.. لكن على التذكّر، ربما بهذه الطريقة تفرغ كل ما في ذاكرتك وتنسى. سأسمعك، سأشاركك كل ما في ذاكرتك من حكايا. سأتمثل معك كل ألم حلّ بجسدك وأنت تحت وطأة التعذيب. أنت زوجي، سأتحمل كل الألم الذي سيحلّ بي وأنا أتذكر معك. لنبدأ.

تبدأ بالحياكة وعليها يبدو القلق وبعض العصبية.

الزوج: أنت امرأة نبيلة. أشعر بالذنب لأجلك، كيف تحولت حياتك إلى جحيم بسببي وبسبب قناعاتي؟

الزوجة: (وهي تواصل الحياكة) قناعاتك لم تتغير ولن تتغير، ولا زلت مصراً بأنك فعلت ما يتوجّب عليك فعله.

الزوج: (وهو ينظر لزوجته بتمعن، يبتسم) رغم كل شيء، وكل ما حدث، لم تتغيري، أنت كما كنت، مشرقة، جميلة.

الزوجة: (وهي مشغولة بالحياكة) بل تغيّر كل ما فيّ، جسدي، ملامحي، غزتني التجاعيد مبكراً واشتعل بياض رأسي. والروح مثقلة بالوجع، تغالب حتى تتخفف من كل هذا.

الزوج: لا، لم تتغيري.. صدقيني، أنت كما كنت في أول مرة رأيتك تخرجين من بوابة المعهد، عرفتك من بين كل المعلمات والطالبات، قادتني ملامحك التي تشبه عزفك.

الزوجة: (تتنهد بحسرة وهي تنظر لأصابعها) أيّ عزف؟ أصابعي باتت مترهلة، لو وضعتها على مفاتيح بيانو الآن لما سمعت سوى النشاز. أصابعي التي أنهكتها خيوط الصوف ومساحيق الغسيل، وخدمة الأغنياء.

الزوج: كم أشتاق لعزفك، أشتاق لموسيقاك.. أشتاق لغنائك.

الزوجة: (بإحباط وهي تواصل الحياكة ببعض العصبية) أنا لم أعد عازفة ولا أستاذة موسيقى. لست سوى امرأة عادية أخذتها لعنة السياسة إلى ملجأ بعيد عن بيتها، لست سوى لاجئة تحاول أن تمرّ أيامها بهدوء دون منغصات.

الزوج: (يحاول التبسم) بل كنت أفضل عازفة بيانو، كنت أفضل معلمة موسيقى في المعهد، بل في كل معاهد البلد. عشقتك من عزفك قبل أن أراكِ، لعزفك إيقاع يهز القلب. كنت أهرب من الصيدلية بحجة تدخين سيجارة لأقف عند نافذة صفّك، أستمع لعزفك، أرسم ملامحك من نغمة تخرج من بين أصابعك. اكتملت تفاصيلك في ذاكرتي، وعرفتك من بين كل المعلمات.

تترك الزوجة ما بيدها وتتذكر، ويبدو عليها الحزن، تبدأ بالبكاء وهي تنظر لأصابعها.

الزوج: كنتِ أنيقة وأنت تعزفين لشوبان، تأخذينني إلى عالمك.

الزوجة تحرك أصابعها، تحركهما كأنها تعزف على البيانو، تنطلق ألحان مقطوعة لشوبان (المقطوعة رقم 20.. مثلاً) وتترافق مع حوار الزوج.

الزوج: (حالماً) كنت أعيش بلا جدوى، لم أكن أفكر فيما سيأتي، أعيش يومي، ولكن بموسيقاك اكتشفت أن لي حياة أخرى، وأن المرأة التي تتهادى بين أصابعها موسيقى شفافة لا بد أن تكون زوجتي.

تواصل الزوجة تحريك أصابعها على أنغام المقطوعة، حالة من التجلي مع الموسيقى والعزف وحوار الزوج، تبدأ المرأة بالبكاء، تعزف بكل مشاعرها وهي تبكي بحرقة..

-إظلام-

(4)

المسرح إظلام تام، بقعة ضوئية على الزوج وهو يروي. تتواصل موسيقى شوبان.

الزوج: كنت أتردد يومياً لأرتوي من موسيقاك، أدخّن سيجارتي تحت نافذتك، أتحمل غضب صاحب الصيدلية لأنني تأخّرت، بالموسيقى كان حلمي يكبر ويكبر معك. قرأت على بوابة المعهد أن حفلة موسيقية ستقام هناك، كانت صورتك وبعض طلابك على بوستر الحفلة. تهيأت لمساء الحفلة، ارتديت أجمل ما لديّ، ودخلت المسرح

صفوان داحول

حاملاً باقة زهور.

يجلس على كرسي، بقعة ضوء أخرى على الجانب، الزوجة بملابس أنيقة، بشكل يبدو أصغر من عمرها في المشاهد الأولى، تجلس عند بيانو وتبدأ بالعزف، تعزف مقطوعتها والزوج يستمع بكل سعادة، تنتهي من العزف، تقف يسمع صوت تصفيق، يقف الزوج ويصفق بحماس.

الزوج: حاولت أن أقترب منك، لم أكن قلقاً من ردة فعلك.. اقتربت.

يقترب الزوج من الزوجة، يقدم لها باقة الورد مبتسماً، تأخذ من يده الورد بابتسامة ودهشة..

الزوج: أنا صيدلي في الصيدلية التي تجاور المعهد، منذ شهور وأنا أقف عند نافذة صفّك. أستمع لموسيقاك.

برهة صمت، إظلام وتضاء الإضاءة على منظر الكونتينر كما في المشهد الأول. الزوجة على ذات الدكة، وهي تحوك الصوف.

الزوجة: (وهي مستغرقة في الحياكة) انتبهت لوجودك بعد الحفلة، كنت أراك تتابعني كلما دخلت إلى المعهد وخرجت منه، انتبهت لوجودك خلف نافذة الصف، رأيتك مرات ومرات تدخّن سيجارتك هناك وأنت تنتظر العزف. صرت أتعمد أن أعزف في أيّ وقت. كانت الموسيقى لغتنا المشتركة، عرفتني على الصيدلي الذي أصبح عشيقي وزوجي.

الزوج: كانت المرة الثانية التي تلتقي أعيننا بشكل أقرب، وأشعر بك أقرب، أشمّ عطرك حين دخلت الصيدلية.

تقترب الزوجة من الزوج الذي عدّل وقفته كأنه يقف خلف كاونتر صيدلية..

الزوجة: (تكح وبصوت شبه مبحوح) لو سمحت، هل أجد لديك ما يخفف الكحة، إنها تنتابني منذ يومين.

الزوج: (يقف أمامها مشدوهاً ويبدو عليه الحزن) أنت مريضة؟

الزوجة: ليس إلى هذا الحد، هي كحة مزعجة.

الزوج: (بحماس) سأعطيك أفضل ما بالصيدلية.

يعطيها علبة دواء، تأخذها من يده.

الزوج: ثلاث مرات في اليوم، داومي على هذا الدواء. ستزول الكحة.

الزوجة: (تبتسم وتعطيه مبلغاً من المال) شكراً.

تأخذه وتغادر المكان، يلحقها.

الزوج: (ينادي) يا آنسة.

تتوقف مستغربة، يقترب منها.

الزوج: لا تنسي شرب الأعشاب الدافئة، إنها تريح الحلق. مثل البابونج واليانسون.

تبتسم الزوجة وتغادر، يبدو على الزوج الفرح وعلى الزوجة أيضاً بعض الفرح المشوب بالخجل.

الزوجة: تأكدت في هذا اللقاء من مشاعرك، لهفتك، خوفك عليّ حتى من الكحة التي انتابتني، اهتمامك بي. حتى وجدتك في اليوم التالي عند باب المعهد تنتظرني لتسألني عن صحتي.

الزوج: لم أترك باب المعهد ساعتها ونافذة صفك حتى سمعت موسيقاك. اطمأننت ساعتها أنك بخير.

الزوجة: كنت أعرف ساعتها أن الموسيقى هي جوابي على سؤالك عن صحتي. أدركت أنك لن تطمئن حتى تسمع عزفي.

الزوج: كل شيء تغير حين عرفتك، كان للعمل طعم رغم ضيق الحال وقلة الزبائن، كان للحياة طعم بعد أن كانت بلا طعم ولا رائحة، كانت رمادية وتلوّنت بعد أن كنت جزءًا من هذه الحياة، بل كل الحياة.

الزوجة: تزوجنا، بعد قصة حب كانت حديث المعهد والمدينة، زواجنا ذاته كان حديث الناس.

الزوج: (يضحك) الزواج الذي عزفت فيه السيمفونيات والموسيقى الكلاسيكية بدل الأغاني والرقصات الفلكلورية أكيد سيكون حديث الناس.

الزوجة: كانوا يعتقدون أنني سأرتبط بموسيقيّ أو عازف أحد زملاء المعهد مثلاً (تضحك) لكنهم تفاجأوا بزواجي بصيدلاني لا علاقة لعمله بالموسيقى.

الزوج: ليست الموسيقى للموسيقيين وحدهم، نحن أيضاً نملك آذاناً تطرقها الموسيقى فتصل لشغاف الروح. ثم إننا لا نختلف، أنا مهنتي الدواء ليطيب الناس من عللهم، وأنت مهنتك الموسيقى وهي دواء لعلل الأرواح.

الزوجة: وهذا ما أعجبني فيك، أنا أملك لغة الموسيقى وأنت تملك لغة الكلام. لا أملك قدرتك على ترتيب الجمل وصف الكلام.

الزوج: كنا نسكن شقة صغيرة، بسيطة، على قدر ما نملك من مال. أتذكرينها؟

الزوجة: أذكرها تماماً، أراها كما أراك الآن. أتذكر كيف زينا جدرانها بالصور، صور حفلاتي، صور زواجنا، صورتك وأنت في الصيدلية، صور من نحب من عائلتينا (تتجه للصورة المعلقة على الجدار وتشير لها) لم آتِ منها إلا بهذه الصورة. أتذكرها؟

الزوج: نعم، أذكرها. كنت قلقاً عليك. لم تكوني على ما يرام على خشبة المسرح. كانت يداك ترتجفان وأصابعك تداعب مفاتيح البيانو. لم تخذلك أصابعك رغم ذلك. لكن كان التعب باد عليك.

الزوجة: (تضع يدها على ظهرها كهيئة الحامل) كان حملي الأول، كان متعباً جداً، لم أكتشف أني حامل في أول شهوري إلا ليلة الأمسية، لم أستطع تفسير شعوري بالغثيان، شعوري بالتعب والارتباك.

الزوج: كبر بطنك، كبر الحلم الأول، كنا نفرش كل ليلة تفاصيل حلمنا بطفلنا الأول، كيف سيكون شكله. يشبهني؟

الزوجة: لا سيشبهني أنا.

الزوج: (معترضاً) بل سيشبهني، إنه ولد.

الزوجة: (معترضة) ومن قال لك إنه ولد؟ إنها بنت، وتشبهني وستصبح موسيقية مثلي، بل أفضل مني. سأعلمها العزف وأحببها بالموسيقى منذ الآن.

الزوج: وأنجبنا أول طفلة، كانت جميلة كأمها.

الزوجة: ملأت حياتنا بهجة، صغيرة كانت حين بدأت معها دروس الموسيقى. كانت تردد معي بلثغة الطفل "دو، ري، مي، فا.." (تضحك).

الزوج: لم تكن كالأطفال تحبّ الدمى، كانت تحب الموسيقى، تحب الآلات الموسيقية. لم تكن تشبهني في شيء. كانت نسخة من أمها.

الزوجة: (تبتسم) نسخة أجمل.

الزوج: وبعد سبعة أشهر، بدأ بطنك يكبر ثانية.

الزوجة: (مصدومة وهي تمسك ظهرها كهيئة الحامل) مرة أخرى؟ لم تكبر الطفلة بعد. كيف سأعتني بطفلين وأنا مشغولة في التدريس، طلابي ينتظرون دروسي.

الزوج: هذه المرة ولد.

الزوجة: (تبتسم) سلمت بالأمر، لم يعد صادماً. وتمنيت معك أن يكون ولداً. بنت وولد. ما أجمل هذه العائلة الصغيرة.

الزوج: وجاء الولد، وبدأنا رحلة التعب والمعاناة، مع طفلين صغيرين.

صوت بكاء أطفال يرافق حوار الزوج والزوجة.

الزوجة: (وهي كمن يهدهد طفلاً) الولد حرارته مرتفعة، نحتاج لأخذه إلى المستشفى.

الزوج: (كمن يحمل طفلاً على كتفه) البنت تحتاج إلى غيار.

الزوجة: غيّر لها حفاظتها حتى أسكت أخاها المريض.

الزوج: (مرتبكاً) لكنني لا أعرف.

الزوجة: تعلّم، أنت أب، ومثلك مثلي. تعلّم كيف تلقّم الطفل رضاعته وكيف تغيّر للبنت حفاظتها.

الزوج: وتغيرت حياتنا، لم يكن ثمة موسيقى سوى بكاء الأطفال.

الزوجة: لم يعد لي مزاج للعزف على البيانو، لم تعد النوتة شغفي. كنت أفكر كثيراً في طفلَي. كيف أخفض حرارة هذه، وكيف أعتني بالآخر. لم يعد نومي مستقراً، أنام حين ينامان، واستيقظ إذا استيقظا.

الزوج: لم أكن أنام أيضاً، لم يكن ثمة مكان للهرب من ضجيجهما.

الزوجة: تركت المعهد.. (تستدرك) لم أتركه بل طلبت إجازة بلا راتب لمدة سنة كاملة.

الزوج: أنتِ تضحين يا حبيبتي لأجل الطفلين. كم أنت نبيلة.

الزوجة: إنهما طفلاي. من يعتني بهما؟

الزوج: لم تكن الحياة كما تصوّرتها، لم تكن سهلة ولم تكن ساعاتها مليئة بالحب والشموع والعشاءات الرومانسية والموسيقى. كانت أكثر واقعية مما تصورت.

الزوجة: (بصوت متعب) لقد انتهى الحليب من العلبة، لم يعد لابنك حليب ليشربه.

الزوج: (حانقاً) لا أدري لماذا لم ترضعيه من صدرك كبقية الأمهات؟ لم نضطر لهذا الحليب المصنّع لأطفالنا؟

الزوجة: (بغضب) وهل نبع ثدياي حليباً لأطعمه الطفل ولم أفعل؟

الزوج يبدو عليه الغضب، يبتعد، توقفه الزوجة.

الزوجة: ولا تنس الحفاظات.

الزوج: (يتوقف ويقترب من الزوجة بغضب) والحفاظات التي اشتريتها قبل أسبوع؟

الزوجة: انتهت.

الزوج: من أين لي المال الكافي لكل هذا؟ الراتب لا يكفي، صاحب الشقة اللعين رفع الإيجار، والأسعار تزداد وتزداد.

الزوجة: وما الذي أفعله أنا؟ ما شأني بكل ذلك؟

الزوج: (بغضب وعتاب) أنت التي حملت وأنجبت طفلين يحتاجان مصروفات لم نضعها في الحسبان، إجازتك طالت.. اللعنة على هكذا سلطة.

الزوجة: وما شأن السلطة؟، ثم رجاءً لا تدخلنا في السياسة. دعنا نعيش بما لدينا بعيداً عن شتمك للسلطة.

الزوج: بل الشأن شأنها، اقتصاد الدولة يضعف وهم يعيشون كملوك، لا يشعرون بحاجتنا وجوعنا وفراغ جيوبنا.

الزوجة: (لا تولي لحديثه اهتماماً) المهم.. لا تنس الحفاظات والحليب عند عودتك.

الزوج: خرجت من البيت حانقاً كارهاً نفسي وزوجتي وأطفالي، كنت أشد الحزام أكثر وأكثر، الراتب لم يكن يكفي لحاجات الأطفال ومصروفات البيت والمعيشة. زوجتي تركت المعهد لسنة كاملة كانت كفيلة بانهياري.

الزوجة: (بحزن) أعلم أني كنت أثقل عليك، وأعلم قدر الألم الذي يسكن صدرك، والهموم التي ترهقك. لكن ما باليد حيلة. لا أستطيع أن أرى الطفلين في الجوع والعطش. لا يهم إن أكلنا نحن أو شربنا. المهم الطفلان. كنت فكرت في العودة للمعهد، ولكن من يعتني بالطفلين في مدينة بعيدة عن قرية أهلي.

الزوج: دخلت الصيدلية وفي نفسي تجول حكايات وأفكار، كانت الحفاظات وعلب الحليب على الرف. كانت بين أصابعي ولم يكن يمنعني عنها أحد. اقتربت من الرف، تلفت يميناً ويساراً لكن لم يكن أحد يراقبني أو ينظر إليّ حتى. الصيدلية لا يمر بها إلا القليل من الزبائن. سحبت

العلبة تفحصتها وأعدتها على الرف.

الزوجة: كنت أنتظر عودتك، ربما يفتح لنا الله طاقة فرج. (تبتسم فرحاً) وكان الله كريماً علينا عدت بعلبتي حليب وكيسي حفاظات.

الزوج: نعم، عدت بعلبتي حليب وكيسي حفاظات، وعدت كل أسبوع بعلبتي حليب وكيسي حفاظات، استمرّت عودتي من الصيدلية بعلبتي حليب وأربع وست وثمان، وكيسي حفاظات وأربعة وستة، خف ضغط الحاجة عليّ. لم أعد أهتم كثيراً بمصروف الطفلين.

الزوجة: وأنا لم أسألك من أين لك. كنت أحاول أن أنسى أو أتناسى السؤال المرّ. السؤال الذي يأتي بإجابة صادمة.

الزوج: (بحزن) نعم، كنت أسرق حليب طفلَيّ وأكياس الحفاظات من الصيدلية.

الزوجة: (بصدمة) كنت تسرق؟ كيف؟ ولماذا؟

الزوج: (بأسى) وتسألينني لماذا؟ كأنك لا تعرفين الحال.

الزوجة: أعرفه، لكن لم أتصور أن تمد يدك. تسرق الصيدلية التي تعمل بها منذ سنوات طويلة؟

الزوج: هذا ما وقع في يدي، أنا أعمل في مكان مليء بعلب الحليب وأكياس الحفاظات. همّ الحاجة أكبر من قدرتي على كف يدي عن السرقة.

الزوجة: تطعم الطفلين حليباً مسروقاً؟ كيف تفعلها؟

الزوج: (بحدة) ولمَ لا أفعلها؟ أتركهما يموتان جوعاً وعطشاً، السرقة هي الطريقة الأفضل.

الزوجة: لهذا عدت بعد أيام محبطاً حزيناً وأخبرتني بأن صاحب الصيدلية طردك من العمل لأن الصيدلية لا تعمل.

الزوج: بل طردني لأنه اكتشف السرقة.

إظلام وإضاءة سريعة للانتقال لمشهد الصيدلية، الزوج يهم بالخروج وفي يده كيس كبير مليء بالأغراض، وهو يهمّ بإغلاق الصيدلية.

ص. الصيدلية: إلى أين؟

يتفاجأ الزوج بوجود صاحب الصيدلية، يحاول مداراة ما بيده.. وبارتباك.

الزوج: (مرتبكاً) إلى البيت.. لقد انتهى دوام الصيدلية. ما الذي أتى بك الآن؟

ص. الصيدلية: لا شيء سوى أنني أشك في أن سرقة تحدث في الصيدلية، هناك أغراض تختفي من الصيدلية دون أن يُدفع ثمنها، راجعت الحسابات منذ أسبوع.

الزوج: (بارتباك) ليس صحيحاً، كأنك تتهمني.

ص.الصيدلية: نعم، ومن غيرك في الصيدلية؟ ينتبه لما في يده.

ص. الصيدلية: (بنوع من الشك) ما الذي تحمله في الكيس.

الزوج: (مرتبكاً يحاول التهرب) إنه.. إنه لزبون، نسيه في الصيدلية وسأمرّ عليه الآن لأعيده له.

ص.الصيدلية: أرني ما في الكيس.

الزوج: (وهو يبعد الكيس مرتبكاً) لا، لا.. إنها أغراض خاصة.

ص. الصيدلية: (بإصرار) ليست لزبون، وليست أغراضاً خاصة.. أعرف أنها علب الحليب والحفاظات التي تسرقها من الصيدلية.

الزوج: (بعصبية وارتباك) أنت تتهمني زوراً، أنا لست سارقاً.

ص. الصيدلية: بل سارق. لم أكن أتخيل أن تمد يدك على أغراض الصيدلية. لقد أمّنتك عليها لسنوات.

الزوج: (محاولاً التهرب) قلت لك لم أسرق شيئاً. أنت تتهمني بلا دليل.

ص. الصيدلية: ما جئت في هذا الوقت إلا لأمسك بك متلبساً بسرقتك.

الزوج تبدو عليه بداية الانهيار..

الزوج: (منهاراً) أنا.. أنا لم أفعل..

ص. الصيدلية: أنا أعرف أن ظروفك صعبة، لكن لا شأن لي حتى تطمع طفليك من مالي. فلترضع زوجتك طفليك كأيّ أم طبيعية.

الزوج: (منهاراً) لا تقسو عليّ أكثر ممّا قست الظروف.

ص. الصيدلية: لست جمعية خيرية لأتصدق بمالي على الفقراء.

يصمت قليلاً بينما يظل الزوج عاجزاً عن الكلام.

ص. الصيدلية: اترك ما في يدك وغادر المكان.

الزوج: (مصدوماً) إلى أين أغادر؟

ص. الصيدلية: (يواجه الزوج ويمسك بخناقه) قلت لك غادر المكان، لا أريدك.

الزوج: (وهو يحاول الفكاك من قبضة صاحب الصيدلية) ما الذي تعنيه؟

ص. الصيدلية: لا معنى لها سوى أنك مطرود.

موسيقى مناسبة، وإظلام.. ثم إضاءة سريعة على الزوجين في الكونتينر.

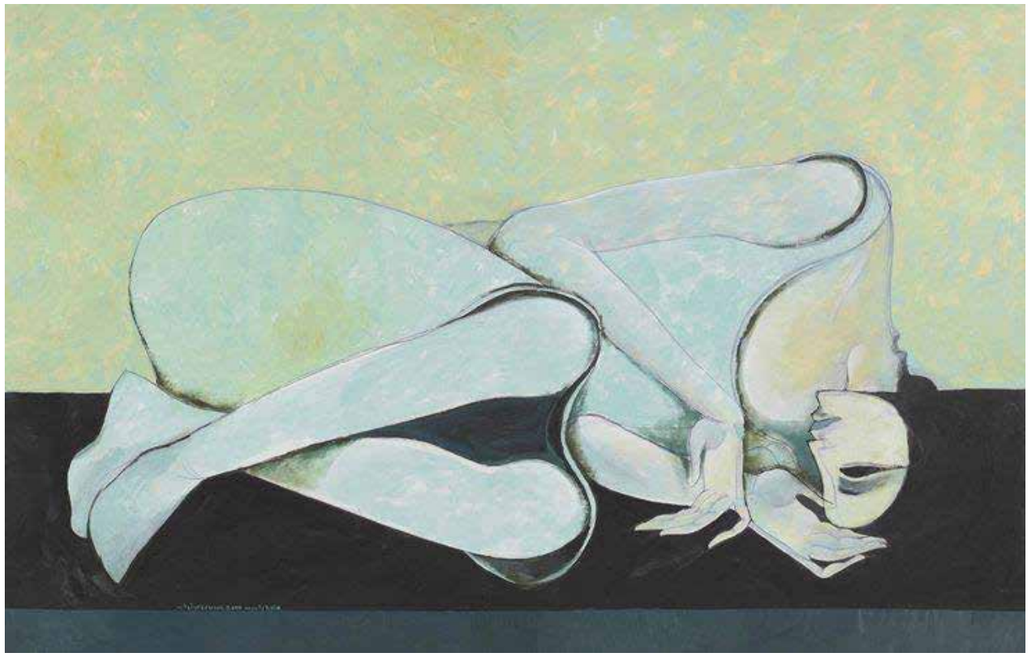

صفوان داجول

الزوج: (منكسراً) عدت مكسوراً إلى البيت، بعد أن صرت أدور في شوارع المدينة دون وعي. تأخرت على العودة للبيت.

تستقبله الزوجة وعليها يبدو الخوف.

الزوجة: (بخوف) أين كنت يا رجل؟ لقد أرعبتني. لم تأخرت كل هذا الوقت؟

الزوج: (منكسراً) لقد طردني صاحب الصيدلية.

الزوجة: (مصدومة) ولمَ؟ ما الذي فعلته.

الزوج: (مرتبكاً) لم.. لم أفعل شيئاً.. هو يقول أن السوق راكدة ولا أرباح للصيدلية. إنه يفكر بإغلاقها.

الزوجة: وما الذي ستفعله الآن وأنت بلا عمل؟ ما الذي سنفعله؟

الزوج: لا أدري، ربما أبحث عن عمل جديد.

الزوجة: لا أظن الأمر سهلاً..

الزوج: بالفعل لم يكن الأمر سهلاً، تعبت وأنا أدور من صيدلية إلى أخرى. بعضها احتج على الحالة الاقتصادية وبعض الصيدليات وصلها خبر طردي بسبب السرقة، أسابيع من البحث لم أتمكن من الحصول على وظيفة.

الزوجة: عدت للمعهد وأصبحتَ أنت جليس الأطفال. وليتك لم تكن.

-ظلام-

(5)

إضاءة على منظر الشقة، الزوج يجلس بمعية شخصين على طاولة، يتناقشون وعلى الطاولة بعض الأوراق. صوت مفتاح الباب، يفتح الباب، تدخل الزوجة، ينتبه الزوج. يرتبك ويسرع بلملمة الأوراق من على الطاولة. يقف الشخصان، تدخل الزوجة وتقترب باستغراب من الطاولة.

الزوجة: مرحبا.

شخص 1: (متهرباً، للزوج) حسناً نراك مجدداً، سنتفق بالتأكيد.. إلى اللقاء.

يخرجان بسرعة وسط استغراب الزوجة.

الزوجة: من يكونان؟

الزوج: إنهم زملاء.

الزوجة: وعلى ماذا ستتفقون؟

الزوج: (بارتباك) على.. على .. هما يبحثان لي عن وظيفة.

الزوجة: ولماذا لم يردّوا على تحيتي؟!

الزوجة: لا أدري.. سأسلهم بالتأكيد.

يبدأ الزوج برفع فناجين القهوة من على الطاولة وهو يحمل أوراقاً تحت إبطه.

الزوج: (وفي يده الفناجين) سآخذهم للمطبخ.

يتحرك باتجاه الداخل تسقط منه ورقة دون أن يشعر. تتجه الزوجة للورقة وتأخذها تبدأ بالقراءة، الصدمة بادية على ملامحها، تحرك رأسها أسفاً، يدخل الزوج. ينتبه للورقة في يدها يأخذ الورقة منها بعصبية. تنتبه الزوجة.

الزوجة: (يبدو عليها الصدمة) ما الذي قرأته في هذه الورقة؟.

الزوج: (متهرباً بارتباك) لا شيء.

الزوجة: لم أكن مرتاحة من الشخصين اللذين غادرا. ما الذي تنويه؟

الزوج: قلت لك لا شيء.

الزوجة: (بعصبية) بل في عينيك كل شيء. لا أخطئ حدسي أبداً.

الزوج: أنت واهمة، إنهم يبحثون لي عن عمل.

الزوجة: (ترفع صوتها غاضبة) بمنشورات ضد السلطة؟

يبدأ الارتباك والخوف على الزوج، يتلفت يمنة ويسرى.. يقترب منها ويهمس.

الزوج: (بصوت خافت) ما الذي تقولينه؟ هل تريدينهم أن يسمعوك ويعتقلوني؟

الزوجة: (تخفض صوتها، وبنوع من الرجاء) يا حبيبي نحن في غنى عن المشاكل، خاصة مع السلطة. يكفي ما بنا، فلا تورط نفسك مع أحد.

يهدأ الزوج، ويجلس على كرسي الطاولة، ويلوذ بصمت طويل، تحاول الزوجة الهدوء، تجلس بمقابلته. بعد فترة من الصمت.

الزوجة: ألن تخبرني؟

الزوج: (ينظر إليها ثم يشيح بوجهه) بماذا؟

الزوجة: بكل شيء، بالشخصين اللذين غادرا للتو. بالمنشور الذي قرأته. بدوامة الأسئلة التي تطوف في رأسي الآن، بالقلق المميت الذي أوقعتني فيه.

الزوج: لا شيء عندي لأقوله.

الزوجة: (تبكي) لماذا أشعر الآن بأنك غريب. لست كما كنت، لست العاشق. لست زوجي الذي يفتح لي كتاب أفكاره. أنت الآن كائن لا أعرف عنه شيئاً، لا أعرف ما يخبّئ لي.

الزوج: لا تبالغي في الأمر. كانت مجرد تسلية وتنتهي، أو اعتبريها فضفضة رجل مكبوت، يسير بخطوات سريعة نحو الفقر.

الزوجة: ليس مبرراً يجعلك تورط نفسك.

الزوج: (يتنهد) ليست ورطة. أنا أفرغ كل ما بداخلي من حنق ضد هذا العالم بهذه الطريقة. لا تقلقي، لن يصيبك أذى.

تتنهد الزوجة وتلوذ بالصمت. إظلام سريع، وإضاءة خفيفة تدل على حلول الليل. صوت الزوجة وحده يروي.

الزوجة: كان يطلب مني أن لا أقلق، لكن القلق أكبر من أن أتجاوزه. مرت أسابيع والقلق يكبر ويكبر، صار يثقل صدري.

صوت طرقات قوية وسريعة على الباب، يخرج الزوج والزوجة من غرفتهما بملابس النوم مستغربين.

الزوجة: من هذا الذي يطرق علينا الباب في هذه الساعة؟

الزوج: (يهم بالتحرك نحو الباب) سأفتحه.

يسمع صوت من الخارج.

صوت: اقتحموا الشقة.

تزيد وتقوى الطرقات على الباب، يدخل بعض عناصر الشرطة مدججين بالأسلحة.

الزوج: من أنتم؟ وماذا تريدون؟

شرطي: اعتقلوه.

يهجم بعض الشرطة على الزوج الذي يحاول المقاومة، يركل الشرطي الزوج في بطنه، ينهار الزوج ويجرونه. بينما يبدو الرعب على الزوجة.

الزوجة: (بصوت خائف) أين تأخذونه؟

الشرطي: (بغضب) لا شأن لك.

يخرجون وهم يجرون الزوج وسط خوف الزوجة. هدوء لفترة.

الزوجة: شهران لم أعرف أين مكانه، ولا أيّ شيء عنه. حيّ هو أم ميت. لا أدري ما يأكل وما يشرب، لا أدري كيف ينام، جرّبت كل شيء لأصل إليه، دخلت مكاتب مخابرات ومكاتب شرطة، المعهد والموسيقى كانا جواز دخولي للمكاتب للبحث عن الزوج الغائب، ساعدني بعض الزملاء. أهملت الطفلين، فأنا بين المعهد وزوجي المعتقل فقدت قدرتي على التواصل مع الطفلين. الحمد لله أني وجدت جارة نبيلة اعتنت بهما. غابت أخباره عني شهرين، حتى رأيته هناك.

إظلام سريع وإضاءة على الزوج على كرسي، يقابله

محقق في الطرف الآخر. يبدو على الزوج التعب والانهاك.

المحقق: أنت اضطررتنا لأن نعتقلها، ونأت بها هنا أمامك. كان يجدر بك أن تعترف وتخبرنا بكل شيء منذ البداية دون أن تعرّض زوجتك المسكينة لكل هذا الأذى.

الزوج: مشكلتكم معي، وليست معها.

المحقق: نعرف، ونعرف تماماً أنها ليست مثلك، إنها وطنية وتحب هذا البلد رغم كل شيء. أما أنت فقد خنته.

الزوج: أخبرتك بالذي دفعني لذلك.

المحقق: لا يبرر فقرك وحاجتك خيانتك للبلد. منشورات توزعها ضد السلطة، تدعو للثورة ضد سلطة تسمّيها ظالمة، تدعو للعدالة وتوزيع الثورات، تنادي بإنهاء الإقطاع، وتنادي بانتخابات. ماذا تسمي كل هذا؟

الزوج: (منهاراً) لقد أنهكني القهر يا سيدي، متعب أنا جداً وأنا بلا وظيفة. اضطررت للسرقة لأطعم أطفالي. لست مؤمناً بكل هذا، ولكنّي خدعت.

المحقق: حتى وإن خدعت، فأنت أجرمت بحق الوطن والسلطة. أين أصحابك الذين جعلوا منك أداة؟ هل تعرف أنهم هربوا لخارج البلد؟

الزوج: (مصدوماً) كلهم؟

المحقق: كلهم، تركوك وحدك تحمل خطيئتهم لتحاسب عنهم كلهم.

الزوج: أين وعودهم إذن؟ كانوا يقولون إنهم سيحمونني.

المحقق: بل حموا أنفسهم وهربوا. وأنت مصيرك السجن يا عزيزي (يضحك بسخرية).

إظلام سريع، وإضاءة على الزوجة.

الزوجة: رأيته منهكاً لا جسد كجسده ولا روح كروحه، رأيته محطماً والمحقق يحاول التحرش بي لينتزع منه اعترافاً. لم أكن أريد أن أراه على هذه الصورة. كانت موجعة صورته. أخذت كل ما بقي لي من روح.

الزوج: مرت سنة أو أكثر، لا أتذكر بالضبط، وأنا في الحبس الانفرادي، لا أرى الشمس ولا أشم هواءً، ولا أدري في أيّ جحر أنا موجود. لا محاكمة ولا حكم صدر ضدي سوى البقاء في زنزانة لا طعم لها ولا لون. كانت أيامي تمر ثقيلة لدرجة نسيت أن أعد ما مر منها، وكان يثقلها أكثر خوفي على زوجتي وطفليّ. ما الذي حدث بعد أن غادرت زوجتي غرفة التحقيق؟ كيف تعيش، كيف تطعمهما، كيف يمر الليل عليهم؟

الزوجة: كانت الأيام تمر ثقيلة، فلم يكن الأمر سهلاً عليّ، خرجت من غرفة التحقيق، بقيت بعض أيام لم أغادر البيت، كنت أحاول التعافي، أحاول أن أنسى كل ما مرّ بي. لم أكن أستطيع، كان كابوس غرفة التحقيق يجتاحني حتى في يقظتي، صرت أتحسس يد المحقق على جسدي فأنفر من هذا الجسد.

الزوج: لحظة نقلي من الانفرادي لسجن أكثر اتساعاً، ينزل فيه آخرون، نتشارك الحمام والطعام والمنام، كانت على ما فيها لحظة ولادة جديدة.

الزوجة: قررت العودة للعمل، للمعهد والبيانو لطلابي الذي اشتقتهم، أودعت طفليّ عند جارتي مرة أخرى، كانت تشفق عليّ، وهذا ما جعلني أطلب منها الاعتناء بهما.. (تمشي قليلاً إلى يسار المسرح) كنت سعيدة لأن المعهد والموسيقى لا بد أن تبرئ جرحي. مشيت من الشقة إلى المعهد على بعد المسافة، دخلت، وصلت لباب الصف.

صوت أستاذ يشرح درس موسيقى لطلاب، تتوقف الزوجة.. تستمع باستغراب. تقترب منها معلمة موسيقى أخرى. تنتبه الزوجة لها.

المعلمة: (بصرامة) ماذا تفعلين؟

الزوجة: (تنتبه وتحاول الابتسامة) أهلاً أستاذة. لا شيء، عدت اليوم للمعهد. ولكن يبدو أن صفّي قد شغل بمدرس آخر.

المعلمة: إنه أستاذ الموسيقى الجديد الذي أخذ مكانك.

الزوجة: (باستغراب) مكاني؟، وهل سأنقل إلى مكان آخر؟

المعلمة: لا مكان لك في المعهد.

الزوجة: ما الذي تعنينه؟

المعلمة: لقد صدر قرار فصلك من المعهد.

تبدو الصدمة على الزوجة وعدم الاستيعاب.

الزوجة: ولمَ كل هذا؟ كيف أفصل وأنا لم أرتكب ما يستحق الفصل.

المعلمة: كل هذا الغياب وتقولين لا تستحقين.

الزوجة: غيابي كان بعذر، أرسلت رسائل للمديرة أكثر من مرة. كانت إجازات دون مرتب.

المعلمة: لم يصل للمديرة أيّ رسائل.

الزوجة: أنا واثقة أنك وراء كل هذا. أنت وحدك من يكرهني.

المعلمة: لا تتهميني، يكفي اعتقالك من قبل السلطة. هذا

الأمر يستحق الفصل دون نقاش. لقد وصل الخبر لإدارة المعهد وتقرر فصلك.

الزوجة تبدأ بالبكاء وتهم بمغادرة المكان، تنظر للمعلمة الذي يبدو عليها التشفي.. تغادر.

الزوجة: انتهت علاقتي منذ تلك اللحظة بالمعهد، عدت للبيت وأنا كغريق يبحث عن نفس ينعش صدره. كنت أختنق. وأغرق. كنت على وشك الموت. بقيت أياماً لا أعلم كيف أدير حياتي.

الزوج: في السجن، كنت أميل للهدوء، لم أتبادل الأحاديث مع أحد لأن الشك في الجميع كان هو دافعي للصمت. ما الذي يضمن أن لا يكون أحد المخبرين موجوداً في الزنزانة.

الزوجة: فكرت في تدريس الموسيقى في البيوت، نشرت إعلاناً في الصحف، لم يتصل أحد. هل عرف الناس بأني اعتقلت أيضاً وأن زوجي معتقل؟ لا أدري لكن لم يتصل أحد. فكرت في البحث عن أيّ وظيفة.

الزوج: طال الصمت، وثقلت الروح بالهموم، خوفي على عائلتي كان أكبر من التفكير في التعرف على أحد زملاء الزنزانة، لم يستلطفوا صمتي أبداً، ولم أستلطف أحداً منهم.

الزوجة: ودارت بي دائرة الأيام، ووصلت إلى أن أصبح خادمة. معلمة موسيقى تتحول إلى خادمة في البيوت، أيّ سخرية كانت. كانت حاجة طفلي تدفعني لفعل أيّ شيء. حتى لو كان الخدمة في البيوت.

-إظلام-

(7)

نفس المنظر، الزوجة تجلس على ذات الدكة وهي تحوك بالصوف، الزوج يروح ويجيء ويبدو عليه الغضب.

الزوج: (غاضباً) كيف وصل بك الأمر لأن تصبحي خادمة.

الزوجة: (وهي منهمكة في الحياكة) ومن أخبرك؟

الزوج: لا يهم، المهم أنك جرحتِ كبريائي.

الزوجة: وكبريائي أنا؟

الزوج: وكبرياؤك أيضاً. كيف رضيتِ بهذا؟

الزوجة: (بذات الهدوء) ومن قال إني راضية. لكن ما الذي تفعله امرأة معتقل دخلت غرفة التحقيق وحُسبت أنها وزوجها ضد السلطة؟

الزوج: هذا لا يبرر أن تعملي كخادمة.

الزوجة: من كان بحاجة ملحة مثلي قد يتنازل عن كبريائه. كان يمكن أن أعمل في أيّ وظيفة توفر لنا لقمة عشاء وثمن إيجار شقة.

الزوج: لم أكن أظن أن كل هذا سيحدث.

الزوجة: أنت من اخترت هذا الطريق.

الزوج: لست أنا، الظروف، الجيب الخالي.

الزوجة: دعنا ننسى الظروف والجيب الخالي. أنت خرجت من المعتقل سليماً بلا عاهات وهذا يكفي. لنفكر في الأيام الآتية.

الزوج: من قال بلا عاهات، روحي كلها عاهات، كلها ندوب.

الزوجة: وهكذا عاد من المعتقل، وليته لم يعد. أتعبني أكثر بهذا المزاج الحاد والكوابيس التي تزور نومه. ومع كل هذا أكملت عملي كخادمة، فقد زاد عليّ الحمل أكثر، شخص رابع يجب أن أطعمه.

الزوج: قاربت اليأس، لم أعد قادراً على مواصلة الحياة في المدينة. كنت أخاف الخروج ورؤية شرطي صدفة، كان جسدي يرتعش لدرجة التبوّل على نفسي. كنت أخاف من كل ما يمتّ للسلطة بصلة. حتى من رجل المرور.

الزوجة: كان قرار الهروب من البلد صعباً، لا أدري كيف وافقته. بدأ بالتخطيط للهروب، كنت خائفة ممّا سيأتي. خائفة على الطفلين، وعليه أيضاً. كيف سيهرب بنا وهو بكل هذا الخوف والقلق. ما الذي سنفعله في بلد غريب. ولغة غريبة؟

الزوج: (للزوجة) وجدت من يأخذنا من هنا.

الزوجة: (باستغراب) ومن يكون؟

الزوج: وسيط، ولكنه يحتاج للمال لتدبير كل ما يلزم.

الزوجة: وكيف نضمن أنه سيوصلنا؟

الزوج: إنه عمله، ندفع له وسيوفر لنا طريق الهرب من هنا، أنا لم أعد أقوى على الحياة في هذا البلد. أريد أن أنسى كل شيء.

الزوجة: وجهدت طوال أشهر كي أجمع المال الكافي، كنت أعمل في البيوت خادمة، وفي البيت أحوك قمصان الصوف والقبعات. وجمعنا مالاً كان يكفينا أن نعيش بشكل أفضل أو نفتح مشروعاً تجارياً صغيراً، لكن رغبته هو في الهرب وليس رغبتي بددت كل ما جمعته. لم أكن أريد الهرب من البلد. كنت متصالحة مع وضعي.

الزوج: لم أتصالح أبداً مع هكذا بلد، لم أشعر بعد الاعتقال بأيّ انتماء إليه. بل إني شعرت بكراهيته ورغبة ملحة في

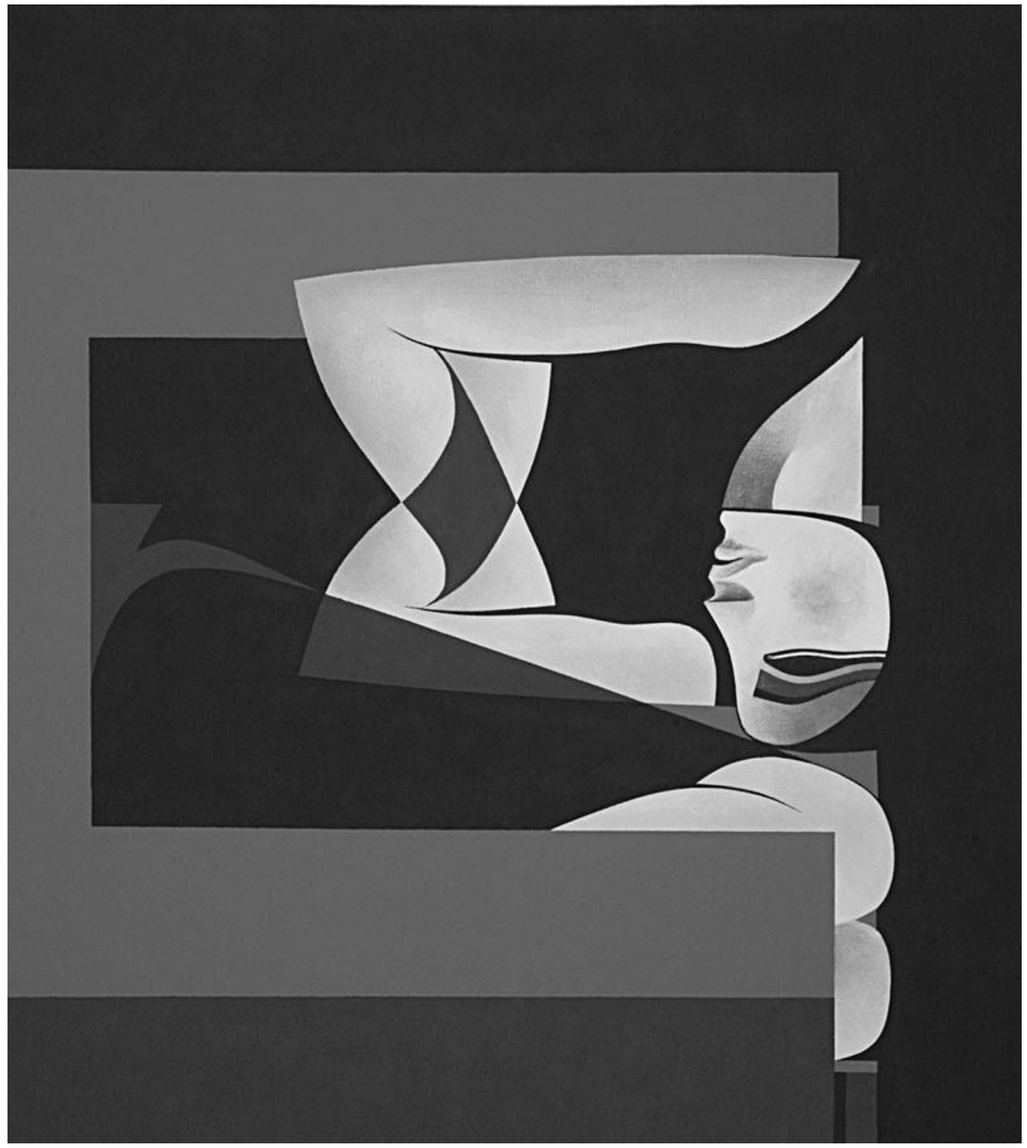

صفوان داحول

الهرب منه.

الزوجة: كنت أحاول إقناعه بالبقاء، لكنّي لم أتمكن. الفكرة تسيطر عليه. لم أجد بداً من الموافقة.

الزوج: كان لا بد أن نهرب، فلم يعد لي في هذا البلد من مكان، لا وظيفة ولا طمأنينة.

الزوجة: (بحزن) إنه بلدنا، وطننا، كيف نغادره؟

الزوج: حين نفتقد الطمأنينة في أوطاننا فإن الوطن لا معنى له.

الزوجة: وكانت لحظة الهرب، كانت لحظة مغادرة الشقة التي لم أغادرها منذ سكنتها إلا إلى مركز الاعتقال، لم أغادر المدينة التي جئتها من قرية بعيدة لأدرس فيها وأدرّس وأحب وأتزوج، وأنجب (تردد حوارها بنوع من

اليأس والحزن)وأجوع وأشعر باليأس وأشقى وأعتقل وأعمل خادمة. المدينة التي سكنتها وسكنتني كان من الصعب عليّ مغادرتها.

الزوج: (بفرح) كانت لحظة مغادرة المدينة لحظة الفكاك، شعرت بأني يومها فقط تحررت من سجني.

الزوجة: (بضيق واضح) كانت رحلة مخيفة، كنا نواجه الموت، رأيناه بأعيننا.. كائناً بلا ملامح، له فم مفتوح على اتساع السماء، يبلع كل ما يقترب منه.

الزوج: (بفرح) رغم صعوبة الرحلة، رغم الخوف. وصلنا إلى أرض الأمان، أرض الأحلام. تلقفتنا يد سلطة البلد، احتضنونا أضافونا في مخيمات اللاجئين.

الزوجة: (تبدأ بالبكاء) كم هو موجع أن ترى أحلامك تتبدد. أحلامي بالشهرة وحفلات الموسيقى والأسطوانة الخاصة. أحلامي بأطفال يعيشون حياة أفضل. كلها تبددت، كلها راحت إلى الفناء.

الزوج: (بفرح) كم أنا محظوظ لأنّي تخلصت من بلد يقسو على أبنائه، ما فائدة بلد نعيش فيه ونحن في حاجة. هنا لا شيء ينقصنا، طعام وبيت.

الزوجة: (تبكي) أيّ بيت هذا وأيّ طعام؟ إنه مجرد كونتينر. وأيّ طعام ذلك الذي تتصدق علينا به المؤسسات الخيرية؟ أيّ أمل وأيّ حلم ذلك الذي تركناه وراءنا. حتى الطفلان فقدناهما. بحثوا لهم عن أب وأم غيرنا بحجة التبني. بحجة البحث عن مستقبل أفضل.

الزوج: (سعيداً) أكملي، لقد بدأت أنسى، أشعر بالسعادة. بدأت أتخفف من الماضي.

الزوجة: (تصرخ باكية) لن أكمل، أنت تتخفف من الماضي ولكنك ترهقني به.

الزوج: أنت تساعديننني بلعبة التذكر هذه. أنا أفرغت كل الذكريات القاسية من رأسي.

الزوجة: (منهارة تمسك رأسها) ولكنك أفرغتها في رأسي. كل اللحظات التي مرّت بي وبك تحلّق أمام عيني، لا أستطيع أن أفتح عيني ولا أغمضها. شريط من الذكريات الموجعة.

الزوج: (يحاول تهدئتها) لا بأس، أنت قادرة على التخلص وعلى النسيان. لست مثلي. يكفي أنك عالجتِ كل عاهاتي بهذه اللعبة الممتعة.

الزوجة: (تبعد يده بغضب) ممتعة؟ أيّ متعة تجدها في الضغط على رأسي بذكرياتك؟ لقد تعبت حتى نسيت كل شيء، وها أنت تعيدني لذات اللحظة.

الزوج: أنت من اقترحتِ هذه اللعبة، وقد نجحت. أنظري، أنا إنسان آخر، لا كوابيس ستزور نومي، ولا خوف من طرق باب ولا من زوار ليل.

الزوجة: (بهستيريا) ولكني بتّ أخاف، أخاف من يد تلمسني، أخاف من ظلام، ومن كل شيء. أنا لا أستطيع البقاء هنا.

الزوج: (باستغراب) وأين تذهبين؟ إنه بلد غريب عنا.

الزوجة: (بهستيريا) أريد أن أعود.

الزوج: إلى أين؟

الزوجة: إلى بيتي ومدينتي وصفّي، إلى البيانو والموسيقى وأوراق النوتة. إلى حياتي الحقيقية. أنا لا أريد أن أكون لاجئة في كونتينر. أنا امرأة أحبّت الحياة.

الزوج: سنجد الحياة هنا، سنطلب لجوءاً. سننتقل من هذا الكونتينر.

الزوجة: (وهي تبكي بهستيريا) لن أنتقل إلى أيّ مكان سوى إلى بيتي. سأعود إلى قريتي. اشتقت لقريتي ولأمّي.

الزوج: لن تغادري المكان. سنبقى هنا، حتى تأتي الفرصة.

الزوجة: لا أريد فرصاً يكفيني فرصاً.. أفهمت؟

تبدأ بحمل بعض الأغراض والملابس في يديها.. وتهمّ بالخروج

الزوج: ما ذا تفعلين؟

الزوجة: لن يخف ثقل رأسي سوى بالعودة إلى البيت.

الزوج: والطفلان؟ وعدناهما أن نأتي لهما.

الزوجة: بل سيأتيان هما، لن ينسياني أنا متأكدة، سيدلون طريقي يوماً ما، سيبحثان عنّي بالتأكيد.

تهرب مسرعة جهة الباب.. يلحقها وهو ينادي .. يترك الباب مفتوحاً.

الزوج: (ينادي) تعالي.. لا تذهبي.. تعالي..

يخرج، هدوء، صوت ريح خفيفة.. وطرقات على الباب كما في مستهل المسرحية.

-نهاية-

مسرحي وكاتب من السعودية

أسامة دياب

صاحب الأثـر

عقيل مهدي يوسف

الشخصيات:

- **هو** - رجل مشهور .
- **هي** - صحافيـة .

(المشهـد الأول)

(هو.. منشغل في هندامـه الأنيق.. يمتلئ المكان بالزهور والشموع، والستائر الملونـة.. والهواتف.. في صالة راقية، في أحد القصور الفخمـة.. تدخل فتاة أصغر سناً منه، وتحاول أن تسجّل معه لقاءاً صحفياً)..

هي: أتسمح لي..

هو: يا للصحافة! تختارون اللحظات المصيرية، لتشيّدوا مجدكم..

هي: أسألُك عن..

هو: أسئلة، أسئلة.. متى تكفّون عن طرح الأسئلة .

هي: لم يصّرح الناطق باسمكم، بأيّ معلومة تفيد الناس .

هو: ها أنت جئت، لتختصري الشوط وتنتزعين الخبر منيّ مجاناً .

هي: على رسلك.. لِمَ أنتَ غاضب؟

هو: كان من المفروض أن لا تقحمي نفسك في خلوتي التاريخية هذه .

هي: اسمع، الكل مبتهج، يا صاحب الأثر المبجل.. أصغ للموسيقي.. للصخب الجماهيري في يوم مجدك.

(المشهـد الثاني)

(تقوم الفتاة بإخراج حقيبة تضعها قرب مكان الرجل، الذي يخرج، ويتحول المكان إلى فضاء جديد.. وكأنها هي صاحبة القصر).

هي: (لوحدهـا).

يا لنفاقِك.. لديّ الآن في حقيبتي.. عشرات الأقنعة التي كنت

تتخفى خلفهـا..

هو: (يطرق الباب بشـدة).

افتحتي الباب!.. أتريديني أن أبات الليلة خارج بيتي .

هي: اسمعني جيداً.. إن كنت غدرت بجارنـا.. ولفّقت له تهماً.. وانقضضت عليه كالوحش المفترس، ما أدراني أن أكون ضحيتك القادمـة .

هو: قلتُ لكِ افتحي الباب.. حتى لا ينزعج الجيران .

هي: أنت أزعجت العالم بأسره، وجررتني خلفك مثل عبد تابع.. جعلت مني، دمية حمقـاء.

(المشهـد الثالث)

(يشرب نخباً من قنينة نبيـذ.. وكأنه في مصيف أجنبي، يسمع موسيقى غربيـة.. يتطلع في قائمة المأكولات والمشروبـات.. في الخلفية أصوات طائرات، وأضواء مطارات)..

هو: تنتابني الهواجس أحياناً.. ربما لذة الخمر.. أو شهوة المجـد..

حمداً لله، فأنا وحدي الآن..

دعكَ من المنغّصات! واحمل حقيبتك.. وغُذ.

(يـرنّ الهاتف).

نعم.. أنا في كامل أناقتي..

أنتظر منك الإشارة.. حسناً إلى اللقاء.. سأتوجه إلى الطائرة.

(يغلـق الهاتف).

سأتخلّق بأخلاق القادة الكبار.. برصانتهم، وجنونهم العبقري ! الكل ينتظر، كلماتي البكر.. المتمردة على قواعد

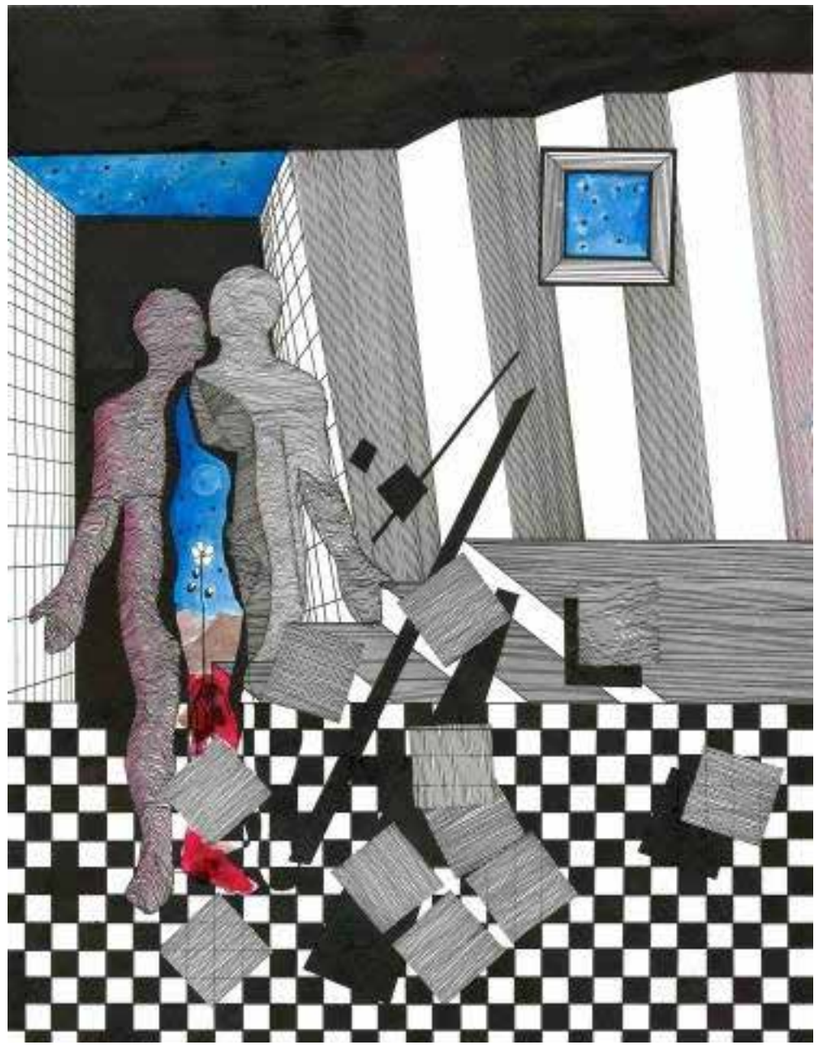

شيرين عدي

اللغة كلها.. وحدهم الحمقى من يكررّون الكلام، تراهم يتقيّدون بالفكرة !

يا للسخريـة.. فلتسحق الأفكـار..

لألتحق بالوطن، بأقرب طائـرة خاصّة، يا ترى كيف سيكون شكل العالم، لو قررت الرحيل عنـه؟

(المشهـد الرابع)

(الغرفـة.. كما في المشهـد الأول، في القصر)..

هو: عدتِ ثانيـة ؟

هي: لكني هنـا..

هو: اسمعيني، أيتها الصحفية الضالة، لستُ في حالة تسمح لي بإجراءات المقابلة .

هي: حشوت حياتنا، بأساطيرك.. من حق المعجبين بخصالك، أن تتحفهم بحكايا لم يسمعوها.. حدّثهم عن الرجل الذي اختطفته في سيارتك، وجئت به مقيداً إلى حمام بيتك.. مدمى .

هو: كيف اطّلعت أنت على مثل هذه الأسـرار؟

هي: عصرنا، يبجّل الشفافية.. والمكاشفة وإعادة بناء

العالم، على وفق تصميم عمراني جديـد.

(المشهـد الخامس)

(يلتحف الرجل، برداء عسكري، وكأنه في أحد الملاجئ.. في حين تبقى المرأة في القصر)..

هو: سألتحق بالقصر حالاً.. أين مسدسي؟ يومياً يتعين عليّ وضع وسام الوطن على صدري !

(يرصف أكياس الرمل فوق بعضها، وهو في خندقه تحت الأرض المكيّف بوسائل الراحة. ثم يزول رقماً في هاتف الميدان)..

هي: وأنـا؟

هو: الضعف.. البلوى.. أتدرين إن أسرتي، لا تمثلها الزوجة أو يختزلها الأبناء.. أنا أعيش في سماوات المطلق.. تلذ لي الحياة تحت زمجرة القنابل، وأشعر بالأمان وأنا أتحصّن في ملجئي .

هي: لم تقلّبني إذن، على بركانك الدامي، أيها المتحصّن السعيد، وأنت تخطّ مصائر الناس، وتلاحقهم على الشبهات؟

هو: مجرمون بحقّ مجدي الخرافي، هؤلاء الأراذل !

هي: لكنك تأتي بهم، تسقيهم الخمور، ثمّ يكتبون لك أسفارك بعد أن تنقدهم الدراهم البائسة، لتحصد أنت دنانير الشهرة والعبقرية .

هو: أين وضعت حذائي العسكري؟! في أيّ حقيبة ؟.. أجيبي هل تسمعيـن .

(المشهـد السادس)

(وكأنها قرب مسبح، يضطجع كل منهم على كرسي ممدود)..

هو: أنت تذكرينني بكائن أعرفـه .

هي: حقـاً؟

هو: لا أدري، الجميع ينتظر إطلالتي عليهم مثل شمس مقدسة، أينما حللت !

هي: لكنك تمشي حافياً .

هو: دعكِ من هذه التفاهات الصحفية .

ما الضير في ذلك؟

لا يفترض بالمحتفى به أن يلبس ملابس بعينها! أو ينتعل حذاءاً خاصاً .

ممكن أن أتنكّر بآلاف الصور.

هي: وهذا ما تفعلـه.

هو: هل قلتِ إنـي...

هي: مـاذا؟

هو: سمعتُ متوهماً، شيئاً.. يخصّ التنكّر، أو ما أشبه ذلك

ما الذي جاء بي إلى هنا؟

ألا ينبغي أن أكون هناك؟

(المشهـد السابع)

(يظهر الرجل، وظهره للجمهور، عار في نصفه الأعلى، وهي تعدّ له القهوة)..

هو: قذفتني الأقدار.. فوجدتك جزيرتي الساحرة.

(يناولها السوط.. حتى تسـوطه به)..

هي: تدميني، وتركلني، حتى أدمنتُ أنا بدوري على ركلك.. واحدة بواحـدة !

(تضربـه بالسـوط)..

هو: اسكت.. آخ.. آخ.. اضربيني بقوة أكبر..

هي: وجدتُ نفسي.. مُذلّة.. وقبيحـة .

هو: أنت الجميلة.. الأسيانة.. الفاتنة.. الوحشية، وكأنك من مخلوقات جوجان في الجزر البدائية.. آخ..

هي: طلبـت الطـلاق..

هو: لن أسمح بأن يطلقني أحـد.. آخ..

هي: لمـاذا .

هو: حتى أطلّقـه أنـا..

هي: نكتـة عبقريـة .

هو: لا ينطقها إلاّ مثلـي .

(المشهـد الثامن)

(وكأنهما قرب مايكرفون الإذاعـة)..

هي: جئتني بلهجتك المخجلة.. بخزيك من ملابس أمّك، وعادات أبيك.. وكأنك تحمل عـار الدهور.. لتنثر فوقي الدينار، والدرهم .

هو: العار أنتم، أنا أرجعتُ لكم الكرامـة.. أفنيت عمري الأرضي، من أجلكم، لكني -يا لغبائكم- احتفظتُ بعمري السماوي، في جعبتـي المقدسة هذه .

(يضع أوسمـة مختلفة على صـدره يخرجها من صندوق صغير أنيـق)..

هي: اسمع إلى هتافهم، وصفيرهم.. وتهليلهـم.. إنهم ينتظرونك في الحفـل..

أغرق المحتفلون الصالة، بالزهور، والهدايا، والإطلاقات النارية، إنهم مغتبطون في عيد الأعيـاد، الذي لا هلال لهم من بعدك .

هو: سيزداد تشوّقهم لرؤيتي، ابتعدي عن شرفتي الملكية هذه أريد أن أخرج لهم لوحدي.. كأوّل يوم للخليقـة.

(المشهـد التاسع)

(ظلال قضبان.. أشبـه بسجـن)

هي: ألا تخجـل من وشايتـك؟

هو: لو لم آكلهم، لكانوا رموا عظامي إلى الكلاب..

هي: غدرت بهم، شتّت شملهم، ومازلت تتقلّب !

هو: الذكاء، أن تضرب بصواب، في الوقت الخطأ .

هي: أسأل نفسي، كيف يمكن لمجنون مثلك أن يغش هؤلاء الناس؟

كيف انطلت عليهم اللعبـة ؟ ألم يكتشفوا مقدار حماقتك.. وغبائك ؟

هو: تستغلين عاطفتي الأسريـة، فتنّفسي عن غيرتك، وحقدك من مجدي الأوحد، وشهرتي العريضة، وإنجازي الخارق .

هي: مع إنك لم تخطّ حرفاً واحداً، أو تضع لبنة واحدة بتّ غارقاً في آثارك العمرانيـة، والحربية، والرياضية، واستحوذت على المآثر كلها، واكتسحت العالم بشهرتك العريضة !

هو: دع سفنـي تمرح مع الدلافين، أيتها الجنية، في عالم المخاض الدامي، بطقوسه السرّية، من يدري، ربما أنزلق من أبراج الأبدية !أجد نفسي قبّرة مستوحدة. هذه القصيدة ستكون مفاجأة الافتتـاح.

(المشهـد العاشـر)

(عـودة إلى المشهد الخاص بالقصـر)

هو: هل أجرينـا اللقـاء؟

هي: لا.. لكنك.. تتحدث مع نفسـك.

هو: مـاذا قلت؟

هي: ما أدراني.. حتى إنك لم تدعني أطرح عليك سؤالاً واحداً.

هو: وماذا أقول للجماهير المحتشدة؟

وأنا الآن أمثل لهم جدارية عملاقة، يكتبون عليها نجاحاتهم، وإخفاقاتهم، يضرعون إليّ، يطلبون مني السلوى والخلاص .

هي: أنا صحافيـة من معشر الإعلاميين الفقراء .

هو: تبحثيـن عن الغنى إذن؟

هي: غنـى عمودي الصحفي .

هو: وأنا من يدبّج حروفك بالذهب حين تطلبين المكافأة !

هي: بل أكون واسطة بينك والقرّاء .

هو: الحشود المليونيـة حين تقرأ أخباري، تنتفعون أنتم في تسويق الجريـدة، وأخسر أنا.

هي: كيـف؟

هو: أنا من يصنع الجمهور أيتها الخائبـة.

يرمي عليها رزم النقـود..".

(المشهـد الحادي عشر)

(تختفـي وراء أحدى الأبواب، وهو يحاورهـا من جهة الباب الأخـرى)..

هو: اخرجي، وإلا استدعيت قوات الطوارئ .

هي: ما ذنبـي؟..

هو: مَنْ أرسلك؟..

هي: الذين صنعـوك..

هو: كيف علمتِ؟

هي: لطيبة قلوبهم، صدّقوا بكرامتك السياسية، والفكريـة، والأسطوريـة..

هو: إنهم، التقطوني من القاع كما يحسبون، لكنهم لا يدرون، كيف اجتهدت لالتقط الطعم بإرادتي أرادوا تجنيدي، فجندّتهم لخدمتي أنا.

هي: هم يستحقون حالاً أشرف من هذا الحال .

هو: غادرون، أوغاد، أعطيتهم كل شيء كل شيء، لم يبق لي سوى هؤلاء المحتشدين الرعـاع .

هي: هم يحتفلون اليوم بآثارك، ومنجزاتك ويكرمونك، ولا يعلمون باحتقارك لهم .

هو: هم اشتروني، وانتشلوني من الحضيض .

هي: أتقصـد الجمهور؟

هو: أقصد أصحاب القرار، الذين درّبوني .

هي: ومن غير الجمهور بيـده القرار؟

(المشهـد الثاني عشـر)

(في غرفـة القصـر)..

هي: سأنزع باروكتي، علّك تتعرف عليّ .

هو: مَن ؟.. أنتِ.
هي: أنا.. زوجتـك.. طليقتـك..
هو : لكنـك صحافيـة .
هي: استعنت بواحدة من وسائلك، خذ حقيبة الأقنعـة..
هو: الحقيبة التي ظننا أنها اختفت..اتضح أنك سرقتها منيّ !
ظننت أني سأكون بدونها بلا حول ولا قوة.. خذيها لكِ.
هي: إنما أخذتها لتبقى ذكرى عن الأيام الخوالي.. أتسمح لي بفتحها..
هو: وكأنك لم تفتحيها مرات.. ومرات !
هي: تأكّد، إني لم أفتحها إلا أمامك أنت !
هو: مـا تقصديـن؟
هي: سأريك أقنعتك (تفتح الحقيبة، لتخرج قناعاً تلو الآخر) هذا من لفّقت عليه، فأودع السجن بتهمة الخيانة، وهذا من طمرته في أخدود، يا صاحب الأخدود، وهذا من سخرت منه حتى جعلت منه أضحوكة للعالمين، كنت تصعد مثل سرعة البرق إلى سدّة الحكم بمفاسدك وتنزل كالصاعقة على الأرامل.. والشرفاء.. طلقتني، وكنت السبب في إذلال أميّ، وموتها بعد أن طافت بالزنازين، وانتُهكَت كرامتها.

(المشهـد الثالث عشر)

(تنزل أسلاك شائكة، لتعزل أحدهم عن الآخر)..
هي: لا أدري هل أجبروك على طلب يدي أم جئت طوعاً؟
هو: كنتِ أشبه بأسبانية خلاسية، لكنك تحولت ضدّي، بفعل مكائد أُمك .
هي: كانت تشفق عليك، رأتك مضطرباً، غير متزن في انفعالاتك .
هو: المهم.. انتشلتك من بيت الرذيلـة..
هي: عجبي منك!.. هل بإمكانك الادعاء بالفضائل، أتذكر ما فعلت بي؟
هو: جعلتك أميرة هذا القصـر..
هي: ومـاذا بعـد؟
هو: طمّاعون.. اختنقتم بحجرات خزائني .
هي: كنتَ أفقر من الفقـر نفسه .
هو: منحتـكِ الحريـة .
هي: حجرتني في قصركَ، مثلُ عصفور في قفص.
هو: يكفيكِ شرفاً، إني تزوجتـكِ.
هي: لم يكن زواجاً، بل اعتقالا للروح، وخراباً للحياة .

(المشهـد الرابع عشر)

(يجلسان على الأرض، أحدهم مقابلاً للآخر)..
هي: أطلعتني على أسرار الناس، وفضحت، وهتكت، وتماديت..
هو: لكنك كنتِ معي هنا، أبقيتك قربي.
هي: رائحة فضائحك تزكم الأنوف..
هو: أتدعّيـن العفّـة؟
هي: أتركها لك.. لأنك أنت من انتزع العفة منيّ بالإكراه والجبروت .
هو: كنت أسمعك شرائط صوتية، وأريك مناظر، واعترافات فاضحة لأناس، كانوا يتقلبّون في أطوار التهتك، والدسائس، واللـذة.. والشبق .
هي: تقززتُ منك! تتلصّص على أسرار البيوت الآمنة، وتحولها إلى أدلة جرمية ضدّهم .
هو: ذنبي، أني بُحتُ لك بالأسرار كلها .
هي: وكتمت عني سرّي الخاص، سرّ أميّ المغدورة بتلفيقاتك.

(المشهـد الخامس عشر)

(أسلاك.. فنادق.. سجون..)..
هي: من حق الأم، أن تحرص على ابنتها .
هو: وكأني آخذك إلى كوخ الذّل لا العرس !
هي: لم تر أمي قصرك الباذخ، بل رأتك .
تعرفّت على مَصدر هذا السحت الحرام .
هو: كأنكِ تتلفظين بنصّ كلامها.
هي: جعلتني ألهث، وأنا أنتقل من سجن إلى معتقل إلى جُبّ، بحثاً عنها في دهاليز غامضة، مرعبة، رطبة .
هو: قلتُ لكِ لا أعرف عن هذا الأمر شيئاً .
هي: بيّتَ لها مكيدتك، كيف تجرؤ على الأذى.. كيف تتطاول على معنى الأمومـة؟.. أتذكّرها، في يوم خطبتي، كسيرة.. خائفة..
هو: منيّ.. نعم تخافني.. لم تعجبها ملامحي، وذقني، وتصرفاتي، وحقائبي وأرصدتـي .
هي: أنهيت حياتها بجدارة الجلادين العتاة، قطعت بيني وأمي، حبل الحياة السـرّي .أمّي التي لا تكفي دموع أهل

شيرين عدي

الأرض من تخفيف حزني عليها.

(المشهـد السادس عشر)

(طرق يشتد على الأبواب، وأصوات غاضبة، مزمجرة)..
هي: سأفتح الآن بنفسي الأبواب .
هو: انتظري، ريثما أعـدّ نفسي، لملاقاة حفلي البهيّ.
(يغيرّ من طريقته في الكلام) عندما أعطيك الإشارة .
هي: لم تنطق بهذه الطريقـة؟
هو: عندما ألتقي بالحشود، تلهمني الطاقة الكونية، وذبذبات الحنجرة، بأن أصبح عظيمـاً مثل زيوس أو جوبتير، لأسرد على العالم، طقوسي، وأُظهر عجائبي، وأتمتم بالأبجدية الأولى، لكي يسمعني هذا العالم الأصمّ.
هي: اسمع، إنهم يهـدرون.
هو: لا بحر سواي.. الضجيج في داخلي أنا..
هي: يريدون ابتلاعك.
هو: بحري يبتلع المغفلين، بمثل ما ابتلعتهم من قبل.
هي: وأنت.. مَن تكون؟
هو : أنـا صاحب الأثـر .

الختـام الأول

(المشهـد السابع عشر)

(يظهر الرجل جالساً على كرسي أبيض، وبملابس بيضاء وكذلك الأرضية والخلفية بيضاء.. وتبقى المرأة خارج هذا الفضاء الأبيض)..
هو: في موتي هذا.. يمكنني التفاهم معك.
هي: لكنك مُت !
هو: لا أُخفي عنك ذلك.. لأكن صريحاً..
أليس هذا ما تمنيته طوال حياتك؟
هي: تمنيت.. نعم.. لكن أن تكلمني، وأنت ميّت، بهذه الطريقة، أمر لم يخطر على بالي من قبل .
هو: أرأيت.. حين يتحقق المستحيل، أو ما كنت تخافين الإفصاح عنه في الحياة يصبح الأمر كابوساً ثقيلاً عند الموت يدور بيننا الآن .
هي: لم أخف شيئاً عنك.
هو: نعم أخفيت رغبتك الدفينة في الانتقام مني، طوال حياتنا الزوجية.
هي: أردت فقط مثلما أراد الآخرون أن تشعر بالندم، ولو لمرّة واحدة !

(المشهـد الثامن عشر)

(يجلس الرجل داخـل مكعب مفّرغ من السطوح وتجلس المرأة على كرة دائريـة)..
هو: ابتدأتُ حياتي.. مذّلاً.. منبوذاً .
هي: اعترف أكثر، حتى تخفف من ذنوبك القاتلة .
هو: لا يلذّ لي أن أرى الآخر متفوقاً بل أصدقك القول، كان نجاح أقراني يضايقني.. لدرجة أني كنتُ أتمنى أن تنقضّ صاعقة عليهم لتمحقهم من الوجود، كنتُ أقول لماذا هم، ولست أنا من يحقق النجاح، والفوز.
هي: أعرف ذلك.. كنت تهرب من المدرسة، لأنك لا تتحمل

سخرية الأطفال منك في الصف، لغبائك، وتوحّدك .

هو: لجأتُ من حينها إلى توهّماتي الشخصية، أبتكر لنفسي عوالم من الخيال.. فأنتقم منهم، وأترصدهم واحداً واحداً .

هي: ومن ثم.. أصبحت ذلك العظيم صاحب الأثر، في زمنك الأرضي السابق.

(المشهـد التاسع عشر)

(يجلس على مائدة الخمر.. وهي تسجل صوته)..

هو: الذاكرة البشرية تربك تصوري عن العالم .

هي: الأطفال مثلاً لا ذاكرة لديهم، لذلك لا يقدمون آثاراً خالدة للبشرية لولا معجزة السيد المسيح، فإنها تبقى الاستثناء الوحيـد.

هو: أنا، مثل الملائكة حين يأتون إلى الحّمامات ليغتسلوا من الغبار الملوث كنت أتصور نفسي.. طاهـراً حتى في دنسي.

هي: أكمل..هم رشّحوك.. ماذا لقنوك؟

هو: الدرس.. لقنوني درس الافتراء وإذكاء الفتن. أتخيّل أمراً مشيناً، فالصقه عمداً بعدوي.. لأقتصّ منه، بالتشهير تارة، وبالاستعداء، والتصفيـة، تارة أخرى.

هي: لكنه كان صديقك الأثير، هذا الذي غدرت به قبل موتك بلحظات؟

هو: وما أدراني.. تنقلب عندي الموازين في اللحظات الحرجـة .

فيصبح حليفي، وأخي، وحبيبـي، فجأة متحوّلاً إلى طاعون، إلى وباء ماحق .

هي: بمثل ما فعلتـه مع زوجتك.. معي والأطفال .

هو: لأنني معجب بسرديات حياتـي، التي لا أجدها حاضرة عند الناس أجمعين.

(المشهـد العشرون)

(.. يجلس في مقدمة صفوف من الكراسي على كرسي أبيض وهي تقف على الخشبـة أمامه، تسلط عليها بقعـة ضوء، ملونة، وتبقى الإضاءة شاحبة عليـه)..

هي: ما رأيُك بما شاهـدت؟

هو: تفاهة.. كل ما يمرق أمام عَيني في عالم هؤلاء من المنافسين الأرضيين الذي يحاصرونني بمؤامراتهم الصغيرة أجدهُ يستفزني .

هي: فتبحث عن تسويق مقنع لتدميرهم، بما تجيده من تهكّمات وتلفيقات .

هو: مازلت.. وأنا.. الآن.. في موتي المترفع لا أعرف بالضبط ما الذي يعتريني حين أكره، أوزعّ بعض كرهي على شبكة الإنترنت، وأبقي بعضه لنفسي، لكي أتسلى بـه.

هي: هل فكرت بالحب، الذي خدعت فيه زوجتـك الغرة، الصغيرة، البريئـة .

هو: لا تذكري البراءة أمامي، حتى في موتي أحنّ للتلوث الخاص بي، الذي لا يشبه تلوّث الناس القـذر، وهم يخفونه بدعوى الحب، والأسرة، والصداقـة لقد انزلقت من كوكب سماوي إلى عالم الجحيم هذا .

(المشهـد الحادي والعشرون)

(في منطقة مغايـرة من الغرفة الفخمـة)..

هو: شغفتُ بالحرية، ودعوت لها بقـوة .

هي: أفصح أكثر.. كيف كنت هناك؟

هو: قبل موتي هذا، كنتُ صادقاً تماماً في دعوتـي إلى التحرر، والديمقراطية، والتمرد النبيـل .

هي: اعترف.. قُل.. هل كنت كذلك .

هو: اسمعيني جيداً.. حين أصغي لكلمة الحرية التي ينطقها الآخرون.. أشعر كأنها كلمة زائفة.. بل تعني العبودية نفسها !

هي: لا سيما معي.. أنا زوجتـك .

هو : مليون حالة وحالة تخيلتك فيها .

هي: وكيف كانت حالاتك المتخيلة عنيّ؟ أخبرني بصراحة فالموتى لا يكذبون .

هو: كانت الصورة..

هي: كيف كانت صورتك عنيّ، هيا أكمل ما لم تبُح به لأحد .

هو: خجلٌ أنا من البوح العلني.. هكذا كنت في حياتي الأولـى .

هي: والآن؟

هو: كنتِ تخونني.. مع أقرب أتباعي.. مقترفة بذلك الدنس أشنع جرائم العصر. وغالباً ما كنت أرمق عضّات عشاقك السرّيين، وهم يغرزون أنيابهم الزرقاء في جسدك اللّدن. كانت بقعاً تقلق ليلي مثل طاعون يجتاح المدينـة.

شيرين عدي

(المشهـد الثاني والعشرون)

(يقتربان الرجل والمرأة، بكرسييهما وجهاً لوجـه)..

هي: وإخلاصك أنت ؟ أكنت تصطنعه مع الآخرين .

هو: كنت أظهر للآخرين مودة لا تشوبها شائبة حين أنفرد بأحدهم أجعله يظن بأنه صديقي الأثير حقاً؟

هي: بمثل صداقتك المزعومـة معي.

هو: بل وأكثر.. تحدوني غريزة كاسحة من الحب، والكراهية في آن واحد لك أنت وللجميع .

هي: لم تكن تصغي حتى لأبسط أفكاري .

هو: بل كنتُ أتدخل في صياغة انطباعات صديقاتك عنك.. وأنقل لهم أرائي عنك، وكأنها معتقداتك أنتِ .

هي: لفقت عليّ، وأنا زوجتك، ما لا يليق أن يلصق بإنسان، فجعلتهن ينفرن منّي .

هو: مازلت حتى في محنة موتي هذا.. أشعر بأن لا إنسان حقيقي سواي، مخيّلتي الإنسيّة لا تطيق خبث مؤامراتهم الشيطانية .

هي: حتى بعد أن انكشف الوهـم؟

هو: لوهمي حقيقته الصافية، الخالصة بمثل حقيقة حياتي السالفة، وحقيقة موتي الراهن الملموس هنا. بالوهم أتحكم بالعالم، حتى لا يتلاعب بي الغادرون .

(المشهـد الثالث والعشرون)

(يجلس في مكعبه.. وتعكس الإضاءة ظلاله المعتمة.. المتشظية)..

هو: من الصعب عليّ أن أتراجع.. في حين يتقدم الآخرون .

هي: هذه لغة المراهنات في سباق الخيول .

هو: أُجنُّ حين يتفوّه أحدهم بكلام غريب لم أقل مثله من قبل.

أو يقدم مأثرة.. أو ينتصر في اختبار.. أو حين يصفق له الجمهور.. عرفاناً منهم بنجاحه !

هي: ومشروعي الأول.. حين اقترحت عليك أن تكون الداعم له؟

هو: حسبته أشبه ببيضة أفعى.. وكان يتعيّن عليّ أن أوفر الدفء لها، حتى ينضج الصِل فيها، ويلدغني لدغة الموت الكبـرى .

هي: ها أنت ميّت الآن، سواء لدغك الصلّ أو لم يلدغك .

هو: موت عن موت يفـرق .

هي : كيـف؟

هو: كنتُ سأموت على طريقتك.. لا على طريقتي .

هي: أكنتَ تخاف تفوقي عليك؟

هو: لم أسمح لأحد أن يتجاسر على تفوقي وأنا حيّ أرزق .

(المشهـد الرابع والعشرون)

(.. في الغرفة.. أمام المرايا.. يقفـان)..

هو: السخرية من الآخرين الكبار، والتطاول على منجزاتهم، والتحلل من المواثيق.. والتملق للصغار.. هكذا كانت لعبتي .

هي: لكنهم بشر، فكيف تتلهّى بهم، أو تخدعهم؟

هو: هنا تكون اللعبة شرسة، وغامضة، ومزدوجة بيني وبينهم، فتزداد قيمتي في نظر المتنطعين الجدد .

هي: لكنهم يتعذبون أيضاً، حين يكبرون أقصد، أتباعك الجدد هؤلاء؟

هو: هذا منبع لذّتي.. الآن في موتـي.. لا أعايش تلك المشاعـر والانفعالات التي اختبرتُها في حياتـي الأولى

الفانيـــة، وكانت لي السلوى والعزاء الشافي .
هي: وعنـيّ.. والأطفال.. ألم نترك في ضميرك رقعة للحنوّ والرحمة، أم تظننا مادة لجنونك السعيد .
هو: المستقبل لا يعني لي، سوى مستقبلي أنا .
هي: تزوجتُ غيرك.. مندهشة من تواتر ذكر اسمك الكريه عند عوائل ضحاياك "ينهشهم البغض منك ومن أفعالك وتحيّرت من شهرتك العريضة" كيف انطلت جرائمك على أتباعك. كيف سكتت عنك عُصبتك المغفّلة، هل تراه الخوف منك ومن انتقامك؟

(المشهـد الخامس والعشرون)

(تحمل المرأة باقـة ورد تضعها على ضريح رخامي.. يتمدد.. بجانبـه.. الرجل)..

هي: تحايلت حين كان ينبغي لك أن تحال على التقاعد، وقاتلت بضراوة .
هو: كيف يتقاعد واحد مثلي، بجرّة قلم بيروقراطيـة؟
هي: وحين تركت موقعك..
هي : شعرت كأن ذلّ الدنيـا والآخرة قد انصبّ عليّ مثل حمم بركانية كاسحة .
هو: وصحتـك .
هو: كان ينبغي أن يتدهور العالم، بمثل تدهور صحتي.. منيّ يعرفُ، ألما قبلُ وألما بعدُ، والصحة والمرض .
هي: مثيولوجيا شخصك العظيم، حلّت بديلاً عن أساطير القدامى، واختراعات العصر الحديث .
هو: أفتش عن أسلحتي القديمة، لأعيد الاشتغال عليها. أفتح مراكز مقفلة، تعيد صلتي بالعالم، أستعير طبقات صوت منسيـة، من مجدي الغابـرّ، وأنتقي حركات انفعالية، وكلمات سحرية، مخدرة للجماهير، أحشّد مفردات الكره، والجحود والتآمر، وأهضم الخراف الغوغائية الصغيرة، لكي أبدو أسداً بزئيري .
هي: إذن، ارقد بسلام أيها الجحيم، بجانب الفردوس، فلم يكن زئيرك المستعار هذا سوى واحد من ألاعيبك.. يا صاحب الأثـر .

الختـام الثاني والأخيـر

كاتب من العراق

أصوات الغابة

تكييف عن نص "النصب التذكاري" لكولين واغنر

عواد علي

الشخصيات:
زعور: جندي أسير، 20 سنة
كريمة: أرملة شهيد، 50 سنة

المشهد الأول

(زعور مربوط بسير جلدي إلى كرسي، فوقه مصباح يشكّل مصدر الضوء الوحيد. يبدو صغيراً في الظلمة الفسيحة)

زعور: هل حقاً أن سلوكي متأثر باسمي.. أزعر، سيء الخلق، لأن اسمي زعور.. لكن لا شأن لي بهم، فأنا لست الرجل الوحيد الذي مارس الاغتصاب والقتل..

(تدخل كريمة مرتديةً ملابس سودا، وتقف إلى يمين زعور بحيث يتعذر عليه رؤيتها. تنظر إليه بجمود)

زعور: هل أنتِ الجلاد؟ أظن أنه مما يناسب المرأة أن تفعل ذلك. المرأة لا تستطيع أن تغتصب الرجال. ذلك أمر سيء ها؟ أنا أبدو جاهزاً. أفترض أن الذهاب إلى المرحاض قبل أن نبدأ أمر خارج السؤال. (يضحك، في حين تظل هي صامتة). إذا كنت تنتظرين أن أقول آسف فلن أقولها. ما الذي سيختلف لو أنني قلتها؟ إنها لن تعيدهن، ولن تبطل ما فعلت، ولن تجعلني رجلاً أفضل.

كريمة: لن تفعل ذلك؟

زعور: آه، إنها تمتلك لساناً. (ساخراً) أنا آسف، هل تشعرين بالارتياح؟

كريمة: هل ينبغي عليّ؟

زعور: أليست هذه الكلمة هي كل ما ينبني عليه العفو؟ أنا أقول آسف والعالم يغفر لي. أنا آسف، أنا لا أقصدها طبعاً، ولذا كيف أستطيع أن أتوقّع العفو.

كريمة: أليس ذلك ما تريده؟

زعور: أريد أن أتبوّل.

كريمة: إذن تبوّل. هل تعتقد بأننا لم نر رجلاً يبول على بنطاله؟ لو كنتَ كلباً لاستطعت أن تبول على ساقك بسهولة، لكنك لستَ كلباً، أليس كذلك؟ ولذا لا تستطيع أن تبول على بنطالك. يجب عليك أن تفكّر في أن آخرين يفعلونها مثل الحيوانات، لكن ليس أنت، أنت شخص جيد.

زعور: هل أنت طيبة؟

كريمة: لا.

زعور: شريرة؟

كريمة: لا.

زعور: داعية؟

كريمة: لا.

زعور: ولستِ الجلاد؟

كريمة: ربما أريد لك الراحة.

زعور: حقاً؟

كريمة: أجل.

زعور: هل هذه مزحة؟

كريمة: لا مزاح، ولكن بشرط.

زعور: أيّ شرط؟

كريمة: يجب أن تفعل ما أقوله لك كي تنال الراحة.

زعور: أفعل فقط كل ما تقولين؟

كريمة: أجل.

زعور: مثل أيّ شيء؟

كريمة: كل شيء.

زعور: لا اتفاق.

كريمة: كما تشاء. (تبدأ بالخروج)

أسامة دياب

زعور: انتظري. ماذا لو طلبتِ مني أن أقتل نفسي؟

كريمة: عليك أن تنفّذ.

زعور: هل ستطلبين مني ذلك؟ أهذا كل ما في الأمر؟ إنني أعجز من أن أفعلها. إنها طريقة جديدة لجعل الأسرى يفعلونها بأنفسهم، هذا كل ما في الأمر، أليس كذلك؟

كريمة: كما تشاء.

زعور: ماذا سيحدث لو لم أفعل ما تطلبينه مني؟

كريمة: ماذا تعتقد أنت، ترفض ثم لن تتعرض إلى عواقب وخيمة؟ تركض وتختبئ مثل كلب مرعوب؟ إلى أين تستطيع الذهاب؟ الكل يعرفون وجهك. أنت أبغض رجل في العالم.

زعور: هل هذه حقيقة؟

كريمة: ماذا تعتقد أنت؟ لقد قتلت ثلاثاً وعشرين امرأةً وتريد من الناس أن يحبوك لذلك؟

زعور: لماذا إذن تريدين إراحتي؟

كريمة: عليك أن توافق على الشروط إن أردتَ أن تعرف. (تنظر إلى ساعتها) لقد حان الوقت.

زعور: (تمرّ عليه لحظات مسعورة. تبدأ كريمة بالمغادرة) أكيد، موافق، ما الذي سأخسره؟

(ظلام)

المشهد الثاني

(يستولي زعور على لقمات الطعام الأخيرة في الزبدية ويلتهمها، ثم يمص أصابعه لتبدو نظيفةً)

زعور: (بعد أن يتجشأ) جيد جداً. طعام الأسر هو الأرداً، أحياناً لا أود أن آكله.
كريمة: هل الراحة تجعل من كل شيء يبدو جيداً؟
زعور: حتى أنها تجعل من وجهك العبوس يبدو جيداً. هل لك زوج؟
كريمة: كان لي وقُتل.
زعور: أين، في الغوطة أم في داريا؟
كريمة: لا شأن لك.
زعور: أمر مؤسف. هل عندك رِد بول؟
كريمة: أجل، لكنك لن تناله قبل أن تقول الحقيقة.
زعور: كل الناس قالوا إن ما فعلته كان خطأً، ولذلك سأموت بسبب ما ارتكبته. الأشرار يُعاقبون، أليست هذه حقيقة؟ أما الخيّرون، الأبرياء فيظلون أحراراً. أخبريني، هل أنا شرير أم خيّر؟ ما هي الحقيقة؟
كريمة: أنت لست خيّراً.
زعور: لكن الأمور تبدو من خلال حذائي مختلفةً.
(بسرعة تلتقط كريمة من الأرض منجلاً، وبحركة رشيقة تضرب زعور على أذنه، وحين يسقط على الأرض تضع حول رقبته كلاّباً معدنياً، وتربطه بترباس مثبت في الأرض، فيبدأ يتنفس الهواء بصعوبة).
كريمة: انهض.
(ترفسه بشدة، فيبكي ويلهث وهو ممدد على الأرض)
انهض!
(يحاول النهوض ببطء، لكنه يستدرك أنه مقيد)
زعور: ما هذا...؟!
(تضربه على وجهه وصدره)
ماذا تفعلين؟
(تصفعه على فمه)
كريمة: (بأمر) ستكون أخرس.
زعور: لماذا تفعلين هذا؟
(تضربه على فمه مرةً ثانيةً)
كريمة: ستكون أخرس.
(يحاول زعور أن يتكلم، لكنه يفكّر في أن الصمت أفضل. تبدأ كريمة بصفعه على نحو متناسق، وبهدوء، صفعةً إثر صفعة. فيهيج زعور ويحاول أن يصدها).
زعور: كفي!
كريمة: ستخرس وتتلقى الضرب مثل رجل.
زعور: لماذا؟
كريمة: هذا هو الاتفاق.
زعور: وهل أنت عازمة على ضربي حتى الموت؟
كريمة: سأستمر في ضربك إلى أن تنهار على الأرض، أو أصبح أنا عاجزةً عن ضربك.
(تضربه فينهار على الفور).
انهض.
زعور: لقد أصبت بالانهيار.
كريمة: انهض أنت جبان.
(ينهض زعور مذعناً على مضض)
قف على طول قامتك.
(يحني زعور رقبته، ويهيئ نفسه لاستقبال الضرب. تقف كريمة أمامه وتشرع في ضربه ضربات كأنها تستمر إلى الأبد، لكنها تتوقف لتتنفس)
كريمة: اركع.
(يركع زعور على ركبتيه متزعزعاً، في حين ترفع كريمة وشاحاً، وتضمد أذنه)
زعور: لماذا فعلتِ ذلك؟
كريمة: لأنك لا تعرف الفرق بين الحقيقة والكذب.
زعور: حتى أنت لا أعرفك. هل أعرفك؟ هل التقينا من قبل؟ هل فعلت لك شيئاً يوماً ما؟
كريمة: أنت لا تعرفني. نحن لم نلتقِ من قبل.
(تنتهي من تضميده)
لم أضمدك مثلما تضمدك ممرضة، ولا مثل حبيبتك، لكنه يفي بالغرض.
زعور: هل تعرفين حبيبتي؟
كريمة: أعرف أنها ميتة.
زعور: (مصعوقاً) أنت تكذبين. هل ماتت حقاً؟
كريمة: قل لي أنت.
زعور: أرني دليلاً.
كريمة: لماذا عليّ أن أفعل؟ من أنت حتى أعطيك دليلاً؟
زعور: لديّ الحق في أن أعرف الحقيقة. إنها حية، أعرف ذلك. لماذا تتلاعبين بعقلي؟
كريمة: حان وقت النوم، ستنام خارج هذا المكان.
زعور: في الخارج؟
كريمة: نعم في الخارج.
زعور: ألا تخافين أن أهرب؟
كريمة: أهرب إن استطعت، ستقتل في أول حاجز.
(تخرج كريمة، في حين يقف زعور بعناد)

أسامة دياب

زعور: عليكِ اللعنة. سحقاً لك.
المشهد الثالث
(زعور مقيد وقد شُدّ إلى محراث خشبي، وخلفه كريمة ترشده)
كريمة: ألا تستطيع أن تسحب بشدة أكثر يا زعرور؟
زعور: اسمي زعور، زع- ور.
كريمة: أنا أفضّل زعرور.
زعور: وأنا لا أفضّل أن أسحب بشدة أكثر.
كريمة: ليس لك قول في الموضوع.
(يستند زعور على النير)
زعور: يصعب تحريكه.
كريمة: (ضاحكةً) زعرور، أنت أحمق جداً ومضحك.
زعور: لا تسميني زعرور، حسناً؟ أقصد رجاءً.
كريمة: حسناً.
(يحاول أن يحرك المحراث مرةً أخرى لكنه لا يتحرك).
زعور: الأرض صلبة. ومن المحتمل أن تكون مسممةً. نحن كنا نرشها أحياناً.
كريمة: ثمة ألغام أرضية أيضاً.
زعور: هنا؟
كريمة: هل تخاف أن تموت؟

زعور: كل الناس يخافون أن يموتوا، عدا حين تكون الحياة رديئةً. في هذه الحال يرغبون في الموت.
كريمة: هل كانت النساء اللواتي قتلتهن من هذا النوع؟
زعور: بعضهن.
كريمة: من منهن؟
زعور: لا أتذكر.
كريمة: ما أسماؤهن؟
زعور: لا أعرف. لماذا تسألين؟
كريمة: اسحب.
زعور: إنه لا يتحرك. كيف أستطيع؟ (ناظراً إلى الأعلى) الطقس يصيب بضربة شمس. (تنظر إليه كريمة بغضب فيكفّ عن تكشيرته) ارفعي عنّي النير، كريمة. لقد قابلت أناساً عنيدين مثلك من قبل. هكذا هم العنيدون، لا يعرفون متى يُضربون حينما يحتاجون إلى مساعدة الآخرين، حتى لو كانوا لا يحبونهم.
كريمة: هذه الصخرة لم تكن موجودة هنا من قبل.
زعور: ربما ليست صخرةً، بل لغماً.
(تفك كريمة بسرعة النير عن رقبة زعور، وتصفعه على جبهته، وتجرجره من قيده إلى الصخرة)
كريمة: أحفر..
زعور: كيف؟
كريمة: بأقدامك، بفمك، بأنفك. أنا لا أبالي، احفر فقط.
(يتفحص زعور الصخرة للحظات، ثم يشرع في تحريكها بقدم واحدة، ويصفر بنغمة طويلة).
زعور: إنها كبيرة.
كريمة: احفر.
(يعمل زعور بشدة مستخدماً كلا قدميه، تتطور هذه الحركة إلى نوع من الهزهزة، يغني ويرفس في القذارة إلى أن يتعب).
زعور: هذا طقس يصيب بضربة شمس.
كريمة: بالنسبة للمعتوهين، نعم. احفر.
زعور: اخلعي قميصي، الجو حار، أنا أحب الشمس. لم أر ضوء النهار في الأسر. إنه أول يوم حار من أيام السنة.
كريمة: أنت لا شيء، لا أحد، كلب، عبد، قاتل.
زعور: أعرف من أكون. أعرف أني كلبك وعبدك. أنا زعرور القاتل، ثم ماذا؟
(تجلس كريمة على الصخرة)
كريمة: ثم ماذا؟ صحيح، ثم ماذا؟ ماذا نفعل مع الكلاب والعبيد والقتلة؟ ماذا تود أنت أن تفعل؟ إن كنتَ قادراً على أن تكون أحمق فأنا أحتقرك.
زعور: أطلقي عليّ النار إذن. هل تعتقدين بأنني أبالي، ها؟ ما الذي أمتلكه كي أبالي من أجله؟
كريمة: لا تبحث عن الشفقة. احفر.
(يبدأ بالحفر، هائجاً أول مرة، ثم يكشرّ ويزيح التراب إلى أن تنكشف الصخرة، فيتحول إلى رقصته المجنونة، ثم يشبك ذراعيه حول الصخرة ويزحزحها بكل قوته، ويرفعها بنجاح إلى صدره، ويدور كما لو أنه يريد أن يرميها على كريمة).
كريمة: هيا، أرني من أيّ طينة أنت حقاً. هشّم وجهي بها.
(يضحك زعور على عجزه)
أسقطها على قدمك.
زعور: (شاعراً بالخطر فجأةً) لا أستطيع.
كريمة: لماذا؟
زعور: لا أعرف.
كريمة: (تضع قدميها أسفل الصخرة) أسقطها على قدميّ أنا.
(يفلت زعور الصخرة على الفور، لكن كريمة تسحب قدميها بسرعة. يضحك زعور على عجزه)
حاول مرةً ثانيةً.
زعور: (ضاحكاً) إنها ثقيلة جداً.
كريمة: احملها.
زعور: أنت امرأة غريبة الأطوار.
كريمة: من أنت حتى تحكم عليّ؟ احملها.
(يحاول زعور أن يرفع الصخرة، لكنه يعجز)
زعور: مستحيل.
كريمة: قبل لحظة كان حملها ممكناً. احملها وإلاّ دفنتك هنا.
زعور: لا أستطيع حملها الآن. ستكون عندي طاقة لحملها فيما بعد. لقد استنفدتها كلها. من تتصورينني، عنترة؟ لا أستطيع أن أرفع جبلاً بأمر.
كريمة: ألم تقتل بأمر؟
(لا إجابة)
أيهما أصعب، قتل الناس أم حمل الجبل؟ أهذه حدود طاقتك يا زعرور؟ في الكراهية؟ إن كنتَ تكره بشدة فإنك تستطيع أن ترفع جبلاً، وتقتل الناس بأمر.
زعور: أنا لا أكرههم.

كريمة: هل تقتل الناس الذين تحبهم؟ تعلّم كيف تكرهني يا زعرور، لأنك سترفع تلك الصخرة بأمر أو ستُدفن حيّاً في هذا المكان.
زعور: أتمنى لو أنك لم تأتِ لإنقاذي.
كريمة: أنا لم آتِ لإنقاذك.
زعور: أنت قلت إنك منقذتي، هل ستطلقين سراحي من الأسر؟
كريمة: لتعود إلى الاغتصاب والقتل مجدداً؟
زعور: لا، سأهرب إلى الخارج.
كريمة: لقد كذبت. أنت تعرف كل شيء عن الأكاذيب، أليس كذلك؟ ألم تقل أبداً للفتاة الشابة سأريكِ الغابة؟
زعور: كلا، لم أقل لها ذلك أبداً.
كريمة: ستأخذني يوماً ما إلى تلك الغابة.
زعور: ماذا تقصدين؟
كريمة: أنت تبدو متوتراً. نحن كلنا نعرف الغابة، عن الأجساد الميتة. رغم ذلك فإن حبيبتك ليست بينها، لقد ماتت في الشارع.
(يبكي زعور)
أنت محق يا زعرور. والآن احمل تلك الصخرة لأنك مدين لي. احملها من دون امتنان عوضاً عن الكراهية. هيا.
(يحاول زعور رفع الصخرة، لكنه يفشل)
زعور: أنت تكرهينني.
كريمة: أجل.
زعور: لماذا؟
كريمة: كنت أستطيع قتلك قبل أن أتمكن من إنهاء جملتي.
زعور: أنتِ واحدة من الإرهابيين، أليس كذلك؟
كريمة: هكذا كانوا يحشون أدمغتكم.. كل مَن يقاومهم يسمّونه إرهابياً..
زعور: أولاد خالتي كانوا منهم.. ولي أقارب آخرون من طرف أمي. لكني قطعت علاقتي بهم جميعاً.. خشيت أن يأخذوني بجريرتهم.
كريمة: ماذا كان يحدث لو أنك انضممت إلى الثوار؟
زعور: يقتلونني.. يشنقونني.
كريمة: ألم أقل لك إنك جبان؟
زعور: يا امرأة! كانوا سيتهمونني بالخيانة ويقطعون رأسي.
كريمة: خيانة مَن؟
زعور: خيانة الوطن.. الرئيس.. الأهل.
كريمة: هذا ديدنهم.. هيا احمل الصخرة وأسقطها على قدمك.
زعور: لكن ليس من الطبيعي أن يؤذي المرء نفسه.
كريمة: وهل من الطبيعي إيذاء شخص آخر؟
زعور: أنا لم أفعل شيئاً لك.
كريمة: (تغضب فجأةً) احمل الصخرة.
زعور: لا أستطيع. (يكشّر عن أنيابه) أنت أمرك مضحك. قبل قليل قلت إنك هنا لإنقاذي.
كريمة: أو لدفنك حيّاً.
زعور: أنا أومن بأنك تشبهينني، لكنك كبيرة في السن، وبشعة جداً بالنسبة إلى شاب مثلي.
كريمة: أنا أبشع من أن أكون صالحةً للاغتصاب، وأكبر سناً من أن أكون صالحةً للإخصاب، لكني صالحة للقتل فقط.
زعور: بالتأكيد. كان ينبغي أن نطلق عليك النار.
كريمة: إذن يجب أن أعتبر نفسي محظوظةً.
زعور: عالم غريب، ها؟
كريمة: احملها.
زعور: لا أستطيع.
(تبدأ كريمة بضرب زعور بيدها على أماكن حساسة في جسده)
ماذا تفعلين؟
كريمة: خمّن.
زعور: أنت عاهرة مجنونة، عليك اللعنة.
(يرفع الصخرة إلى صدره)
كريمة: (تصفعه على وجهه) إياك أن تتفوه بهذه الكلمة مرةً ثانيةً.
زعور: ماذا دهاك؟ لقد رفعتها. لقد أسقطتها. لا يهم ماذا أفعل فأنا أتلقى صفعات. أنت ما كنت تريدين أن تمسيني لو لم أكن مقيداً.
كريمة: وأنت ما كنت تستطيع أن تغتصب نساءً لو كنّ مسلّحات.
زعور: هل تعرضتِ لاغتصاب؟
كريمة: هذا أمر لا يعنيك.
زعور: أعتبر ردك بمثابة نعم.
كريمة: أنا لا أبالي كيف تعتبره.
زعور: فكّيني يا كريمة.

كريمة: ليس بعد يا زعرور.
زعور: هذه الصخرة اللعينة ثقيلة جداً.
كريمة: أمامك خياران، إما أن تسقطها على قدميك، أو أدفنك حيّاً.
زعور: ما معنى هذا؟
كريمة: السبيل الصحيح للاختيار.
زعور: حدّك! أكسرُ قدميّ أو أُدفن حيّاً؟
كريمة: لقد عرفت أنك تمتلك بعض القدرة على التحمّل يا زعرور.
(تخرج)
زعور: لا تناديني زعرور، اسمي زعور، زع.. ور.
(يتوقف قليلاً عندما تسمعه. يحمل الصخرة خلال إشارة الإضاءة إلى حلول الليل، ويصفّر بلحن بركاكة وازدراء)
(ظلام)

المشهد الرابع
(تدخل كريمة حاملةً كيساً)
كريمة: (تفتح الكيس وتخرج منه نباتاً) إنه لك، هذا كل ما موجود من طعام.
زعور: ما هذا؟
كريمة: فجّيلة. لقد نمت قرب النهر.
زعور: أي نهر؟
كريمة: نهر العلان.
زعور: لم أسمع بهذا النهر من قبل.
كريمة: لأنك غبي لا تعرف سوى الاغتصاب والقتل والطاعة العمياء.
زعور: شكراً. لكن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بالفجيلة.
كريمة: هذه كل ما متوفر.
زعور: هناك شيء آخر في الكيس.
كريمة: رِد بول، لكني لن أعطيك إياه الآن.
زعور: متى إذن؟
كريمة: بعد أن تتناول عشاءك.
زعور: وماذا تناولت أنتِ في درعا، ها؟ صيّادية سمك؟ أوزي؟ شيش برك؟
كريمة: لم أذهب إلى درعا.
زعور: أنا سأموت إن أكلت هذه! أنت ماضية في تجويعي حتى الموت (يبدأ بمضغ الفجيلة).
(صمت)
بالمناسبة كانت توجد نبتة برية هناك (يشير إلى طرف قصي).
كريمة: ماذا تقصد بكانت؟ أنا زرعتها هذا الصباح. إنها هندباء برية. وجدتها بمحاذاة النهر وجلبتها إلى هنا.
زعور: لا أعتقد بأنها ستنمو.
كريمة: سوف نحضر لها ماءً، وستنمو، يجب أن تنمو.
زعور: (يبدو مرتبكاً) أرجو أن تعذريني.
كريمة: ما الأمر؟ ماذا فعلت يا زعرور؟ أنت تبدو مضحكاً. (تتجه إلى النبتة) أين النبتة؟ هل أكلتها؟ أنت خنزير.
زعور: كلا.
كريمة: أين هي إذن؟
زعور: سحقتها بقدمي من دون قصد.
كريمة: أنت أبله! تفعل كل ما تفعله من دون قصد!
زعور: لقد ظننت أنها ضارّة. ما كنت سأفعلها لو كنت أعرف. لماذا لم تخبريني؟
كريمة: لا يتوجب عليّ أن أقدّم لك تقريراً.
زعور: لا، لكنك لو أخبرتني، لو قلتِ: هيه، زعرور، أنا غرست هندباء بريةً اعتنِ بها.
(صمت)
كريمة: عرفت شيئاً عن حبيبتك، لقد اغتُصبت.
زعور: أنت تكذبين.
كريمة: اغتصبها عدد من الشبّيحة ثم قتلوها.
زعور: أنت تكذبين.
كريمة: أنا لا أكذب، كانت تريد الانضمام إلى الثوار فوشى بها أحدهم.
زعور: لا أصدّق. كيف تفعل ذلك وأنا حبيبها جندي نظامي؟
كريمة: قررت أن تفعل حينما علمت أنك اغتصبت وقتلت نساءً بريئات.
زعور: (ينظر إلى كريمة بشزر) أنت تكذبين، من أخبرك بذلك؟
كريمة: قرأته في سجلّك.
زعور: من أنت حتى يسمحوا لك بقراءة سجل الأسرى؟
كريمة: (تصرخ في وجهه) أنا أم شهيدة وأرملة شهيد يا كلب.
زعور: تكذبين، لم تُغتصب ولم تُقتل.
كريمة: (بحدة أقل) أنا لا أكذب، بل أنت مَن يكذب. تكذب لتجعل الحياة أسهل بالنسبة إليك. اغتصبت نساءً

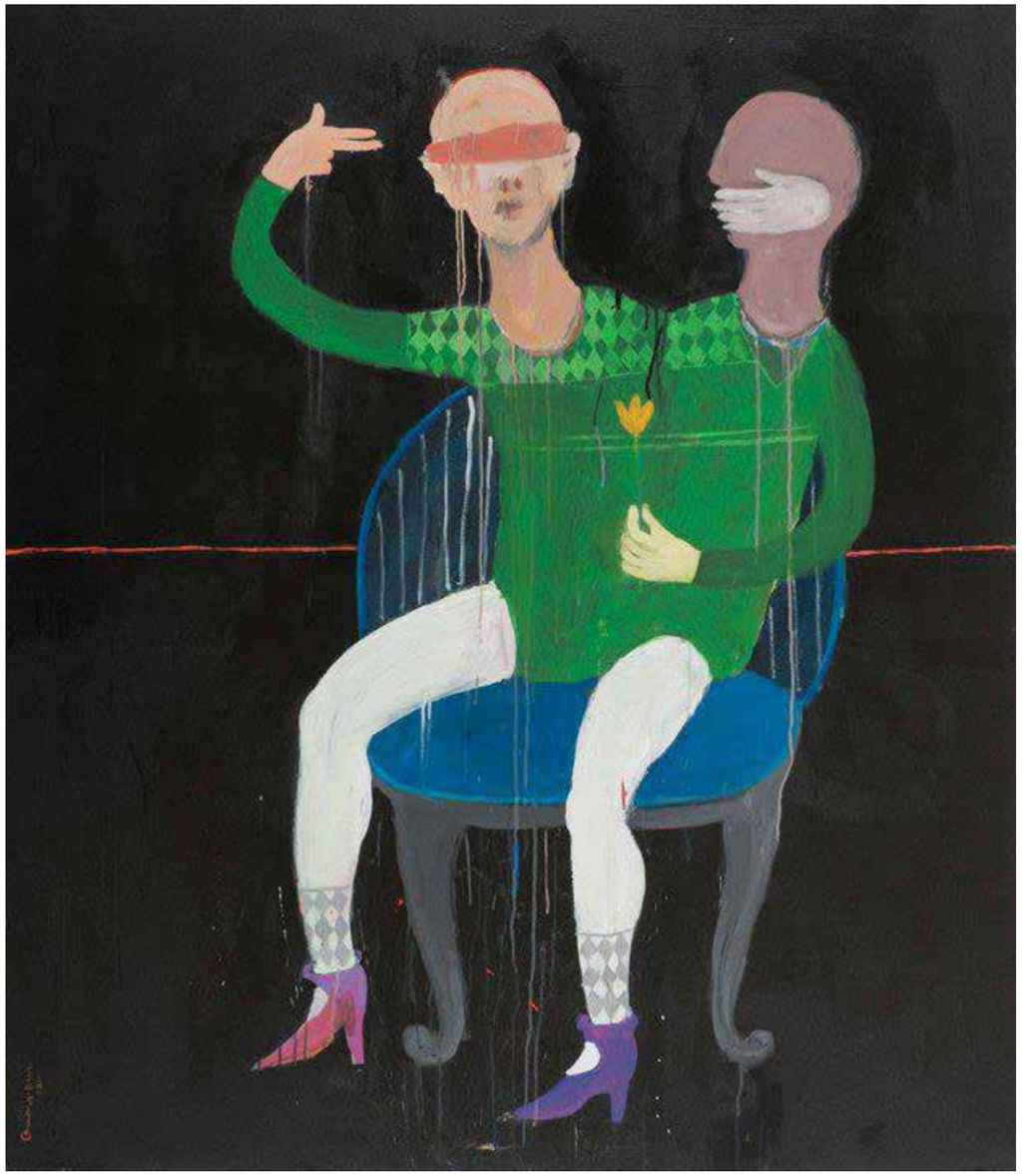

أسامة دياب

وقتلتهن لأن ذلك كان أسهل من مخالفة الأوامر.
زعور: أجل، أجل إنه أمر سهل.
كريمة: ولهذا كان من السهل اغتصاب حبيبتك.
زعور: هي لم تُغتصب.
كريمة: بلى، اغتصاب جماعي..
(يغطي زعور أذنيه)
لا تتحمل ذلك ها؟ ألم تفعلوا أنتم الأمر نفسه؟ (تستخرج علبة الرد بول وترميها له) اشرب.
زعور: (يفتح العلبة ويكرع جرعةً كبيرةً) إنه ساخن. لكن لا يهم! (يشرب) أنت أقسى امرأة عرفتها، أنت تكرهينني،

لماذا جئتِ بي إلى هنا؟

كريمة: اشرب يا زعور.

زعور: شكراً، لأنك لم تنادني زعرور. هل اغتُصبتْ حقاً؟ أخبريني بالحقيقة يا كريمة.

كريمة: ما هي الحقيقة؟ قلتُ لك إن حبيبتك ميتة، مغتصبة.

زعور: ربما تكون معتقلةً. أشياء كثيرة تحدث في الحرب. نحن كنا ننفذ الأوامر بشكل آلي. الجنود لا يُفترض بهم أن يفكروا، بل يطيعوا فقط.

كريمة: الذين اغتصبوا وقتلوا حبيبتك لم يكونوا جنوداً بل شبّيحةً؟ هل كانوا ينفذون الأوامر أيضاً؟

زعور: (يشرب) أتمنى ألا يكبر سني، ولا أكون حاداً مثلك.

كريمة: لكن لسوء حظك ستموت شاباً.

زعور: (يهز كتفيه) ماذا بوسعي أن أفعل؟ أنا أسير. لم أفعل شيئاً. نحن ضحايا القدر.

كريمة: ما يحدث ليس قدراً، بل حرب إبادة.

(تلاحظ كريمة أن زعور يفكر بالموضوع)

هل الحرب قدر؟

زعور: لا أعرف. اختلطت عليّ الأمور. بعضهم يصوّرها ثورةً، وبعضهم يصفها بالحرب الأهلية، وبعضهم الآخر يقول إنها مؤامرة على البلد، وها أنت تسمّينها حرب إبادة.

كريمة: كل واحد يرى الأمور من منظاره.. وماذا عن النساء؟

زعور: (يهز كتفيه) في الحرب يمكن اغتصابهن. الاغتصاب مجرد جزء من الحرب. أنا رأيت رجالاً يركضون صوب رشقات الرصاص فيُصاب أغلبهم ويسقط. أما الذين لا يُصابون فيعودون وهم يشعرون بالبهجة لأنهم سينالون أول نخبة من النساء. أنا لم أفعلها، لم أركض وسط رشقات الرصاص.

كريمة: أنت كنت تطلق النار على النساء فقط.

زعور: نعم، ذلك ما كان. قالوا لنا إنهن إرهابيات (يشرب) ذلك قدرهن.

كريمة: لقد قطعوا لسان حبيبتك، وشقوا بطنها، وحشوا جوفها بالقذارة، وبالوا عليها.

زعور: أنا لا أصدقك. كيف يفعلون ذلك بحبيبة جندي نظامي؟

كريمة: صدّق أو لا تصدّق، تلك هي الحقيقة.

(صمت)

غداً نذهب إلى الغابة.

(تخرج)

(يُطفأ الضوء الشاحب)

(ظلام)

المشهد الخامس

(زعور وكريمة في الغابة)

كريمة: دلني على مكانها، أين هي؟

زعور: في قبر.

كريمة: أنت دفنتها؟

زعور: لقد حفرنا قبراً جماعياً ودفنا فيه الكثير منهنّ.

كريمة: أين يقع هذا القبر؟

زعور: لا أتذكّر، ثمة عشرات من القبور الجماعية.

كريمة: خذني إليه.

زعور: كيف آخذك إليه وأنا لا أعرف أين يكون؟

كريمة: ما الذي يجعلك تتذكّر؟

زعور: لا أدري، كانت ثمة شجرة، شجرة كبيرة، توجد في لحائها خروق رصاصات، ويتدلّى منها غصن كبير رُبطت إليه واحدة من الفتيات، لكنني لا أعرف أين تلك الشجرة الآن.

(يلف هائماً في ناحية واحدة، يتوقف، يهز رأسه، ثم يلف في ناحية أخرى، ويصرخ فجأةً) هذا هو.

(تتقدم كريمة إلى الموضع)

كريمة: هل أنت متأكد؟

زعور: نعم متأكد.

كريمة: كيف عرفت؟

زعور: بإمكاني القول إني أحس به. كنت أقود سيارة الجيب وأنا أضحك، فوجدت نفسي في نهاية المطاف وحيداً. وحين أصبحت الفتاة إلى جانبي شعرت بالراحة حقاً. كنت أنظر إليها وهي لا تبتسم. تبحلق إلى الأمام فقط. لقد نسيت ماذا كان يفترض أن أفعل.

ولكن مهلاً (كمن يمثل) هكذا: ربطت يديها ورميت الحبل على غصن الشجرة. قطع أحدهم الحبل فسحبته حتى ارتفع عن الأرض. كانت تبدو جميلة جداً. عينان مائيتان واسعتان كعيني غزالة. مزقت ملابسها لأن يديها مربوطتان، وإلاّ فلن أستطيع أن أخلعها. استخدمت حربتي. كانت ذات جلد شديد البياض، لم ير الشمس مطلقاً. تمتلك شعراً أسود كثيفاً وطويلاً يدور حول سرّتها. كان شهوانياً إلى حد بعيد. أخبرتها بذلك، وأحطتها بذراعي، وقبلتها من رقبتها. تصورت أنني أستطيع أن أفعلها معها. سألتها إن كانت تشعر بالبرد، قالت "لا"، ثم سألتها إن كانت تريد أن أتعرّى فأغلقت عينيها بشدة، قلت لها لا أريد أن أخلع ملابسي، ففتحتهما ثانيةً وأخذت تبكي، سألتها ماذا تريد أن تكون حينما تكبر، قالت إنها تريد أن تصبح معلمةً، فقلت لها إنها مثل حبيبتي ليس إلاّ، وأسررتها بأنها جميلة، وأريد أن أفعلها معها. توسلت إليّ أن لا أفعلها، لكنني على أيّ حال حاولت، حاولت فقط ولم أستطع أن أفعلها.. وكل شيء انتهى. توسلت إليّ أن أطلق سراحها، ففكرت ماذا لو أطلق سراحها، ماذا سيحدث؟ ارتعبت من اكتشاف الآخرين ذلك، سيقتلونني لتركي الخصم يفلت، قالت إنها لن تخبر أحداً. لاحظت أن الوقت يتأخر، الشمس تميل إلى الغروب، ويجب أن أعيد سيارة الجيب، لذا عليّ أن أتركها للقدر. قلت "لأرى إن كان مكتوباً لها أن تحيا". عدت أدراجي وأغلقت عينيّ، وصوّبت بندقيتي إليها، وقلت لنفسي إذا أخطأت الهدف لا يهم ماذا سيحدث، سأسمح لها أن تمضي إلى سبيلها. (يصمت قليلاً) لكن الرصاصة أصابتها في الوجه.

(يخاطب كريمة) قطعت وثاقها ومددتها على الأرض، وسحبتها إلى قبر كنا قد حفرناه مسبقاً، لكنني لم أكفّنها بل وضعتها في القبر ودفنتها.

كريمة: انبشه.

زعور: ماذا؟

كريمة: انبش القبر.

زعور: إنها ميتة.

كريمة: ستنبشه، أو ستحفر لنفسك قبراً وتتمدد فيه، اختر.

(يأخذ زعور المجرفة ويبدأ بالحفر)

زعور: لقد حدث ذلك منذ مدة، ولا يمكن العثور على شيء.

(يستمر في الحفر) سمعت أن الجثث تحمل أمراضاً.

كريمة: ليست أسوأ مما يحمله الأحياء.

(يحفر أعمق)

زعور: ربما لا يكون هذا هو المكان الصحيح.

كريمة: سيكون المكان الوحيد الصحيح بالنسبة إليك.

(يحفر أعمق فأعمق)

زعور: كانت توجد أجساد كثيرة. كيف لي أن أعرف أياً منها جسدها؟

كريمة: لأن روحها ستعود وتصرخ باسمها.

(يترك زعور المجرفة ويغادر الحفرة، فتسد عليه كريمة طريقه)

تخاف من الأرواح؟

زعور: ما كان علينا أن نفعل ذلك.

كريمة: لماذا؟ أتخاف أن تعود ثانيةً؟ هل تشعر أن القبور مسكونة بالأرواح، أعني أن أرواح الموتى تمكث إذا ما فنيت أجسادها؟ هيا أحفر..

زعور: أنا نفذت ما طلبوه مني فقط.

كريمة: مثل ولد مطيع! ماذا لو أنك قلت لا؟

زعور: كانوا سيقتلونني.

كريمة: أنا أو أنت. لقد جاءت الحرب من أجل ذلك. أنا أو أنت.

زعور: الحرب تغير كل شيء. حينما تكونين في أتونها ليس ثمة اختيار.

كريمة: بلى ثمة اختيار، احفر.

زعور: صحيح، الطاعة أو الموت. الناس طبعاً يفضلون الطاعة على الموت.

كريمة: أحفر. كان عليك أن تنظر إلى كل امرأة وكأنها أختك.

زعور: (يتوقف عن الحفر)لا أستطيع.

كريمة: بل تستطيع، وستحفر.

زعور: (يحفر) حسناً. صفقة كبيرة.. صفقة حقيرة. أعتقد..

(ينظر بانتباه، ويقفز من الحفرة خارجاً) إنه الرأس!

كريمة: اسحبه إلى الخارج.

(ينظر إليها هائجاً)

اسحبه إلى الخارج.

زعور: لا أستطيع.

كريمة: بل تستطيع

زعور: (يسير زعور صوب القبر ويدخل ويسحب الجثة) حسناً! لقد سحبت الجثة كاملةً.

كريمة: هاتها إلى هنا.

زعور: آه يا إلهي.

(يشد الجثة إلى الأعلى، ويرميها عند قدمي كريمة)

كريمة: من تكون؟

زعور: لا أعرف.

كريمة: ماذا كان اسمها؟

زعور: لا أعرف

كريمة: استخرج البقية.

زعور: آه يا إلهي! اللعنة على الجحيم.
(يطبطب بقدميه داخل القبر ويحفر)
كريمة: (تنظر إلى الجثة، وتنفض القذارة الناتجة عن تحلل الجمجمة. يستخرج زعور جثةً أخرى متحللة ويرميها على الأرض، فتتجه كريمة إليها وتضع إصبعها داخل فتحة في القفص الصدري)
كريمة: هل كانت ميتتها سريعةً أم أنك خنقتها داخل القبر؟
(يرمي زعور جثةً أخرى وأخرى إلى الخارج، فتذهب كريمة إلى واحدة منها وتنحني إليها) أليست هذه أنتِ يا حبيبتي؟ (تجثو على ركبتيها) أليست هذه أنتِ؟ (تهز الجثة من ذراعيها وتحتد. يخرج زعور من القبر، فتراه كريمة وتتوقف) تعال إلى هنا.
زعور: (يذهب إليها من دون أن يتكلم).
كريمة: أجثُ على ركبتيك.
(يتردد زعور، لكنه يطيعها)
احملها.. (تقدم له الجثة) احملها.
(يفتح زعور ذراعيه على مضض ليستلم الجثة)
اسمها رباب. في التاسعة عشرة من عمرها. أنجبتها في بركان دمشق حي القابون. أرادت أن تكون معلمة موسيقى.. كانت تحترم كل الناس.. كانت شجاعةً وعطوفةً في الوقت نفسه، ولها خصلات شعر سوداء نحيفة تنسدل على ظهرها، وعينان دامعتان مثل عيني أيَل. كانت تحس بكل الناس المهدرة كرامتهم، وتؤمن بأن الحب هو الجواب، وأن الصبر هو المعلم، والرأفة هي المرأة. أرادت أن تقول "أنا انعكاس للحب والثقة والفرح.."، (تخاطب الجثة) أنتِ كل ذلك يا حبيبتي.
(صمت)
لقد شعرتْ بأنها منذورة لتعليم الناس الحب والجمال. لم أعلمها شيئاً عن الشر.. اعتقدت بأنني أستطيع حمايتها من خلال إخفاء الحقيقة عنها.. (صمت.. ثم تشير إلى زعور بأن يضع الجثة على الأرض، فيفعل ويظل جالساً على ركبتيه) تستطيع أن تنهض الآن.
زعور: لا أستطيع.
كريمة: ستحفر البقية، ثم سيكون لديك عمل شاق آخر. ستحكي قصة النساء اللواتي قتلتهن مرات عديدةً. ستسمّيهن.. سنبني نصباً لهم.. ونسمح للأمهات بأن يستردن بناتهن.
زعور: لكنهن سيقتلنني ولن تظهر الحقيقة.
كريمة: للحقيقة طريقها في الظهور، ولا شيء يستطيع إيقافها.
(ظلام)

المشهد السادس

(نصب تذكاري مكون من كومة جثث على شكل دائرة. تقف كريمة إلى جوار النصب حاملةً جثة رباب بذراعيها. زعور أيضاً يقف في وسط المسرح حاملاً إحدى الجثث بذراعيه، غير موقن، عصبي المزاج).
زعور: آه.. (ينظر إلى كريمة)
كريمة: أذكر لي أسماءهن.
زعور: كيف لي أن أعرف أسماءهن؟
كريمة: لقد أزف الوقت.
زعور: (ينظر إلى النصب التذكاري) لا أعرف. إنها غشاوة وأنت فقط من عملها.
كريمة: أنا؟ أنا عملتها؟
زعور: لا.. بل أنا عملتها فقط.. أنا قتلتهن.
كريمة: سمّ لي كل النساء اللواتي قتلتهن يا زعور.
زعور: أنا لم أسألهن عن أسمائهن.
كريمة: صفهنّ لي.
زعور: لا أستطيع.
كريمة: ابدأ من الأولى. كانت تشبه من؟
زعور: كانت أكبرهن سناً، ربما في الأربعين، بعد أن أطلقت عليها النار أخفيت جسدها تحت جذع الشجرة.
كريمة: تذكّرها.
زعور: (يضع الجثة التي يحملها إلى جانب الجثث المرمية على الأرض، ويحصر ذاكرته) كان عندها أطفال، فقد رأيت علامات حمل سابق على بطنها، ولها وحمة قرب كتفها الأيسر لونها أرجواني، وتشبه حبة فول. قتلت صبيةً في الخامسة عشرة اسمها منال، لها وجه لفحته الشمس، وكذلك إسراء، ربما كان عمرها واحداً وعشرين عاماً، وكذلك فتاة شابة لها شعر مائل إلى الحمرة يصل إلى خصرها، وفتاة اسمها سارة تضع نظارات على عينيها، كانت مقيدةً وبدينةً قليلاً، وكذلك امرأة متزوجة في إصبعها خاتم زواج، وفي حزامها حجر صغير يشبه الألماس، وكذلك شيماء، وهي فتاة لها فجوة بين أسنانها الأمامية، وفتاة ذات ملامح وثياب قروية، وواحدة اسمها ميادة، كانت حاملاً على ما أظن، وفتاة اسمها وفاء، كانت سباحةً تتمنى الاشتراك في الأولمبياد، وفتاة قالت إنها كانت تعمل في مصنع للنسيج وقد صبغت شعرها باللون الأشقر وبان جذره الداكن، وكذلك فاطمة، وهي في السادسة عشرة وأكبر أخواتها، وفتاتين توأم في الثالثة عشرة، تبدوان متشابهتين تماماً، وأمّ لصبيين، وفتاة ذات ندبة في الجهة اليمنى، وامرأة كبيرة السن ترتدي سوارين في معصميها، وفتاة ذات شامة بجانب حلمة ثديها الأيسر، وأخرى ذات بثرات في جسدها، وفتاة ذات ضفيرة تصل إلى أعلى حذائها الطويل، وفتاة ذات شفتين كبيرتين رخوتين..
(يحس بصعوبة المواصلة)
كريمة: وابنتي رباب؟ لماذا لم تذكرها؟ (تهجم على زعور بالمجرفة، وتضربه على ظهره فيسقط على الجثث، ويزحف خلف النصب، فتتبعه كريمة وتضربه على رأسه بقوة، فيظل صامتاً، باسطاً قدميه وراء الجثث، وتظن كريمة بأنها قتلته، فتشعر بالرعب، وتكافح من أجل ألاّ تتقيأ، وتتطلع إلى عدة جهات، وتحاول أن تصرخ لكنها لا تستطيع. تهرع إلى زعور مقررةً أن تطمره، وبعد أن تتطلع إلى ما حولها بحثاً عن موضع ملائم تتقدم إليه لتسحبه من قدميه، ثم تبدأ بتهيئة حفرة له، وحين تسمع زعور يتأوه تندفع إليه، وتخطف رأسه بيديها) زعور؟ زعور! هل أنت؟ (تفحص تنفسه، وبلهفة ومن دون شعور تضمه إلى صدرها. يتحرك زعور، فتسقِط كريمة رأسه فجأةً، وتنهض مستعيدةً صلابتها. يجلس زعور ويدلك رأسه).
زعور: أنت سعيدة إذن لأنني ما زلت حياً ها؟ أنت مثلي تماماً يا كريمة قاتلة، عبدة، وكلبة.
كريمة: لا تشابه بيننا.
زعور: هل تعتقدين بأنك فوق الجميع ها؟ لقد نلتِ ما أردته منّي مرةً، ثم تصرفتِ معي مثلما كنا نتصرف نحن مع الأسرى. نعم أنت تريدين أن تتصرفي مثل جندي جيد يا كريمة.
كريمة: لقد فعلت ذلك من أجل ابنتي، من أجل الحب.
زعور: ذلك ما يقوله الجندي أيضاً "الحب من أجل بلدي".
كريمة: الأمر مختلف، ابنتي كانت بريئةً.
زعور: الحرب ليست مكاناً للبريء.
كريمة: كيف تتجاسر...؟
زعور: ستقتلينني مرةً أخرى؟ أنا أو أنتَ، أليس هذا ما قلته؟ أنا أو أنت، من ذا الذي سيكون؟ أنت لا تستطيعين كسب الحرب من خلال الموت. هل ترغبين في الموت من أجلي يا كريمة؟ فكرة جيدة جداً ها؟ من السهل أن يكره المرء، من السهل أن يقتل مرةً. أنتِ غذيتِ ذلك الكره. أليس هذا صحيحاً يا كريمة؟
كريمة: أنت تجعل الحياة لا تُطاق.
زعور: لكننا هنا، أنتِ هنا، أنا هنا، نحن من جعلها لا تُطاق.
كريمة: نعم، لا توجد عدالة في هذا العالم.
زعور: كلا، كلاب وعبيد.
كريمة: كلاب وعبيد. ابتعد من هنا (ترمي إليه مفتاح قيده) تستطيع أن تذهب. (زعور يظل في مكانه) اذهب (كريمة تستدير لتغادر).
زعور: إلى أين ستذهبين؟
كريمة: أعود إلى هناك.
زعور: هل باستطاعتي أن أذهب معكِ؟
كريمة: كلا.
زعور: أنت تحتاجين إلى أحد.
كريمة: ليس أنت.
زعور: مَن إذن؟ لا يوجد أحد غيري، أليس كذلك؟ أنت وحيدة.
كريمة: اذهب إلى بيتك وأسرتك.
زعور: يمكن أن يأسروني عند الحاجز.
كريمة: ليكن، اذهب.
زعور: كريمة؟
(كريمة لا ترد)
أنا آسف. آسف على ما فعلت. انسِني.
كريمة: كيف؟ كيف أستطيع أن أنساك؟ أرني، أرني كيف أنسى، لا أعرف كيف.
(يتقدم زعور خطوةً غير واثقة صوب كريمة)
زعور: (بهمس تقريباً) أنا آسف، انسِني.
(يمد إصبعه لا شعورياً ليلمس يد كريمة ويجمد المشهد. خفوت بطيء للإضاءة على النصب)

النهاية

كاتب من العراق

كوكب الذكورة

مختار شحاتة

اللوحة الأولى

المنظر العام:

غرفة «أنتريه" يتمدد رجل أربعيني في وسطها بين الكراسي، يتابع التلفاز، ويقلب في المحطات، تستوقفه محطة ما، فيعتدل في جلسته، يمد يده بآلية إلى علبة السجائر، يشعل سيجارة، ويهرع في حركة فجائية، يبحث في حقيبة ملقاة على أحد الكراسي، وقد خرج منها «جريدة محلية معنونة المصري اليوم"، وغلاف لكتاب ما، يفتش في الحقيبة، ويتحدث مع نفسه:

- «كانت هنا.. كانت هنا.. أين ذهبت؟!".

يخرج يده من الحقيبة، يتهلل وجهه:

- «مممم... وجدتها.. وجدتها".

يرفع بين عينيه «فلاشة إلكترونية"، يقذف بها إلى الهواء، ثم يمسكها في حركة مرحة.

- «مممم.. تعالي يا غالية.. أهلاً" (يضحك).

يتحرك نحو التلفاز، يدخل الفلاشة خلف الجهاز.. يفرك يديه.. يضحك ضحكة تشبه إلى حد بعيد ضحكات الأفلام الكرتونية، ويبدأ في تقليد صوتها:

- «حان موعد التسجيل يا معالي الوزير... هههههههههه".

يكرر الضحكة وهو يبتعد عن التلفاز، ومغيرًا اتجاه حركته نحو قابس الكهرباء، ويضغط القابس، فيظلم المكان إلا عن التلفاز الذي يعرض أغنية وطنية مشهورة، يبدو في خلفية الشاشة التلفزيونية رجال يتراقصون على نغمات الأغنية ويتقصعون، ويعود إلى جلسته الأولى، ويتمدد.. مع إضاءة الشاشة، وتغير حركة الألوان، تبدأ فرقة في الدخول إلى عمق المسرح على وقع الأغنية.

- «رجالة وطول عمر ولادك يا بلدنا رجالة...". صوت الأغنية والموسيقى يعلوان.

تبدأ إضاءة المسرح في التدرج إلى اللون الأزرق، وتستمر الموسيقى والأغنية، وتضاء بقعة ضوء بيضاء على البطل المتمدد، وتخرج أمام شاشة التلفاز فرقة من الرجال تتقصع مثلما ظهر في الشاشة، ويبدأ الغناء من جديد:

- «رجالة وطول عمر ولادك يا بلدنا رجالة...". صوت الأغنية يتردد.

يتحرك البطل، ثم يصل وسط المسرح، يتمدد في مواجهة الفرقة التي تتراقص في عمق المسرح، ويبدأ في تقليد حركة الراقصين بتهكم مبالغ فيه مصحوبا بصوته:

- «هع.. هع.. هع.. رجالة وطول ولادك يا بلدنا رجالة.. رجالة! أي رجال هؤلاء؟! راقصون؟!، متقصعون.. مسخرة!!".

تتغير نغمات الإيقاع لتتقاطع مع أغنية جديدة، ومعها تتغير حركة الفرقة في العمق، يهب من مكانه فجأة ويبدأ في التقصع والرقص معهم، ويرفع الفلاشة إلى الأعلى مثلما السيف، ويغني معهم وهم يخرجون، وهو ينضم إلى خلف الطابور الراقص الذي بدأ في مغادرة المسرح:

- «والله وعملوها الرجالة.. ورفعوا راس مصر بلدنا".

يكررها وهو يحجل على إيقاع الأغنية، وترجع إضاءة المشهد إلى ما قبل دخول الفرقة، وبينما يستمر البطل تحت بقعة الضوء يتقصع ويغني، ويمزج بين الأغنيتين، ويلقي بنفسه إلى مكانه الذي تمدد فيه، ثم يضاء المسرح إضاءة طبيعية من جديد، وقد تقطعت ضحكاته:

يتعالى صوت التلفاز لمذيع يعلن عن نشرة الأخبار:

- «السيدات والسادة.. نشرة الأخبار". (تتقاطع موسيقى

محمد أبو الوفا

لنشرة الأخبار).

تتداخل الأصوات والمشاهد..

- «هذا وقد بدأ يتفقد سيادته المشروع، وأعطى توجيهاته إلى المسؤولين.....".

يخف الصوت تدريجيًا مع خفوت الإضاءة، حتى يغرق المسرح في إظلام تام. يصمت المسرح لثوانٍ.. تتدرج من جديد أصوات نشرة الأخبار، ويبدأ يظهر صوت المذيع:

- «مقتل ثمانية أشخاص (تتصاعد موسيقي المارش بنفس إيقاع الجمل التي نسمعها من النشرة على المسرح) وفي إطار آخر يفيد شهود عيان بوقوع العديد من الإصابات، هذا وقد أعلن المتحدث باسم الوزارة عن قنص عدد من (يطغى صوت المارش لثوان يستمر وحده على المسرح، ليأتي صوت المذيع) وسنذيع عقب النشرة وقائع المؤتمر الصحفي لمعالي الوزير".

فجأة في وسط الإظلام، بقعة الإضاءة على البطل، الذي يشعل سيجارة جديدة.. ويتأفف مما يسمع:

- «الله يحرقكم!! قتل قتل قتل.. لا خبر يسر القلب يا اسمع يا بطل، ولاد التيييت!!".

ينهض من مكانه، وهو يتحدث إلى نفسه:

- «اسمع يا بطل، فنجان شايك، سيجارتك، الجلوس في هدوء، يكفينا أن أولاد الأفاعي ضربوا مزاجنا اليوم في مقتل... آه يا ولاد الكلب!!".

ينهض ويتحرك نحو الخارج، يختفى من المشهد، ويظلم المكان، ويتحول المسرح في عمقه إلى شاشة بيضاء تعرض وقائع مؤتمر الوزير:

- «وأعتقد في غضون الشهور القليلة المتبقية حتى نهاية السنة، هتكون الوزارة سجلت كل المرضى، وأدرجتهم في جدول للعلاج، بما يضمن أنه خلال العام القادم نكون قضينا على هذا الوباء من مصر كلها...".

صوت لغط، والصورة تتحرك على الشاشة، ويتداخل صوت تقليب الشاي، وأصوات أشياء في المطبخ، ثم صوت كسر زجاج..

- «يووووه!! آخر برطمان عسل!!".

تنخفض الإضاءة من جديد ليعود المشهد الأول، تدخل الفرقة إلى عمق المسرح من جديد مع تبديل الإضاءة إلى الأزرق مرة أخرى، ويعلو صوت تقليب الشاي، ليدخل البطل، ويدندن حين يكون بدا في الظهور من جديد إلى المسرح:

- «والله وعملوها الرجالة.. ورفعوا راس مصر بلدنا..". (يضحك).

يحاول التقصع على نغمات دندنته، يكاد كوب الشاي يسقط، فيتداركه بسرعة:

- «الله يحرقكم.. تتآمرون على إفساد اليوم يا كلاب!! آخر كوب في المطبخ.. قلة مزاج يا أولاد الكئيبة!!".

يتمدد، ويشعل سيجارة جديدة، وينظر إلى شاشة التلفاز الذي تعود إليه صورة المذيع وصوته:
- «السيدات والسادة نقلنا لكم المؤتمر الذي عقده وزير الصحة للإعلان عن العقار الجديد لعلاج المرضى من حاملي الفيرس.. تحيا مصر.. تحيا مصر.. تحيا مصر".
يتعالى صوت التلفاز من جديد على أغنية جديدة:
- «مشربتش من نيلها...".
تخفت درجة الصوت، ويضاء المسرح تدريجيًا، وينهض معها البطل بهدوء.. وبينما يتلاشى صوت الأغنية يدندن البطل، بعد أن يضع كوب الشاي فوق رأسه ممسكًا إياه بيد، والفلاشة يرفعها باليد الأخرى، ويتمايع على وقع الدندنة، وهو يتحرك نحو عمق المسرح:
- «مشرقتش من نيلها.. حششت في قهاويها.. زبالة في حواريها..".. (يغني من وسط عمق المسرح، قبل أن يتحرك حركة حرة على خشبة المسرح، ويتابع سخريته من الأغنية، ثم يتحرك في إيحاء بالدخول إلى حجرة أخرى:
- «لنمشِ خلفكم يا وزارة الصحة.. وكما يقول المثل.. (ينطق بالعامية محرفًا المثل الشعبي) خليك وراء الحكومة لحد باب الدار.. قبل الاختفاء مباشرة يتوقف، ثم يغني) ورجالة وطول عمر ولادك يا بلدنا رجالة).
إظلام.

اللوحة الثانية

المنظر العام: موقف ميكروباصات، وأصوات المنادين تتعالى وتتداخل، تنادي بأسماء وجهتها، وتختلط بأصوات الباعة والمنادين وباعة الجرائد، ويظهر البطل وفي يده «حافظة أوراق".. ثم يتقدم نحو مكتب علق على بابه لافتة:
- «احجز مقعدك.. خدمتك متعتنا.. شركة «أبو سريع» للنقل السياحي".
يقرأ البطل اللافتة بصوت عال، ويكررها:
- «أبو سريع!! يا خوفي يا بدران.. (يتنهد) ما علينا.. توكلنا على الله".
يتحرك البطل نحو المكتب الذي تجمّع حول شباكه مجموعة من المسافرين، ويتنادون بأسماء وجهاتهم، وتتداخل الأصوات:
- «واحد شبين الكوم".
- «خمسة منوف".
- «ميت غمر".
تتابع الأسماء، ويتقدم البطل مقتربًا من التجمع، ويسأل أحدهم وقد انتحى جانبًا، يتناول طعامه على منضدة أمامه، وأمامه كوب شاي:
- «صباح الخير".
- «صباح الخير".
- «فيه حاجة بتروح «كوكب الذكورة" من هنا؟!".
- «نعم".. ينظر نحوه باستنكار وريبة؟
- «هههه.. أقصد كفر الإمام".
- «الله أعلم!!" بحدة، ثم يتابع:
- «اذهب هناك، وسط المعمعة.. ارم نفسك في الهوجة واللمة، ثم اركب الموجة.. وأنت ونصيبك".
- «حضرتك تقصد.. الطوفان البشري" (ويشير البطل نحو تجمع المسافرين وصياحهم حول شباك التذاكر).
- «مممممم...وبالنسبة إلى من لا يعرف العوم حضرتك.. الطوفان يغرقه.. ويموت؟!". (يبتسم).
ينظر له الرجل بامتعاض، ويكمل كلامه دونما النظر نحو البطل، بينما ينظر نحو الكتلة أمام الشباك:
- «هذا هو المتاح.. هذا المتاح يا شعب.. نضرب الأرض".
(يغير نبرة صوته، ثم يتابع الكلام).
- صرخنا لهم، أغيثونا.. نظموا لنا الدنيا.. الفوضى في كل مفاصل حياتنا.. قالوا، قفوا في الطابور.. الطابور نظام.. الطابور إصلاح وتهذيب" (يضحك، ثم يسخر بصوت متألم).
- ومن يومها.. ظلّ الطابور يطول ويطول.. وطابور يرمينا لآخر.. حتى صارت البلد كلها طوابير.. والطابور صار قطارًا.. والقطار يجري.. يجري.. يجري بخلق الله الغلابة.. وأنت ونصيبك، مرة يحترق، مرة يتعطل، مرة يتأخر.. لكن؛ لم يصل من قطارات الغلابة قطار واحد مهم إلى المحطة.. قطارات تجري من بحريها إلى قبليها، لا تتعب ولا تكل، ولا تنوي التوقف حتى ينزل الغلابة في محطاتهم).
يقاطعه البطل، ويحاول الابتسام ليخفف من انفعال الرجل الذي زاد:
- «معلهش يا أستاذ.. الصبر.. الصبر.. هههه.. مازلنا في أول الطريق..على قدنا".

- " معلهش!! أنت أيضًا ستقول دول نامية؟! عالم تالت؟! إلى متى؟! ليقل لي إنسان، إلى متى؟!" (يكاد يبكي، ويتابع).
- «يبدو أن قدرنا مكتوب، وأن نموّنا -نحن وفقط- الذي توقف.. وأناس آخرون هم من يملكون الحق ويسمنون، وتنتفخ بطونهم".
- «آسف يا حاج.. إن شاء الله المستقبل أحسن".
- «هههههههههههههههه... مستقبل؟!! أي مستقبل؟ متى؟ أين؟ المستقبل هنا يا محترم، خلاص.. المستقبل هنا لا يريد الحضور.. أصبح مرعوبًا من الفكرة.. تخيل.. يخاف أن يموت قبل الأوان في حادث سير على طريق، أو أن يقع عليه بيته، أو يقع في بلاعة" (يبتسم بمرارة، ثم يتابع).
- تصدق يا أستاذ...في مرة، منذ سنوات كان مستقبلنا ينوي القدوم.. ولكن هناك ابن حلال، ألقى عليه كيس قمامة من البلكونة.. ومن يومها، قرر ألا يجيء.. المستقبل خلاص يا أستاذ.. «بح" لن يأتي.. (بحسرة بالغة) حتى الأمس لن يرجع».
- «صلّ ع النبي يا حاج.. أنتم بركتنا.. أنتم من سيدفعنا بخبرته نحو المستقبل، وإن لم يأت.. ستشجعوننا لنذهب إليه.. المهم أن تدعوا لنا يا حاج".
- «هههه.. قلنا مثلكم هكذا لمن سبقونا.. ادفعونا للأمام.. فدفعونا.. دفعونا أولاد المجنونة.. (يضحك) دفعونا، ولكن كانت يدهم ثقيلة.. فكانت دفعتهم أقوى من اللازم.. فوقعنا.. وارتبك الطابور.. وظاطت الدنيا، وصارت الفوضى.. واللمة والهيصة".
- «هههه.. دمك خفيف يا حاج.. (يغير مجرى الكلام) بعد إذنك يا حاج.. سأذهب لأحاول الحصول على تذكرة لكفر الذكورة، (يبتسم) فـ"اللمة" تزيد.. والموجة تكبر.. ثم سيكون الطوفان.. وأنا للحقيقة لا أجيد العوم".
- «أحسنت!! اذهبوا كلكم وألقوا بأنفسكم في قلب الطوفان.. أما أنا.. أنا ذاهب إلى الطابور.. القطار.. السريع.. (تتبدل نبرة صوته تمامًا وتتغير ملامح وجهه، يبدو منشرحًا للغاية، ثم يتابع كلامه) أنا جاااااي.. وسع يا جدع.. تووووووووت... تووووووت... تيش تيش تيش... تووووووووت... اوعى القاااااااطر.. تيش تيش تيش تيش"
يقف الرجل، يتحرك بعيدًا عن المنضدة، ويحمل كوب الشاي في يده، ليظهر نصفه الأسفل عاريًا تمامًا.. ويبتعد مقلدًا حركة القطار، بينما يقف البطل مذهولا من المفاجأة:
- «يا نهار أبيض!! أنا ناقص؟!!".
ينظر نحو الشباك والفوضى التي صارت أمامه.. تتعالى الأصوات وصرخات المسافرين أمام شباك التذاكر، والبطل متجمد مكانه، فتمر من أمامه شابة جميلة، تلفت انتباهه، فيناديها بسرعة وآلية:
- «آنسة آنسة.. لو سمحتي".
تتوقف وتنظر إليه، وتبدو متحفزة بلا داعٍ.
- «أين ميكروباصات كوكب الذكورة.. أقصد كفر الإمام، لو تسمحي".
- «نعم!! كوكب الذكورة.. (تنظر إلى جسدها وتفصلة بكفيها مارة عليه).. ذكورة يا ابن الكلب.. أعمى.. اتفووووو عليك".
وتتابع حركتها وهي تجر حقيبة سفر وراءها، فيمر وراءها آخر يتوقف، وينظر إليه:
- «يا أخي!! عيب!! بطلوا رزالة ومعاكسة".
ثم يخرج من جيبه سبحة طويلة، ولحية طويلة يركبها مكان لحيته، ويصيح:
-" أترضاه لأختك!!! أستغفر الله العظيم".. ثم يمشي.
- «الله يخرب بيوتكم.. أي ليوم هذا يا ربي؟! من أوله مجانيين.. أنا ناقص!!".
ينظر نحو تجمع المسافرين الذي تزايد وتعالى الصوت هناك وتحول إلى صراخ وزعيق.. فيستسلم البطل:
- «أمرنا لله.. سأجرب.. ثم لنرى ما النهاية يا كوكب الذكورة!!".
يضع حافظة الورق بين فخذيه، ويبدأ يشمر أكمام قميصه، وكأنه سيدخل عراكًا فاصلا:
- «استعنًا على الشقاء بالله.. (يتحرك ويلتحم بالمجموعة أمام الشُباك، ثم يصرخ) يا أستاذ.. لو سمحت.. واحد كفر الإمام.. لو سمحت.. واحد كفر الإمام لو سمحت".
يضيع صوته وسط فوضى الأصوات والصريخ.، يظلم المسرح، ويستمر الصراخ وتبدأ أصوات واضحة:
- «أنت قليل الأدب" صوت نسائي حاد.
- «عيب يا أستاذ.. هذه سيدة.. ميصحش كده".
-»تذكرة المنصورة".
-»حاسب يا أستاذ.. رجلي رجلي".
- «المحفظة.... المحفظة".
- «يا قليل الأدب" صوت نسائي بلا حدة.

«طنطا تلاتة.. اثنان اشتراك وواحد عادة".
- «ابعدوا.. حرام عليكم".
- «كفر الإمام واحد لو سمحت".
- «يا قليل الأدب" صوت نسائي بدلع ودلال.
تختلط الأصوات وتتداخل.. اللغط يزيد، والمسرح في إظلامه الذي ينير فجأة في بقعة ضوء في طرف المسرح، وقد تناثرت الأوراق في حافظة الورق مع البطل الذي تمزق قميصه تمامًا، ويحبو يلملم الأوراق التي تناثرت، يتحدث غاضبًا:
- «يا أولاد العبيطة.. الرجل المجنون كان على صواب.. كلامه حق!! الله يخرب بيوتكم".
يحاول أن يهندم القميص الذي تمزق، ويهز رأسه، ويتحسر وهو يفتش جيوبه:
- «الله يولع فيكم.. القميص الجديد!! بركاتك يا كوكب الذكورة.. يا نهار أسود!! التذكرة.. التذكرة.. يا خرابي.. المحفظة.. المحفظة".
يفتش في الأوراق، ويذعر:
- «يا خرابي!!".
يخرج الأوراق، ويبدأ القراءة، غير مصدق أنه فقد حافظته وأوراقه:
- «محكمة الأحوال الشخصية، دعوى طلاق.. يا نهار أسود.. الورق.. حجز النت.. تذكرة الحجز الخاصة بمعهد الكبد؟!! الحقوووووووووونـــي".

إظلام.

اللوحة الثالثة

مشهد (1)

المنظر العام: مبنى ضخم مترب، تعلوه لافتة ذهبية كبيرة بهتت ألوانها تعلن عن كونه «معهد الكبد بكفر الإمام"، والآلاف تجمعوا في مدخل بوابة المبني، والبطل بقميصه الممزق يقف، ويتمم على محفظته والأوراق في حافظته، ثم يخرج محفظته ويمسكها في يد، والحافظة في يد أخرى.
- «يا صلاة النبي!! يا جدعان.. ما هذا؟! البلد كلها مريضة على ما يبدو!(يبتسم، ويحاول أن يجد إجابة وتفسيرًا للزحام الشديد) ممكن؟! معقول؟! بيوزعوا لحمة؟ عيش؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".
يأخذ نفسًا عميقًا، قبل أن يضع المحفظة في فمه، يصيح:
- «يا معين.. معنا يا رب".
ينطلق بعد نفسه العميق نحو «الزحام واللمة"، ثم يختفى البطل في وسطها، وتتصاعد أغنية «حلوة بلادي .. السمرة.. بلادي".

إظلام.

مشهد (2)

المنظر العام: صالة واسعة تعج بالحركة، ونميز فيها أصوات اللغط وتأوهات لمرضى، ويلاحظ كل المارين في الغالب قد علت بطونهم بشكل واضح، والبطل مع مجموعة قليلة يقف أما الشباك، ويحاول التواصل مع موظفة تجلس خلف الزجاج وقد دست الموبايل في حجابها على أذنها، يمد البطل ذقنه إلى فُتحة الزجاج، ويخاطبها:
- «يا آنسة.. لو سمحتى.. صعدت الطابق الأعلى كما طلبت.. قالوا لي، انزل إلى الأسفل.. عند الاستقبال".
- «طيب.. اذهب لهم في الاستقبال.. (تغير نبرتها إلى جادة) هنا يا أستاذ مكتب الحجز والتسجيل كما قلت لحضرتك".
- «ذهبت يا أفندم ، لكن زميل حضرتك قال لي، اطلع فوق".
- «طيب.. اطلع لهم يا أستاذ فوق.. (تغير وجهها وتتحدث إلى هاتفها واضعة كفيها كبوق أمام الموبايل) ليس أنت يا حاج.. انتظر.. انتظر". (تعود للنظر نحو البطل).
- «يا آنسة.. ذهبت لهم مرة أخرى.. فأرسلوني من جديد إلى موظف الاستقبال".
- «وما المطلوب مني الآن.. (تعود للحديث في تليفونها بنفس الحركة من كفها لضمان جودة صوتها في الموبايل) لا.. لا.. أنا مع مريض والله.. واقف قدامي.. (تعود للبطل بوجهها) ستجده في العيادة بعد العصر.. اذهب، وقل له، إنك من طرفي".
- «يا آنسة.. أيّ عيادة ؟؟!!".
- " يا أستاذ!! ليس أنت.. أنا أتكلم في التليفون.. وبعدين!!".
يتأفف البطل، ويُشيح بوجهه، بينما تتابع الموظفة التي تبتسم، وتتحدث في الموبايل:

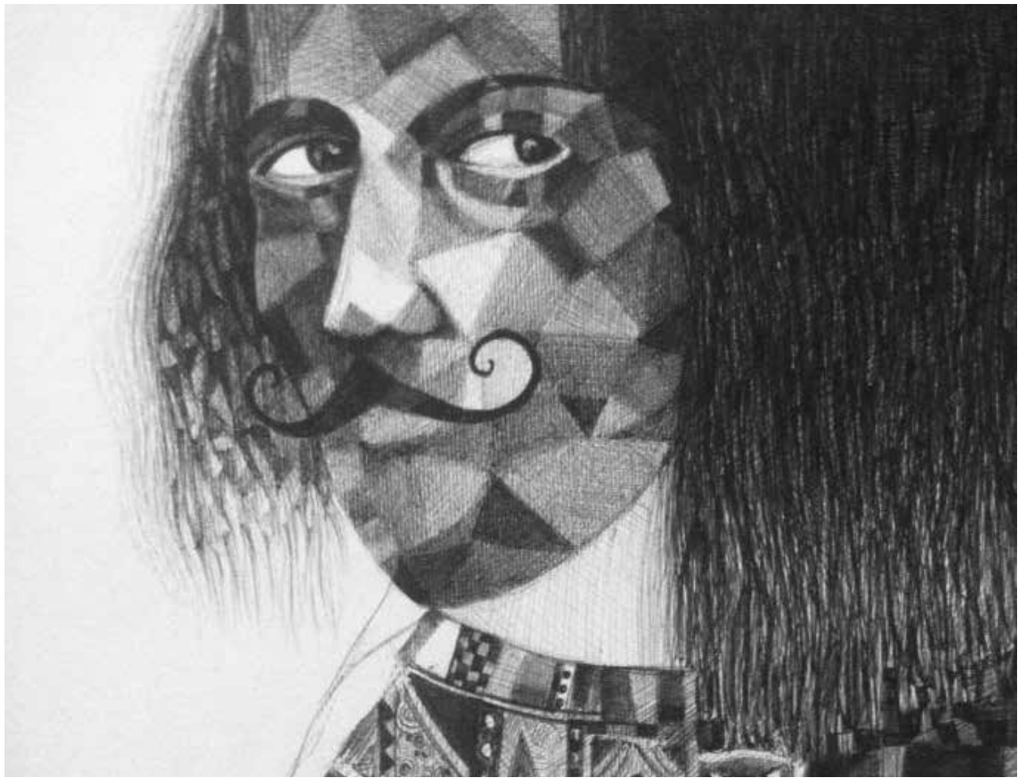

محمد أبو الوفا

- «أنت زعلت.. آسفة يا بيبي".
ينظر نحوها البطل باستغراب:
- «نعم!!".
- «يووووه.. وبعدين.. أنت هنا جي تعذبني يا أستاذ.. (بحنق وهي تشيح بوجهها بعيدا عن البطل) بلا قرف... يووووه.. مش أنت.. مريض يقف أمامي يا بيبي".
- «يا آنسة لو سمحت.. اتركي الموبايل.. وأجيبيني من فضلك.. أين ينبغي الذهاب بالضبط".
- «جرى إيه يا أخ.. (بغضب) يووووه.. بيبي!! (للبطل بحدة) هنا مكتب الحجز التسجيل.. أطرش؟! أم لم تفهم كلامي؟!!".
- «يا أفندم..منذ الصباح وأنا دايخ.. وكل من يرى ورقة حجز الإنترنت خاصتي، يقول لي: تحت.. أنزل، فيقولون لي: فوق.. دوخت.. ولم أعد أفهم.. أريد أن أفهم أرجوكم!!"
- «النت!! أنت من هؤلاء.. حجز النت؟! طيب.. ولماذا لم تتحدث من البداية.. (لنفسها بتبرم وبصوت مسموع) شعب يحير الملك... يووووووه.. مش أنت.. بيبي.. اهدى".
- «آسف يا أفندم.. ها أنا أعيد من البداية لحضرتك.. هذه ورقة الحجز بالميعاد، والتي طبعتها من الإنترنت كما تحدث سيادة الوزير بالمؤتمر في التليفزيون".
- «طيب.. طيب.. انتظر معي دقايق".
- «تاني.. انتظر؟!! لماذا الانتظار؟! ليه؟!".
- (بحدة) «يا أستاذ ليس أنت.. أنا أكلم خطيبي على التليفون".
تفتش الموظفة أمامها.. تفتح درجًا.. تخرج كراسة بالية، تتصفح الكراسة، وتقطع منها قطعة من الورق، وتكتب فيها شيئًا ما، ثم تناولها إلى البطل:
- «أي خدمة يا أستاذ.. اتفضل.. يا رب ترحمني" تمد يدها بالورقة من خلال الفُتحة الزجاجية نحو البطل، فيأخذ الورقة، ويقرأ بصوت مسموع:
- «17.. غرفة 17؟! ما هذا الرقم يا آنسة؟!".

- (بتهكم وسخرية بالغة) «ألست من هؤلاء الذين هبطوا بمظلات النت حضرتك.. هذا رقمك، ورقم اللجنة التي ستعرض عليها، وهي بالطابق الأعلى.. اتفضل.. أرجوك لا تعطلني.. عندي شغل.. يووووووه... (تعود للموبايل).. والله مريض من مرضى النت أمامي.. بيبي.. (تنظر نحو البطل" ألا تثق في؟!".

- «أي ثقة يا أستاذة!!".

- «يووووه.. ليس أنت يا أستاذ.. هذا خطيبي".

- " آسف، ولكن أهذه تذكرة التسجيل؟!".

- «تمام يا حضرة.. اطلع لهم فوق.. ستجد اللمة والهيصة.. اذهب، وأعطهم هذه الورقة فقط، ثم انتظر التعليمات هناك".

- «ولكن.. حضرتك لم تسجلي أيّ بيانات.. لا اسمي ولا رقم تذكرة حجز الإنترنت!!".

- «يا أستاذ أنت من مرضى النت.. هذا هو النظام".

- «نظام!!".

- «أيوه يا حبيبي.. صباح السُكر".

- «نعم!!".

- (بامتعاض وعصبية) «يا أستاذ.. وبعدين.. خطيبي معي على الموبايل".

يقف مذهولا يتفحص الورقة، ويقلبها في يديه في عجب وحيرة، يعود للموظفة بوجهه:

- «يا آنسة لو سمحتي.. آخر حاجة.. أين تلك اللمة والهيصة؟".

دون أن تنظر إليه، ومنشغلة بالتفتيش في الأدراج، وتخرج إبرة وأصوافًا، وتنهمك في حياكة الصوف.

- «فوق.. اطلع فوق.. ستجدها.. أرجوك بقى.. اتفضل.. ليس أنت يا حبيبي.. هذا مريض أمامي".

- «اللهم طولك يا روح.. وأخرجنا من هنا سالمين".

- «اتلمّ يا قليل الأدب.. لا داعٍ للقباحة وقلة أدب.. عيب!!".

ينظر إليها ويبتسم:

- «طبعًا ليس أنا.. خطيبك أكيد على التليفون".

يتحرك مبتعدًا، بينما تستمر في حياكة الصوف بإبرتها، الحديث مع تليفونها:

- «عيب.. والله أنقل كلامك إلى حماتك لو ملمتش روحك".

يظلم المسرح على صوت ضحكة رقيعة، وصوت الموظفة في الإظلام:

- «خلي النت ينفعك يا حبيبي".

تختلط الأصوات بعودة صوت الضحكة الرقيعة من جديد.

إظلام.

المشهد (3)

المنظر العام: عشرات من المرضى انتفخت بطونهم، ويحملون في أياديهم مغلفات ورقية لما يبدو أنها «صور لفحوصات وأشعة تلفزيونية"، ومنهم من استند إلى الحائط، ومع البعض آخرون يسندون مرضاهم، وأصوات الآهات تتداخل، ودعوات مترامية بالشفاء، وكلمات للصبر والأمل، وأمام باب خشبي ضخم تجمع غالبيتهم أمامه، ويبدو أنهم ينتظرون الإذن بالدخول إلى القاعة المغلقة التي حملت لافتة أعلاها «مقر لجنة الكبد رقم 17).

البطل يتحرك نحو آخر يدخن، ويسأله:

- «صباح الخير.. لجنة 7 ؟".

- «أيوه يا أستاذ.. حضرتك (يبتسم) مثل حالي.. مريض من الإنترنت؟".

- «هههههه.. لا أنا هنا مع الحاج الجالس هناك.. (يشير نحو مسن مبطون يجلس على كرسي، وربط رأسه بمنديل، ويبدو شاحبًا مصفرًا).. أخي الأكبر.. 38 سنة.. ونأتي هنا منذ سنتين".

- «فيرس؟".

- «أيوجد غيره.. كل هؤلاء (يشير نحو المرضى) فيرس وكبد"

- «ربنا يشفيه"

- «آمين.. الحمد لله في كل الأحوال".

- «ممكن سؤال؟ هل مسموح بالتدخين هنا؟!".

- (ينظر نحو البطل في دهشة، ويبتسم) «تبدو غريبًا.. يا أستاذ هنا كل شيء عادي.. وماذا سيفعل التدخين لهؤلاء من ضرر.. (يشير نحو مريض نام على الأرض، وفي يده سيجارة، ثم يخرج علبة سجائره ويمدها نحوه).. اتفضل .. ولّع).

- «شكرًا.. لكن".

- «يا أستاذ ولع.. ولع.. أكيد أنت غريب؟".

- (يبتسم البطل) «أنا من الإسكندرية، ولكن من مواليد كفر الإمام.. وجئت لأجل موعدي مع لجنة الكبد.. يقولون أنه هناك علاج جديد للفيرس».

- «حمد الله على السلامة.. نورت كفر الإمام، ولكن

اعذرني، لماذا لم تتابع اللجنة في الإسكندرية؟ المشوار متعب.. يهد الحيل؟".

- «النظام يا سيدي.. العلاج حسب مكان الإقامة الموجود في بطاقة الرقم القومي، وأنا للأسف راجل وطني.. (يبتسم) لم أغير محل إقامتي حتى اللحظة.. (يتهكم) في النهاية كُلنا تحت أمر النظام".

- «نظام!! هههههه.. أي نظام يا أستاذ؟!.. تخيل.. أترى هؤلاء (يشير نحو تجمع المرضى).. أعرف معظمهم منذ سنة أو أكثر.. منهم من يأتي هنا منذ عشر سنوات.. كل فترة يقولون وجدوا علاجًا جديدًا.. وهكذا جعلوا هؤلاء فئران تجارب لأدويتهم، وللأسف أخي رفض أن يصدق أنهم يكذبون.. يعطونهم مسكن للشكوى.. (يبتسم بحسرة) يعطونهم أمل.. وهذى النتيجة.. انظر إليهم..".

- «ربنا يعافينا ويعافي السامعين".

- «ياأستاذ والله أنا اعترضت على مجيء أخي هنا، لكنه صمم، ومنذ عامين نأتي، واليوم صرت مثله، أتمسك بالأمل.. فحجزت له بالإنترنت، وقلت حرام، ضاع عمره علينا بعد موت والدنا، وأكله المرض في عز شبابه".

- «ربنا يعافيه".

- «حين ظهر العلاج الأخير، قدمنا.. وقلنا تحقق الأمل.. وانتظرنا سنة، وبعدها.. أخذوا عينات منهم، ومن يومها وصحته تتدهور يومًا بعد الآخر (يشير نحوه هناك إلى جوار الحائط يدخن مع مريض آخر) انظر إليه.. اتبهدل.. يموت ببطء، وما يزال في انتظار ذاك الأمل".

- «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. ربنا يشفي كل مريض.. أعرف صعوبة العينة.. أجريت ذلك الاختبار منذ سنوات.. وعانيت الأمرّين وقتها".

- «والله يا أستاذ، الحمد لله.. نحن نتابع حالته مع دكتور شاطر من المعهد، ولكن في عيادته الخارجية، يمكن أن تراه بعد قليل.. هو الكبير هنا.. رئيس هذه اللجنة.. قال لنا إن العينة هي اللي «هيجت" الفيرس.. كان كامنًا، نائمًا.. لكن حين أجرينا العينة.. نشط الفيرس.. وهاج.. (يبتسم، ويقدم إليه سيجارة) ولع يا أستاذ".

- «أنا كذلك.. أجريتها كما قلت، وفعلاً أرهقتني.. ربنا كبير.. نأمل في علاج جاد وحقيقي هذه المرة".

- «تصدق بالله، الدكتور قال لنا من يومين في آخر مرة، إن الحكومة ستحتاج من كل مريض عينة جديدة، وقال لنا إن هناك إشاعات بأن الحكومة لم تجد أيّ علاج، وأنها تريد أن يهيج الفيرس، ليقض على المرضى الغلابة.. بصراحة.. صرتُ خائفًا جدًا عليه.. انظر حالته.. لن يحتمل عينة جديدة".

- «لكن، أنا سمعت أنهم سيلغون العينة.. وأن العلاج جاد وحقيقي هذه المرة.. الوزير نفسه قال في المؤتمر على شاشة التلفزيون.. ربما سيحتاجون إلى إجراء بعض التحاليل البسيطة والأشعّات".

- (يضحك) «يا أستاذ يبدو أنك مستجد.. هههههه.. بمن يؤمن يا رجل؟! قل بالله.. أمي قالت لأخي، إن البطن مثل البطيخة.. متى ضربت فيها سكين، ثم تُركت، عليه العوض.. تخيل يا أستاذ.. كانت مصممة أن تذهب إلى بعض المعارف لأسرتنا هناك في سيوه، وأن تأخذه معها ليشرب من بول الجمال والنوق.. والمشكلة أنه وافق.. كان يعتقد أن ذلك هو شفاء لآلامه، وأنه سيعود كما كان".

- «معلهش.. الغريق يتمسك بقشة بالأمل".

- «أمل!! أي أمل يا أستاذ؟ ذاك الأمل الزائف الذي تبثه لنا الحكومة كل فترة؟ صدقني لم يعد أيّ أمل في شيء!! (يغير الحديث) أتسمح لي بسيجارة، فأنا أنهيت علبتي؟".

مشهد (4)

صوت جلبة كبيرة، وهمهمة وتدافع للحضور أمام الباب الكبير، ويبدأ الجميع في التحلق حول شخص ضخم وقصير يعاني عرجًا بإحدى رجليه، ويلبس نظارة سوداء رفعها على جبهته، وأشعل سيجارة ملونة الفلتر، ويرتكن على رجله السليمة ويسند ظهره إلى باب القاعة الضخم، ويمسك بمقبض الباب وقد تدلّت سلسلة مفاتيح كثيرة من يده، ونفس الشخص مع البطل بالمشهد السابق:

- «يبدو أنه وصل".

- «الدكتور؟".

- (يضحك) أي دكتور؟! أنت مستجد فعلا.. (يشير نحو التجمع) إنه العامل.. مجرد عامل يفتح الباب إلى اللجنة، تعال.. هيا.. أسرع وقدم له ورقتك ورقمك.. أسرع نحو اللمة والهيصة".

- (يقولها لنفسه) «اللمة والهيصة من جديد؟!! الله يخرب بيت اللمة والهيصة".

يندفع نحو المتكدسين، ويسمع المعامل يصيح فيهم:

- «جرى إيه يا شوية فلاحين!! ما تتلموا وكل واحد يحترم نفسه واتعلّموا النظام".

- «أنت.. تكلم بأدب!!“ صوت أحدهم.
- (صوت ثان) «يا أستاذ اسكت الله يسترك.. يا أستاذ عطوة، قلبك كبير.. تفضل هذا رقمي“.
- «لن آخذ أي ورقة إلا إذا انتظم المرضى في طابور“.
- (صوت الرجل الأول نفسه) «نحن في الطابور منذ الصباح.. أنت تماطلنا.. ألا يكفي ما نحن فيه؟!“.
- (صوت ثالث) «يا جماعة!! أرجوكم قفوا في طابور.. لن تموتوا من مجرد طابور.. بجملة الطوابير“.
- (عطوة بغضب) «طيب.. والله لن أفتح إلا بمزاجي.. ولتجلسوا مكانكم للعام القادم.. لن أفتح.. شعب همج!!“.
- (صوت الأول) «وبعدين، وما الداعي لكل هذا الغلط «.
- (صوت الثاني) «يا حاج.. والنبي.. اسكت.. لعل الله يهديه ويفتح لنا باب اللجنة وندخل“.

تعلو الأصوات وتسود الفوضى المكان، وتختلط التأوهات مع التوسلات إلى عطوة ليفتح، ويتشنج عطوة ويتحول المشهد إلى خناقة فعلية.

- «لسنا هنا كشحّاتين“.
- «طول بالك يا أستاذ“.
- «يا جمااااعة.. اخزوا الشيطان“.
- «صلوا على النبي يا جماعة.. أنا هنا والله الأول.. واسألوا الحاج“.
- «هذا ظلم.. كوسة.. والله لن أقبل.. على جثتي“.
- «فليتأسف لي أولاً“.
- «يبدو أنه ابن كلب“.
- «والنبي.. يا أستاذ عطوة.. ربنا يخليهم لك“.
- «اخبطوا رأسكم في الحائط.. انتهى.. مزاجي تعكر“.

وسط المعمعة صوت صراخ حاد يتكرر بسرعة وتكرار، فيصمت الجميع وينتبه:

- «يا جميلة.. يا جميلة.. البنت ماتت.. البنت ماتت“ صوت لامرأة تندب أمام جثة فتاة سقطت وسط الكتلة البشرية.

يظلم المسرح تدريجيًا على أصوات الحوقلات والحسبنة التي تختلط ببعضها، ويضيء المسرح في أقصى اليسار على البطل واقفًا يدخن، وتبدأ أغنية «عظيمة يا مصر.. يا أرض النعم...“ تتهادي مع الإظلام التام.

إظلام.

اللوحة الرابعة

المنظر العام:

قاعة كبيرة يتصدّرها مكتب ضخم كبير، يجلس إليه ثلاثة دكاترة، وأمامهم تجلس موظفة ممتلئة وغاضبة، وضعت كتلة من الأوراق أمامها، وإلى جوارها يقف عطوة متحفزًا ومشعلا سيجارته، بينما وسط القاعة مائدة مستديرة تحلّق حولها العشرات، وقريبًا من المنصة تكدس عشرات آخرون، وثمة جلبة تسمع.

- «يا دكاترة.. أنا سأتوكل على الله وأمشي.. وكما أفهمتكم.. تلك هي الأوامر الصادرة لنا من فوق“ صوت الدكتور الكبير بينهم.

يقف الدكتور، ويهم بالانصراف:

- «وأنت يا عطوة.. (يشير إلى سيجارته).. أطفئ تلك الهبابة.. وبعد أن تنتهي هنا، تجري على العيادة.. إياك أن تتأخر“.

يهز عطوة رأسه بأنفة وتأفف، ثم يحولهما إلى نفاق بالغ:

- «حاضر يا باشا.. حاضر يا باشا“. ثم يعرج وراء الدكتور الذي يغادر القاعة، ويغلق الباب وراءه ويرجع إلى مكانه.
- «يا مدام بوسي.. بسرعة.. نريد أن ننتهي من تلك الليلة“.
- (تشير مدام بوسي) «نادِ عليهم يا عطوة.. مرضى النت هنا.. ومرضى المتابعة هناك“.

يتحرك عطوة خطوة للأمام، وخلفه الدكتوران، وينشغل أحدهم في ترتيب أوراق وختم أوراق أمامهما، والآخر يبدو منشغلا تمامًا مع الموبايل، يحرك أصابعه سريعا على شاشته ويبتسم.

- «هيا.. أنت وهو.. الجماعة المرضى من النت يقفون هنا.. والجماعة من المرضى القُدامى هناك.. النت على اليمين، والمتابعة على الشمال.. خلصونا“.

ينتبه الدكتور صاحب الموبايل، وينظر إلى عطوة ويبتسم، ثم يعيد رأسه نحو شاشة هاتفه، بينما يظل الآخر منشغلا في ترتيب الأوراق أمامه، ثم يضع وجهه بين راحتيه.

- «رقم واحد.. أين رقم واحد؟“. تصيح الموظفة، فيكررها عطوة بلكنة الباعة الجائلين في الأسواق.
- «واحد.. رقم واحد يا جدعان... من بعده“.

تستمر النداءات على الأرقام، ويستمر عطوة في التأفف كلما نادى على الأرقام:

- «رقم 17.. رقم 17» يصرخ عطوة:

محمد أبو الوفا

- «أيوه.. موجود حضرتك“.

يتقدم البطل، ويقدم الورقة إلى عطوة، ينظر نحوه باندهاش، ويبادر بالسؤال:

- «النت أم المتابعة ؟“.
- «من النت حضرتك“.

ترفع الموظفة رأسها نحوه، وتتفحصه بامتعاض بالغ، ترفع جانب شفتها العليا من ناحية اليمين حتى تقترب من أنفها، ويبدو عليها الامتعاض من شعره المربوط خلف رأسه، وتنظر إلى قميصه الذي فقد هندامه تمامًا، وتسأله:

- «أنت من كفر الإمام؟!“.
- «أيوه يا أفندم“.
- «وعامل في نفسك كده ليه؟“.
- «نعم“.
- «ولا حاجة.. هات يا أخ ورقة الكشف.. (تمصمص شفتيها وهي تقلب في الأوراق) عشنا وشفنا.. رابط شعره البيه!!“.
- «نعم حضرتك“.
- «مفيش.. اتفضل.. هناك.. عند الدكتور“.

تشير إلى الدكتور الذي كان منهمكًا في أوراقه، فيتحرك البطل إلى الدكتور الآخر، فيصرخ فيه عطوة:

- «أنت يا عم.. يا أبا ضفيرة.. ليس هنا.. مرضى النت هناك، في آخر الترابيزة“.

ينفخ البطل، ويتمتم بجملة، بينما، تنادي الموظفة:

- «التالي بعده يا عطوة.. إففف..نريد أن ننتهي من ذلك الهباب الذى ابتلونا فيه.. (بقرف واضح) قطيعة!!“.

يتحرك نحو الدكتور الذي تركه يقف أمامه لحظات دون أن يخاطبه أو ينظر نحوه، ويبدو منشغلا في ختم مجموعة من الأوراق، ويسلمها لعطوة:

- «والنبي يا عطوة.. انزل إلى الأرشيف، وسلمها لهم هناك أو لأيّ موظف تحت“.

يتناول عطوة الأوراق ويهم بالانصراف، فتتدخل الموظفة:

- «الله!! دكتور.. أين يذهب عطوة؟ سيبح صوتي مع هؤلاء المرضى.. لا.. حرام والله!!“.
- «لا تقلقي يا مدام بوسي.. حمامة.. ثوانٍ وأرجع على الفور.. (يغير كلامه إلى المرضى) وأنتم.. اتلمّوا.. ارجعوا إلى الوراء.. المدام ستختنق.. النَفَس!! خنقتونا.. من يسمع رقمه فقط يتحرك إلى الداخل“.

ينصرف خارج القاعة، ويترك المشهد، بينما يمد البطل يده بأوراقه نحو الطبيب:

- «مساء الخير يا دكتور“.
- «وعليكم السلام.. أيوه؟“.
- «اتفضل يا دكتور؟“.
- «أيوه .. خير؟“.
- «أنا من النت“.

- «بمعنى".
- «أنا هنا لأجل العلاج الجديد للفيرس، تفضل (يقدم له أوراقه) هذا الحجز على الإنترنت للعلاج الجديد.. وهذه التحليلات اللي أعلن عنها الوزير في المؤتمر حين كان في التلفزيون؟".
- " أي وزير؟".
- «نعم حضرتك!!".
- (يتدارك الأمر) «أقصد أي تحاليل؟".
- «يا دكتور تحاليل الوزير.. أقصد التي طلبها الوزير في المؤتمر لأجل العلاج الجديد".
- «أي علاج بالضبط؟ (باهتمام مصطنع) مم تشكو حضرتك؟".
- «نعم يا دكتور".
- «آه.. آه.. أنت فيرس.. طيب.. هات الأوراق".

ينظر في الورق سريًعا، ومن دون اهتمام يسحب ورقة حمراء من أمامه، ويعلم علامة «صح" أمام بعض الجمل في جدول بالورقة.

- «اعمل لنا هذه التحاليل والأشعة، ثم عُد إلينا في الأسبوع القادم".

ثم يخطف ورقة حجز الإنترنت، ويختمها بخاتم أمامه.. والبطل في ذهول يسأله:

- «أي تحاليل يا دكتور؟ أنا أحضرت معي كل التحاليل التي أعلن عنها الوزير في المؤتمر، والتي أعلنت عنها لجنة العلاج في موقعها على الإنترنت".
- «أي مؤتمر تقصد يا أستاذ؟".
- «يا دكتور.. المؤتمر الوزاري لأجل العلاج الجديد للقضاء على الفيرس!!".
- «علاج!! (يضحك) يا أستاذ.. أنت تقول الوزير.. ومؤتمر.. وتلفزيون.. يا أستاذ افهم!! أين العلاج في كل ذلك.. ذلك كان مجرد مؤتمر كسابقيه.. افهموا أرجوكم!!".
- «يعني؟! تقصد.. لا يوجد علاج".

يرد الدكتور بانفعال ويرفع نظره نحو البطل، ويحتد:

- «لا.. لا.. لا... أنا لم أقل ذلك.. أرجوك.. أنا لم أصرح لك أو لغيرك أنه لا علاج.. بص حضرتك، اعمل لنا هذه لتحاليل فقط، وعُد إلينا بعد أسبوع».
- «أيوه يا دكتور.. ولكن الوزير في المؤتمر قال...".

يقاطعه الدكتور بحدة:

- «أستاذ لو سمحت.. أنت تعطل سير عمل اللجنة".

تتدخل الموظفة الغاضبة:

- «جرى إيه.. أنت يا عم المقمع.. يا أبا ضفيرة.. اسمع وافهم الكلام.. خلصونا".
- «نعم.. وما دخلك يا أستاذة.. لم يكن كلامي معك؟".
- " نـــــــــــــــعم!!! (تقولها ممطوطة) دخلي!! عُمـــــــر!!! لم يكن ينقصنا غيرك اليوم!!".

يتدخل الطبيب الآخر، وينقذ الموقف:

- «يا أستاذ.. يا أستاذ.. لو سمحت تعال هنا.. بعد إذنك يا دكتور.. اتفضل يا أستاذ" (يشير إلى البطل للجلوس).

يتحرك البطل في حالة من الذهول مما يحدث، بعد أن توتر الجو في غرفة اللجنة، وبدأت تعلو الأصوات ويزيد الصخب، ثم يفتح عطوة الباب، ويصيح مباشرة في الجميع:

- «جرى إيه؟!! يا عالم يا رزلة!! اتلموا.. صوتكم.. نحن في مستشفى ومعهد محترم... لمصلحة الجميع هنا التزموا بالأوامر.. اللجنة تريد أن تعمل في هدوء.. بهذا الهرج والمرج لن نستكمل العمل.. قفوا في الطابور، وامنعوا الصوت".

يصمت المكان بتدريج سريع، بينما يقف البطل أما الطبيب الآخر صاحب الموبايل، والذي يضع الموبايل أمامه، ثم يبتسم:

- «أيوه يا أستاذ.. ألف سلامة.. اهدأ من فضلك.. ما المشكلة؟".
- «أنا الذي أهدأ؟! وهم؟!". (يشير نحو عطوة والمدام والطبيب الآخر.
- «أنا آسف لحضرتك.. خير.. اتفضل.. ما الحكاية بالضبط؟".
- «الحكاية يا حضرة الدكتور.. أني جئت من الإسكندرية، وقطعت كل تلك المسافة، لأني لم أغير محل إقامتي، وحسب كلام معالي وزير الصحة في المؤتمر، وحسب التوجيهات أن العلاج الجديد للفيرس سيتوافر في المستشفيات والمعاهد التي تعالج مرضي الفيرس حسب محل الإقامة، فتقدمت كما أعلن سيادته عبر الإنترنت، وحجزت الاستمارة للعلاج الجديد.. وها أنا أقدم أوراقي حسب التعليمات، وأنت رأيت ما حدث"
- «بص يا أستاذ.. بصراحة.. وحتى لا ترهق نفسك.. والله، من الآخر كما يقولون.. حضرتك ستأخذ العلاج القديم؟".
- «لا طبعا.. أنا هنا لأجل العلاج الجديد الذي أعلنت عنه الحكومة، العقار الجديد".
- «أي عقار يا أستاذ.. (يبتسم) يبدو أنك إنسان محترم، وستفهمني.. أنت قلت إعلام وتلفزيون ومؤتمر.. منذ متى وكل تلك الأشياء فعلت جديدًا في بلدنا.. يا أستاذ من فضلك. انتبه".
- «ماذا تقصد يا دكتور؟!".
- «أقصد باختصار.. إنك مطلوب منك عمل كل تلك التحاليل في الورقة الجديدة التي أعطاها لك الدكتور.. وأن تكون التحاليل في هذا المركز الكبير المدون اسمه والذي نصحك به الدكتور.. ثم تعود إلينا في الأسبوع القادم، وسترى اللجنة، وتتابع معنا ما يطلب بعد ذلك، وهي غالبًا ستكون صورة جديدة للأشعة والتحاليل من نفس المركز إياه.. ثم تأتي بعد ستة أشهر، هذا إن تمكنت من عمل تلك التحاليل والأشعة خلال الشهور الستة القادمة أصلاً.. فالضغط كبير على ذاك المركز، وهو ما يضعك أمام قائمة انتظار لن تقل عن شهور ستة، فإن نجحت، وأشك في ذلك للأمانة.. ستأتي هنا مرة جديدة، ونجرب أولا العلاج المتداول".
- «نعم.. بعد كل ذلك أجرب العلاج القديم".
- «للأسف هذا هو النظام.. وبعدها تتابع معنا هنا في اللجنة المستجدات، وهذا لن يتم قبل مرور تسعة أشهر من الآن".
- «يا دكتور.. ولكن العلاج الجديد.. الأمل الذي أعطانا الوزير.. الحلم الذي تسوّقه الحكومة لملايين المرضى عبر الإعلام والصحف والتلفزيون".
- «إعلام.. مجرد إعلام كغيره من الإعلامات التي فعلتها عشرات الحكومات السابقة، ها هي الحكومة الجديدة تفعلها من جديد".

يميل على البطل، وبصوت شبه هامس:

- «حضرتك.. ما عملك؟".
- «كاتب".
- «كاتب.. إنسان يفهم إذن.. اسمعني.. أنا بشكل شخصي.. أشك أن هناك مرضًا بهذا الاسم أصلاً، ولا أستبعد أن الحكومة هي التي نشرت هذا الفيرس بين الناس ليمرضوا".
- «يا ربي!! هذا كلام خطير يا دكتور".

يعود الدكتور إلى الوراء، ويرفع صوته قليلا قبل أن يتورط أكثر معه في الهمس:

- اسمع يا أستاذ.. حاول أن تعمل المطلوب بأيّ شكل (يغمز بعينيه للبطل)، ثم تعال وتناول العقار القديم، وإذا رفضه الجسم، ربما تضعك اللجنة على قائمة الانتظار".
- «يا دكتور.. يا دكتور".
- «يا أستاذ.. أقسم بالله، أنا بأختصر لك الوقت.. (يهمس من جديد) وحكيت لك بصراحة.. والعلاج الجديد مازال قيد التجريب". (يبتسم بسخرية).
- «والمؤتمر؟! وكلام الوزير؟!".
- (يبتسم) " أستاذ؟ حضرتك تعيش معنا هنا في مصر؟! أمتأكد؟ أنت تقول مؤتمر وصحافة وتلفزيون.. ثم تسأل أين العلاج الجديد؟ يا أستاذ.. أهلا بك.. أنت في بلدنا المحروسة".
- «والعمل؟!".
- (يقترب من البطل، ويهمس) «اسمع يا أستاذ.. هذا وعدي وكلام بيني وبينك.. افعل ما قلته لك، ثم تعال.. وهذا بيني وبينك أيضًا.. ربما أساعدك في إدراج اسمك للشهور الستة القادمة.. وهذا بشكل ودي، واحترامًا لك فقط".
- «يا دكتور.. اللجنة متعطلة" صوت الموظفة بغضب.
- «انجز يا أستاذ.. الناس تعبانة خلفك.. رقم 45.. أين 45.. ما هذا اليوم المقندل". صوت عطوة.

يسود اللغط من جديد ويعترض أحد المرضى، ويبدأ الموقف في التصاعد التدريجي، وينهار البطل على الكرسي إلى جوار الطبيب، وتخفت الإضاءة وتتدرج نحو الإظلام على صوت أغنية «خدوا بالكو دي مصر المحروسة خدوا بالكوا دي مصر".

إظلام.

اللوحة الخامسة

المنظر العام:

نفس المشهد السابق أمام قاعة اللجنة، والبطل، يدخّن في يأس وقد افترش الأرض، ويحاول أن يعيد هندامه مرة جديدة، بما يوحي بما تعرض له، وقد اقترب منه شاب عشريني، وشيخ، وبدأ الحوار بينهما:

- «يا حاج.. والله أنتم الجماعة الكّبار.. كفاية عليكم كده.. واتركونا نحن الشباب لنأخد دورنا في العلاج".
- «يا ابني ليه بس؟! ربنا يكفيك شر المرض".

حسين علي

- «يا حاج.. بصراحة .. أنتم دخلتم دنيا.. تزوجتم يا حاج".
(يبتسم بسخرية).
- «يا ابني، كلنا على باب الكريم".
- «نعم يا حاج.. ولكن، أنا 27 سنة وخطيبتي تركتني.. وأنت ترى حالي وجسدي (يشير نحو بطنه وجسده) كل أملى في الحياة مجرد أن ينام جسدي المتعب هذا إلى جوار امرأة.. ولو على باب التجريب ليوم واحد ثم أموت.. أدخل دُنيا يا حاج". (يضحك).
- «ربنا يعطيك الصحة يا ابني".
- «طيب يا حاج.. بذمتك.. هل تصدق كلام الحكومة وأنه يوجد علاج جديد".
- «يا ابني.. لا يهم يوجد أو لا يوجد.. بارك الله في الحكومة.. تجعلنا نعيش بالأمل يا ولدي، وهذا منتهي الإنسانية".
- (يبتسم) «إنسانية؟! لا أريد أيّ إنسانية.. ولا أريد أمل.. أريد انتصار زميلتي يا حاج (يضحك، ويتابع) أريد أن أدخل دُنيا وغلاوة النبي، وأن أتمدد في طولها وجمالها.. وفي الحلال.. أتزوجها مثل كل من تزوج وأنجب في هذا البلد".
- «كله بأوان يا ابني.. اجعل أملك في الله كبير".
يقف البطل ويتابع ترتيب ملابسه وهندامه، ويبدأ الحركة نحو باب كتب عليه «الخروج" وسهم يشير نحو السلم، وتبدأ الإضاءة تخفت تدريجيًا، ويأتي في الخلفية صوت أغنية «كلمة حلوة وكلمتين.. حلوة يا بلدي".

إظلام.

اللوحة الأخيرة

المنظر العام:
محطة قطارات كبيرة وأصوات كثيرة تختلط، تتداخل مع أصوات الباعة ونفير القطارات الداخلة أو الخارجة من المحطة..
يجري أحد الرجال ويحمل طفلا بين يده، يبدو بطن الطفل عاليًا، ووجه شاحب للغاية، ويحاول اللحاق بقطار يتحرك، لكنه لم يدركه؛ فيجلس منهكًا على رصيف المحطة، ويجلس القرفصاء، ويريح الطفل على ركبتيه فتبدو بطنه أكثر علوًا، وشحب لونه حتى الاصفرار التام، وإلى جوارهما مغلف ورقي كبير عليه إعلان لأحد مراكز التحاليل والأشعة يحمل نفس الاسم المقترح في اللوحة السابقة لعمل التحاليل، وكذلك مغلف آخر يحمل اسم «اللجنة القومية لعلاج الفيرس».. يتحرك نحوهما أحد رواد المحطة، أشعث أغبر، ويقف أمامها؛ فينتبه الرجل إليه، ويبادر:
- «والنبي يا ريس.. متى يتحرك القطار المتوجه إلى المعهد القومي لعلاج الفيرس».
يجلس الرجل الأشعث إلى جوارهما، ويلتفت يمينًا ويسارًا في حذر غريب، ثم يهمس له بعد أن يطالعنا وجهه، فيظهر لنا البطل، وقد علا بطنه قليلا، وطالت لحيته وتغبرت:
- «أنتم من مرضى النت؟!".
- «أيوه يا ريس».
- «الفيس أم الموقع؟".
- «الفيس».
- «الصفحة أم الجروب؟".
- «لا أعرف.. لكن العلاج الجديد".
- «إمممممم.. إذن (بشكل يبدو أنه خبير ومطلع) اركب القطار القادم.. أنا أيضًا ذاهب إلى كفر الإمام.. نفس القطار.. لا تقلق.. قطار قشاش.. ويمر على كل المحطات.. ولكن، انتبه.. القطار لا يقف في محطات الغلابة.. ولا يهدأ السرعة هناك.. (بلهجة الناصح الأمين) اسمع.. حين تجيء محطتك اقفز.. نعم.. اقفز إلى محطتك، أو أيّ محطة.. (يضحك بشكل مبالغ فيه).. كل المحطات واحدة.. محطات الغلابة لا تختلف.. (يهب واقفًا بعد أن كان جالسًا إلى جوار الرجل وولده) خلي بالك.. اوعى.. جاااااي... رجلك يا جدع.. فضوا الرصيف.. (يقلد صوت القطار) تووووووت .. تووووت.. تووووووت... اركب بسرعة يا حاج.. القطر يفوتك.. تووووت.. تيش.. تيش .. تيش.. تيش.. اوعى .. تووووووت".
يتحرك البطل مقلدا حركة وصوت القطار.. ويبتعد عن الرجل وطفله المبطون قليلا، وقبل أن يختفي يلملم الرجل أوراقه ويحمل طفله بين يديه ويناديه:
- «استنى.. خدنا معاااااااااك". ينطلق خلف البطل.
ويبدأ الإظلام التدريجي على نغمات أغنية «يا أحلى اسم في الوجود يا مصر".

إظلام.

كاتب من مصر

عندما توقف الزمن في القبو

مونودارما

مصطفى تاج الدين الموسى

(يوسف: شاب في أواسط الثلاثينات من عمره.. طويل، نحيل، شاحب، شعره منسدل على كتفيه بشكلٍ عشوائي، بلحية غير مشذبة).

(خشبة المسرح: غرفة تحت الأرض، في عمق المسرح جدار بألوان باهتة، تساقط الطلاء عنه من عدة مواقع، لتتشكل عليه بقع كبيرة وداكنة فوضوية الشكل وغريبة، تبدو وكأنها أشباحٌ ملتصقة عليه، بينها.. في منتصف الجدار، يوجد ساعة ضخمة قديمة معلقة، إنها من النوع الذي يعمل على حركة نوسان البندول أسفلها، تكّاتُ عقرب الثواني مسموعة دائماً بشكلٍ واضح، على يسار الساعة توجد لوحة لرجلٍ مبتسم جالس على كرسي بثياب أنيقة. تحت الساعة توجد أريكة قماشها متهرئ، عليها وسائد متسخة وغطاء متواضع، أمام هذه الأريكة توجد طاولة على سطحها فوضى هائلة للأشياء، قناني: بعضها فارغ وبعضها ممتلئ، كؤوس وفناجين ملوثة ببقايا نبيذ وقهوة، صحون فيها بعض الأطعمة المتعفنة، أرغفة خبز، أوراق وقلم، صحن سجائر وعلب سجائر، صورة صغيرة للأم، حبل قصير، كتاب.

بين ازدحام هذه الأشياء يوجد قفص داخله قطّ مسجون، متوسط الحجم، ليس كبيراً ولا صغيراً.

على يمين الطاولة يوجد كرسيان، أحدهما ملقىً أرضاً.

في المقدمة، بجانب حافة المنصة يوجد تمثال حجري نصفي لامرأة عارية من الوجه حتى سرة البطن دون ذراعين، وبنهدين مكسورين حول الحلمتين، فتبدو بنهدين مشوهين، رأسها مائلٌ إلى كتفها.

على يسار الخشبة في تلك الزاوية البعيدة طاولة ثانية أصغر من الأولى عليها أدوات نحت فوقها غبارٌ كثيف.

أرضية الغرفة مليئة بالأوساخ المتناثرة هنا وهناك، وفي المنتصف يوجد حجر).

تبدأ المسرحية بخمسة مشاهد سريعة متتالية، تحددها الإضاءات والإطفاءات المتعاقبة.

ــ إضاءة 1:

عقارب الساعة تشير إلى السابعة تماماً، يخرج عصفورٌ من باب صغير أعلى الساعة، يزقزق قليلاً ثمَّ يرجع.

يوسف واقف منتصف الغرفة بثيابه الرثة، يبدو متعباً، يعبُّ من سيجارته ويتأمّلُ الفراغ أمامه بصمت. /إطفاء/

ــ إضاءة 2:

عقاربُ الساعة تشير إلى الثامنة تماماً، يخرج عصفورٌ من باب صغير أعلى الساعة، يزقزق قليلاً ثمَّ يرجع.

يوسف على الأريكة، يشعل سيجارة ويعبُّ منها، يلتقط كأس نبيذ عن سطح الطاولة ويشرب، يلتفت إلى رجل اللوحة، ثمَّ يزفر الدخان بحنقٍ من بين شفتيه عالياً. / إطفاء/

ــ إضاءة 3:

عقارب الساعة تشير إلى التاسعة تماماً، يخرج عصفورٌ من باب صغير أعلى الساعة، يزقزق قليلاً ثمَّ يرجع.

يوسف أمام الساعة، يتصاعد منه الدخان، يتأمل العقارب ثمَّ يبدأ جسده بالنوسان مع البندول على إيقاع تكّات عقرب الثواني. /إطفاء/

ــ إضاءة 4:

عقارب الساعة تشير إلى العاشرة تماماً، يخرج عصفورٌ من باب صغير أعلى الساعة، يزقزق قليلاً ثمَّ يرجع.

يوسف مُنحَنٍ على الطاولة وقد اتّكأ عليها بكفّيه، سيجارتُه

ربيع كيوان

تتدلّى من زاوية فمه بلا مبالاة، يتأمل القطّ المسجون في القفص، ثمَّ ينفث عليه دخانه وهو يضحك. /إطفاء/

ــ إضاءة 5:

عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة تماماً، يخرج عصفورٌ من باب صغير أعلى الساعة، يزقزق قليلاً ثمَّ يرجع.

يوسف جالس على حافة المسرح متربعاً على الأرض، جانب التمثال النصفي للمرأة، يتأملها بحزن.. يأخذ السيجارة من بين شفتيه.

يوسف: آآآآه.. لو أنني أستطيع أخذك إلى أريكتي.. /إطفاء/

ــ إضاءة.

(يوسف على الأريكة، يرفع وجهه من بين كفيه، يطفئ سيجارته بنزق وهو يتأفف بصحن السجائر، يأخذ القنينة ويسكب كأساً آخر، يشرب، يمسح بكفه على شفتيه)

يوسف: (يتنهّد) أين أنت يا أمي؟.. لقد تأخرت كثيراً هذه المرة، لم يعد هنالك الكثير من الطعام والشراب والسجائر هنا، أرجوك.. تعالي، اشتقتُ لكِ ولصوتكِ وأدعيتك، أرجوكِ تعالي ومعكِ المذياع كما أوصيتكِ في زيارتك الأخيرة (يتنهد مجدداً) أكاد أختنق.. أمعقولٌ أن تكون قذيفة مجنونة قد سقطت على بيتنا وقتلت أمي؟ (يتوتر وتتشنج أطرافه) لا.. لا، أمي لا تزال على قيد الحياة رغم أنف هذه الحرب المجنونة، وسوف تأتي قريباً لزيارتي كعادتها ومعها الكثير من الطعام والشراب والسجائر والمذياع والأدعية الجميلة والابتسامات.. لكن لماذا تأخرتْ هذه المرة؟ (يدسّ أصابعه في شعره الكثيف ليحكّ رأسه) في السّابق أتذكّر أنني كنت أشرب تقريباً ثلاث قناني نبيذ وأدخّن تسع علب سجائر على ما أظنّ بين

زيارتين لها، هذه المرة شربتُ أكثر ودخنتُ أكثر ولم تأتِ.. أرجوك، كوني بخير يا أمي (ينهض ويمشي وهو يتحدث مع نفسه) ضوء النهار لا يصل إلى هذا القبو البشع، هنا لا أعرف النهار من الليل، ولا الجمعة من السبت من الأحد، الأيام المقدسة لدى الشعوب، في هذا القبو الكريه تفقد الأيام أسماءها وتفقد قدسيّتها (ينظر إلى الساعة) إنها الحادية عشرة، لكن صباحاً أم مساءً؟ لا أعرف.. متى يكون اليوم صباحاً ومتى يكون مساءً لا أعرف، الذي أعرفه من كلّ هذا أننا الآن في الشتاء.. أشعر بالبرد (يصل إلى رجل اللوحة) لا تلُمني أيها الحقير، الحربُ هي التي أجبرتني على الهروب واللجوء إلى هذا القبو، إنها ليست حربي.. مؤلمٌ أن تموت في حربٍ ليست حربك، أخذوا أخي ليصير جندياً غصباً عنه وعنّا، ثمَّ انقطعتْ أخباره نهائياً بعد أسابيع قليلة، لم أحاول أن أقنعْ أمّي بمقتله.. أنا متأكد من أنه قد قتل (بغضب) عليك اللعنة، تختبئ داخل لوحة مثل فأرٍ وسخ وتسخر منّي ومن هروبي.. لو أنكَ مكاني لهربتَ إلى أول قبوٍ يصادفك، اللعنة عليك وعلى قبوك هذا أيها النحاتُ الفاشل (يشير بيده إلى تمثال المرأة دون أن يستدير إليها) روح مشوّهة كروحك هي فقط من ينحتُ مثل هذه المرأة المشوّهة، ما أبشعكَ وأبشعها.. أكيدٌ أنكَ استطعتَ أن تهرب مثل أغلب الناس هنا من الحرب.. والآن تتمشّى في شوارع مدنٍ بعيدة أو دول أخرى، تبتسم ببلاهة للبشر وترمي بنصائحك عليّ هنا (يبصق على وجه رجلِ اللوحة ويصرخ بغضب) اصمتْ، لا تنظر إليّ هكذا أيها الوضيع، أنا لستُ جباناً.. إنها ليست حربنا، أنتَ الجبان، أنتَ الجبان، أنتَ الجبان.. اللعنة على ابتسامتك البشعة (بغضبٍ يدسُّ سيجارته في ابتسامة الرجل ليطفئها ثمَّ يبتعد) كلّ الأشياء البشعة في هذا القبو بكفّ، وابتسامة هذا الحقير بكفّ، لم أعد أحتملها.. ابتسامته كارثة مثل قذيفة (يلتقط سيجارة أخرى بنزق عن الطاولة، يشعلها ويعبُّ منها) اللعنة على الحرب، كم هي قاسية (ينحني على القط المسجون في القفص) كانت لديّ حياة جميلة أيها القط التعيس، كنا مجموعة من الشباب الرائعين.. نذهب في رحلات ونسهر ونلهو ونشرب، نطارد الفتيات الجميلات ونتغزل بهن (يصمت قليلاً) أين هم الآن؟ هل نجوا من هذه الحرب أم قتلوا؟ هل هم الآن في قبورٍ أم في مدن بعيدة أم مثلي في أقبية بشعة؟ (يتنهد.. يبتعد عن الطاولة، يصرخ) أريد مذياعاً.. أريد موسيقى.. لقد اشتقتُ للموسيقى (بحزن) هل اشتاقت الموسيقى لي؟ (يعبُّ من سيجارته) الموسيقى الوحيدة هنا هي تكّات هذه الساعة العتيقة.. آآآه، أريد أن أرقص، اشتاقَ جسدي للرقص (يبدأ جسده بالتمايل ليرقص بشكلٍ عفوي وهو يدندن بلحنٍ أغنيةٍ لا يجيد كلماتها كثيراً) تيراراا تيراراا (يتوقف) سوف ألهو قليلاً، أنا لا أزال على قيد الحياة (يضحك، يسرع إلى الحجر يرفع ساقه اليسرى ويبدأ بالقفز وهو يركل الحجر، ليلعب لعبة الحجل وكأنّه يحاول أن ينسى شيئاً ما، بعد بضع قفزات يقف فجأة وتختفي ابتسامته وكأنه قد استيقظ) كلّ ما أفعله هنا وهم، وهمٌ كبير.. أنقذيني يا أمّي، سوف أموت.. تعبتُ، تعبتُ كثيراً.. كلّ شيء هنا وهم، الحرب فقط هي الحقيقة الوحيدة هنا في الأسفل وهناك في الأعلى (يهتز القبو بسبب انفجارات قويّة في الأعلى، يسرع يوسف ليجلس بخوف أسفل الطاولة) القذائف التهمتْ بشراهة خلال أشهر قليلة كلّ الأبنية هنا ولم تشبع بعد، لا أحد ينجو منها الآن سوى الموتى ورجل أبلهٌ يبتسم في لوحة، وقطٌ تعيش مسجون في قفص، وامرأةٌ بنهدين مشوهين، وأنا (يغصّ.. يعبّ من سيجارته، تداهمه نوبةُ سعال حادة، يطلع من تحت الطاولة ويشرب قليلاً) ما رأيك بسيجارة أيها القط؟ لماذا لا تدخّن؟ أنت لست صغيراً ووالدك لن يشاهدك وأنتَ تدخّن، هيّا دخّن.. لا تريد (يضحك.. ويبدأ بجنون ببث دخان سيجارته من بين شفتيه على القفص ليعذّب القط وهو يعبّ منها بشكل سريع) استمتع بهذا الضباب أيها التعيس.. أنت الآن بعيد عن الحرب، أنت الآن على جسر لندن، استمتع بضبابها (تختفي ضحكاته، يحدث القط بشكلٍ جدّي) أتريد الخروج من هذا القفص أيها التعيس؟ لنعقد اتفاقية مع بعضنا، إن استطعت أنا الخروج من هذا القبو، سوف أخرجك من هذا القفص، يصيرُ العالم العلوي ملكي ويصير هذا القبو كلّه ملك، وتصبح تلك المرأة المشوّهة حبيبتك.. لكن طالما أنا هنا لن تخرج من هذا القفص أبداً، يا غبيّ أنت طاردتني وأنا أركض بين الشوارع المدمّرة إلى هنا، أجمل شيء فعلته منذ التجأت إلى هنا هو أنني التقطتكَ لأسجنكَ في هذا القفص، كان قفصاً دون سجين، مثل إنسان دون حلم جميل، القدر اختاركَ لتكون سجينه، أنت الآن الحلم الجميل لهذا القفص (يضحك) أنا بريءٌ أيها التعيس، أنا أداةٌ تنفّذ إرادة القدر.. لا تشتُمني، عليكَ أنْ

ربيع كيوان

تلومَ قدرك (ينتبه لوجود صورة أمّه على الطاولة، ينسى القطّ ويلتقطها، يمشي وهو يتأملها باشتياق) اشتقتُ لكِ يا أمّي.. أين أنتِ؟ (يجثو على ركبتيه يضمّ الصورة إلى صدره ويتحدّث كحالم) اشتقتُ لحنانك، لابتسامتك، لحضنك الدافئ، اشتقت لحكاياتك في طفولتي، اشتقت كثيراً لنفسي وأنا أراقبك خلسةً وأنت تصلّين بخشوع، ما أجملك يا أمي وأنتِ تصلّين، عندما كنتُ أصلّي لم أكن أشعر بالطمأنينة، لكن عندما كنتُ أراقبكِ كنتُ أشعر بالطمأنينة، صلاتي الحقيقية والممتعة كانت عندما أراقبكِ وأنتِ تصلّين، شكلكِ الأبيض وأنتِ تصلّين يجعل الروح تحلّق عالياً، عالياً، عالياً، دفء، دفء، دفء (يصمت وكأنه استيقظ من حلمه وينهض) للأسف يا أمّي، كلّ صلواتك وصلوات الناس لم تمنع الحرب من أن تأتي وتدمّر كل شيء، الحرب بقذائفها المجنونة أقوى من كلّ الصلوات بخشوعها الجميل، الصلاة لا تنهي حرباً، لكنّ حرباً واحدة تنهي ألف صلاة(يمشي بهدوءٍ إلى الطاولة، يضع الصورة فوق الكتاب، يأخذ الكأس ويشرب، يشعل سيجارة ويمشي وهو يتمايل فيصل إلى تمثال المرأة، يجثو أمامها، يمسح بحنان على رأسها) كم أنتِ جميلة يا أميرتي، أنثى فاتنة، ما أحلاك يا ندى، أحب أن أسمّيك ندى، ذلك الحقير الذي نحتك لم يمنحك اسماً، أنتِ حلوةٌ كصحن كرز على طاولة في حديقة بيتنا الجميل(يصمت، ينحني إليها ويهمس مبتسماً بخبث) تعالي معي إلى أريكتي لنلهو قليلاً، هيا.. لماذا؟ مممم (يلتفت بسرعة إلى الرجل في اللوحة ثمَّ إليها مجدداً، هامساً) أنت تشعرين بالخجل منه، لا يمكنك أن تنامي مع شاب أمامه، هو والدك لأنهُ نحتكِ، لا تهتمي يا حلوة، سأتخلّص منه (يغمزها بعينه، يسرع إلى الأريكة ليلتقط الغطاء ويخفيه خلف ظهره وهو يقترب بابتسامة مصطنعة من رجل اللوحة، يقف أمامه، وفجأة يرمي بالغطاء على اللوحة ليغطيها، يرجع بفرح إلى تمثال المرأة، يجثو أمامها وهو يضع كفّيه على كتفيها) هيا يا حلوة، لنسرع إلى أريكتي ونلهو قليلاً، لقد تخلّصتُ منه، هيا، تعالي معي.. الحبُّ والدفءُ والمتعةُ ينتظروننا هناك (يشير بيده) على تلك الأريكة (ينحني ويقبلها في شفتيها الحجريتين الباردتين) أرجوك، أنا بحاجة للدفء والحب، تعالي معي يا حبيبتي.. أحبكِ يا ندى، سأمنحك ألف قبلة (بتوسّل) على أريكتي سنخلق معاً عالماً دافئاً، هيا تعالي (بغضب) تعالي معي يا غبية، اللعنة عليك أيتها العاهرة، سوف آخذك إلى أريكتي غصباً عنك (يحاول عبثاً عدة محاولات يائسة أن يحمل تمثالها الثقيل فيفشل، يسقط جانبها، يحبو على أطرافه بقهر مبتعداً عنها إلى تحت الطاولة حيث يبكي بصوت مخنوق، سرعان ما ينهض ويقف وكأنه استعاد ثقته بنفسه، يمسح دموعه) لن تعثري على شاب آخر يقبلُ

أنْ يحبّكِ أيتها البشعة، من هو الغبيّ في هذا العالم الذي يمكن أن يشارك أريكته مع امرأة بنهدين مشوّهين؟ لن ينام معك أحدٌ أيتها البشعة، ولا حتى أنا، أينقصني أنْ تنجبي لي تماثيلَ صغيرة مشوهة مثلك، يا عين! (يضحك بصخب) تتدللين عليّ ولديك نهدان مشوهان! ماذا لو كنتِ جميلة؟ (يقترب من التمثال وينحني عليه وهو يهزّ بسبابته) أتعلمينَ كم فتاةً جميلةً في حارتنا أحبّتني؟ كنّ يشهقنَ عندما أمرُّ بهنّ، عليكِ اللعنة، يا غبية.. أعظم أشكال التمرد، هو أن يتمرد تمثالٌ على من نحته (يركلُ التمثال ثمّ يسرع إلى اللوحة ليرفع الغطاء عنها ويغطّي به رأسه، يرجع إلى الطاولة، يشرب قليلاً) يااااه، لم أعدْ أعرف من أنا! أشتاق للصلوات النقية لأمّي الطاهرة، وبذات الوقت أشتهي جسد هذه المشوهة (يصفع جبينه عدة مرات) من أنا؟ من أنا؟ من أنا (يصمت، ثمّ يستدرك مع ضحكة مجنونة) أنا الحلم الجميل لهذا القبو البشع، لا أحد نحتني، وهذا أبشع ما فيّ، أو يمكن.. كوابيسي، الحرب، هذا القبو الموحش، هي من نحتني.

(يرجع إلى رجل اللوحة) عليك اللعنة أيها الفاشل، لولا أنك بشع لما استطعت أن تنحت مثل هذه المرأة البشعة، لقد صنعت امرأة بلا روح، جسدها مشوّه، أثرُكَ يدلُّ عليك، يشبهكَ، مثلك تماماً (يبصق عليه ويمشي مبتعداً عنه، يتوقف في منتصف القبو، يتنهّد بعد صمت طويل) اشتقت لوجهي، منذ زمن لم أشاهده، لو أنّني أشاهده ثانية، ما أقسى أن يعيش الإنسان دون مرآة (يصمت، يداعب بسبابته ملامحه، يستدرك) وامرأة (يشرب، يعبّ من سيجارته) هل هذا القبو هو اللعنة التي حلّت عليّ؟ أم أنني أنا اللعنة التي حلّت على هذا القبو؟ فلينقذني أحدكم، أريد مذياعاً، أريد موسيقى، أريد أمّي، أريد امرأة جميلة، أريد أن أرى وجهي (يصمت قليلاً، فجأة يتذكر، يبتسم) لماذا لا أرقص؟.. نعم، أريد أن أرقص (تعلو في المكان صوت أغنية، يبدأ بالتمايل عليها ويحرّك أطرافه بشكل متشنّج، يرقص بشكل كوميدي قليلاً، سرعان ما يتعب، يتوقف وهو يسعل، يتأمل مبتسماً رجل اللوحة وقطّ القفص وتمثال المرأة) هل أعجبتكم رقصتي؟ أعجبتكم! (تحتفي ابتسامته، بغضب) يا إلهي ما أبشعكم! كيف يمكن لرقصة بشعة أن تنال إعجابكم، عليكم اللعنة.

(يسرع إلى الأريكة حيث يرمي جسده عليها وفوقه يرمي الغطاء، يرفع رأسه ويخاطب قطّ القفص على الطاولة) أيها القط التعيس، إن جاءت أمّي أثناء نومي أيقظني في الحال (يدسّ رأسه تحت الوسائد وينام).

(صوت تكّات الساعة يعلو، الأشباح الداكنة على الجدار تبدأ بالتحرك بقهقهات مخيفة تعلو ببطء، صوتُ طفلٍ يبكي يعلو ببطء، صوتُ صلوات أمّ يعلو ببطء، صوت لهاثِ امرأة تمارسُ الحبّ يعلو ببطء، صوت آلام إنسان جريح يعلو ببطء، صوتُ مذيع نشرة أخبار يعلو ببطء، كلّ هذه الأصوات تعلو مع بعضها، وجسدُ يوسف على الأريكة يتلو ويتشنّج تحت وطأة كوابيسه، انفجاراتُ تهزّ القبو فيستيقظ يوسف مرتعباً لتختفي كل الأصوات، ويبقى صوتُ تكّاتِ الساعة، يشربُ النبيذ بعطشٍ ويشعل سيجارة ليعبّ منها بشراهة).

اللعنة عليك أيّتها الأشباح، لا هواية لديك في هذه الحرب غير التسلّي بروحي وكأنها كرتكِ المفضلة (يتأمّل أمامه شيئاً ما وهو يحرّك رأسه، يبدو وكأنّه يراقب شبحاً ما، بغضب) اللعنة عليك أيها الشبح، سأقتلكَ وأجعل بقية الأشباح تتّعظ من جثتك (ينهض بجنون عن الأريكة ويبدأ بمطاردة شيء غير مرئي في أرجاء القبو، وهو يلكمُ ويركل بغضب الفراغ، يقفز على الكرسي ثمّ على الأريكة ليلكم الشبح اللامرئي)

لن تنجو من لكمتي أيّها الوغد، سوف أقتلك (قبضته ترتطم ببندول الساعة فتكسره من أعلى ساقه، يسقط البندول بعيداً لينكسر، تتوقف السّاعة عن العمل، يتأمّلها بهلع) أرجوك أيتها الساعة، لا تتوقفي عن العمل، أرجوك.. كلّنا في هذا القبو نحتاج لزمن، أتوسّل لك (يجثو على الأريكة) يا إلهي.. أريد زمناً هنا، دون زمن سأختنق، بدون ساعات ودقائق وثواني يصير هذا القبو وكأنه يسبح في عتمة الفراغ الكوني المخيف (ينزل عن الأريكة) يجب أن أعيد الزمن إلى هنا بأيّ طريقة (يسرع إلى البندول المحطّم على الأرض، يحاول إصلاحه فيفشل، يبتعد عنه إلى الطاولة ويشرب كثيراً، يشعل سيجارة) سأموت رعباً دون تكّات الساعة، سوف يقتلني هذا الفراغ المخيف، يجبُ أنْ ترجع الساعة لدورانها (يشرب أيضاً ثمّ يخبط بقبضته على الطاولة بمرارة) أشعر بالاختناق، الفراغ يعصر بقبضته رقبتي، أريد زمناً ينقذني منه (يشرب مجدداً، يلتفت إلى رجل اللوحة ثمّ إلى قط القفص ثمّ إلى تمثال المرأة، يقول بألم) عليكم اللعنة، لن يهمّكم توقف الزمن هنا، شيء طبيعي، لأنّكم موتى (ينتبه لوجود الحبل على الطاولة، ينظر إلى القط في القفص، يبتسم ابتسامة مخيفة، يشرب، يلعق شفته السفلى) فكرة! يمكن أن تساعدني في إرجاع الزمن إلى هذا القبو! (يضع الكأس جانباً، يأخذ بهدوء بيسراه الحبل وهو يرمق القطّ بنظرة مخيفة، ثمّ بيمينه وبشكلٍ جنوني يفتح باب القفص ويدخلها ليلتقطه من رقبته ويعصرها بفظاعة، القط يموء كثيراً يغرز مخالبه بأصابع يوسف، سرعان ما يختنق ويوسف يقهقه بجنون، انفجارات تهز القبو، تتوقف، ترتخي جثة القط).

(يوسف غير مهتمّ للدماء التي تسيل من أصابعه، يخرج جثة القط من القفص، يربط طرف الحبل حول عنق الجثة، يقفز على الأريكة ليعلّق الحبل من طرفه الآخر أسفل الساعة، ينتهي.. يتأمّل جثة القط المتدلّية أسفل الساعة، تقترب كفه اليمنى من الجثة، يضربها بهدوء من جانبها، تبدأ الجثة مع حبلها بالنّوسان تماماً كبندول الساعة، عقرب الثواني يتحرك، يوسف يجنّ فرحاً وهو يضحك ويتنفس الصعداء).

لقد نجحت، لقد نجحت.. عاد الزمن إلى هنا، أعتذر منك أيها القط التعيس، سوف أسمّيك: شهيد عودة الزمن (يقهقه ويبدأ بجسده بالنوسان بنشوة فوق الأريكة مع الجثة، ينزل عن الأريكة، يشعل سيجارة ويمشي).

لا أعرف كم توقف الزمن هنا، نصف ساعة، ساعة، يوم، أكثر، أقل، لا يهمّ.. المهم أن الزمن قد عاد، أظن أن الزمن في الأعلى يسبق زمني هنا بقليل.. لا يهمّ، المهمّ أنه لديّ زمن هنا (يصل إلى أقسى زاوية اليسار، جانب الطاولة الصغيرة التي عليها أدوات النحت، منتشياً، مخموراً، ورغم تأثير الخمر، يشد جسده، يصير كرمح منتصب هنا، يرفع كأسه عالياً ويصرخ بقوة) نخبك يا زمني..

(لا يشرب، يرفع رأسه، بينما كفه المرتفعة عالياً بالكأس، تميل بكفه ليسكب نبيذها على ملامحه ببطء، فيغسل سائل النبيذ وجهه).

/إطفاء/

تنتهي المسرحية بخمسة مشاهد سريعة متتالية، تحددها الإضاءات والإطفاءات المتعاقبة.

ــ إضاءة 1:

عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة تماماً، لا يخرج العصفور ليزقزق من أعلاها، جثة القط أثناء نواسانها أسفلها تموءُ بحقدٍ قليلاً ثمَّ تصمت، معلنةً تمام الساعة.

يوسف واقف منتصف الغرفة بثيابه الرثة، يبدو متعباً، يعبُّ من سيجارته ويتأمل الفراغ أمامه بصمت. /إطفاء/

ــ إضاءة 2:

عقارب الساعة تشير إلى الواحدة تماماً، جثةُ القطّ أثناء نواسانها أسفلها تموءُ بحقدٍ قليلاً ثمَّ تصمت، معلنةً تمام الساعة.

يوسف على الأريكة، يشعل سيجارة ويعبّ منها، يلتقط كأس نبيذ عن سطح الطاولة ويشرب، يلتفت إلى رجل اللوحة، ثمَّ يزفر الدخان بحنق من بين شفتيه عالياً. / إطفاء/

ــ إضاءة 3:

عقارب الساعة تشير إلى الثانية تماماً، جثة القط أثناء نواسانها أسفلها تموء بحقد قليلاً ثمَّ تصمت، معلنة تمام الساعة.

يوسف أمام الساعة، يتصاعد منه الدخان، يتأمل العقارب ثمَّ يبدأ جسده بالنوسان مع البندول على إيقاع تكات عقرب الثواني. /إطفاء/

ــ إضاءة 4:

عقارب الساعة تشير إلى الثالثة تماماً، جثة القط أثناء نواسانها أسفلها تموء بحقد قليلاً ثمَّ تصمت، معلنة تمام الساعة.

يوسف منحن على الطاولة وقد اتكأ عليها بكفيه، سيجارته تتدلى من زاوية فمه بلا مبالاة، يلتقط صورة أمه عن الطاولة، وبهدوء يدسّها في القفص ثمَّ يغلق عليها الباب، ويبدأ بنفث دخانه من بين شفيته عليها بلا مبالاة. /إطفاء/

ــ إضاءة 5:

عقارب الساعة تشير إلى الرابعة تماماً، جثة القط أثناء نواسانها أسفلها تموء بحقد قليلاً ثمَّ تصمت، معلنة تمام الساعة.

يوسف جالس على حافة المسرح متربعاً على الأرض، جانب التمثال النصفي للمرأة، يتأملها بحزن، يأخذ السيجارة من بين شفتيه.

يوسف: آآآآه، لو أنني أستطيع أخذك إلى أريكتي، وقتها.. متأكد، سوف تنتهي هذه الحرب...

(ستار)

كاتب من سوريا مقيم في تركيا

تَغريبة ابن سيرين

مونودراما

مفلح العدوان

يحتوي المسرح على مجموعة من الأسرّة المعدّة للنوم، وهي تعكس في هيئتها، وشكلها، المستوى الاجتماعي والحضاري لأصحاب هذه الأسرة، حيث هي أماكن للنوم، والحلم، من أزمنة مختلفة، قديما، وحديثا: سرير بطابقين.. فرشة على الأرض.. أريكة فخمة.. صخرة مستوية.. مسند سلطاني.. مهد أطفال.. مقعد رصيف.. كتلة قش.. مفرش صوفي.. كل واحد من تلك الأسرّة له دلالة اجتماعية، وحضارية، وثقافية، من أزمنة وطبقات مجتمعية متباينة.

يقف وسط هذه الأسرّة ابن سيرين، لابسا زيا نصفه كفّن أبيض، ونصفه الثاني رداء ملون، يعكس حالته بين الغياب والحضور، الموت والحياة، اليقظة والحلم، العري والستر.. هو ليس نائما ولا مستيقظا، حالة بين الاثنتين، تارة يحلم، وتارة ينقل حالة حلم عن آخرين، لكنه ضجر، قلق، مستاء، وكأنه يبحث عن شيء فقده.

يتقدم نحو مقدمة المسرح، ويواجه الجمهور، واضحة عليه ملامح الحيرة، وكأنه خارج من عالم آخر..

ابن سيرين: دفنت وكان عمري تسعين عاما.. أتذكّر آخر شهقات الغياب.. حقا متّ.. كان هذا قبل ألف ومئات عدة من السنين.. نعم مت.. أنا "محمد بن سيرين".. لكن ما الذي أعادني بعد كل هذه السنين؟

يضرب كفا بأخرى

ابن سيرين: مضى عمري.. وانتهيت.. فأيّ قدر جعلني حاضرا في كل زمان؟!!

آلاف الأعمار مضت.. كل يوم هناك رحيل، ووداع، لكنهم ليسوا مثلي، فما إن يغيبوا حتى يزداد ثقل التراب عليهم، ويكملون نومهم، ولا أحد يوقظهم بعد وداعهم الأخير..

يشير إلى من حوله

ابن سيرين: ها هم على أسرّتهم ساكنين، مرتاحين: بشر.. حيوانات.. أطفال.. نساء.. رجال.. كلهم لا أحد يوقظهم.. وقد مضوا..

يشير إلى نفسه

ابن سيرين: لكنّي رغم غيابي، ما زلت هنا.. معهم في صحوهم، وفي نومهم.. في غيابهم، وفي حضورهم.. دائما أعيش معهم.. وأتلصّص عليهم..

يصمت.. كأنه يريد أن يتراجع عن بعض أقواله.. ثم يتابع

ابن سيرين: لا.. حاشا لله أن أتلصّص عليهم.. هم يقولون لي كل شيء بمحض إرادتهم.. كل ما عندهم يثرثرون به لي..

يتأمل أناسا متخيلين.. كأنه يستقبلهم في بيته..

ابن سيرين: يأتون نحوي.. ينظرون إليّ.. كانت نظرتهم توحي برجاء.. تُنبئ عن خوف.. تُعبّر عن تَوق.. تريد أُمنية، ولو كانت كاذبة.. ترغب في بارقة أمل، وإن عزّ تحققها..

يهدأ برهة، كأنه يفكر في أحوال من جاءه.. ويحاور نفسه..

ابن سيرين: لكن إلى متى يمتد هذا؟ كلهم نيام.. وإذا استيقظوا جاءوا إليّ.. وبدأوا سرد حلمهم على صحو.. يزيدون عليه.. يؤلّفون ما يتوقون له.. يثرثرون معي.. وأنا أسمعهم.. يبنون قصور أمنياتهم.. ويشيدون بيوت رغباتهم..

يتحرك نحو الأسرّة حوله..

ابن سيرين: هنا يرقد حُلم عالِم، وهناك يغفو حُلم مومس، وفي تلك الزاوية حلم جندي.. وفي الجهة الأخرى حلم سلطان.. وفي كل الأمكنة هناك أحلام بعدد المقيمين في جُزُر النوم: حلم القديس.. وحلم الكافر.. وحلم اليائس..

هيثم شكور

وحلم البائس.. وحلم.. وحلم.. كلها أحلام تمر أمامي، كأنها استعراض عسكري.. كلها تريد أن تظهر بكل قيافتها، لأقول كلمتي فيها..

يخبط على جبهته..

ابن سيرين: لكن وبعد أن أمضيت العمر، كلّ عمري، وأنا أسمع، وأسمع، وأسمع.. اكتشفت أنّي نسيت حلمي، وأنا مشغول بأحلامهم.. تلاشت كل تفاصيله وأنا أرقب أضغاث نومهم، عند صحوهم.. تبا لعمري الذي أضعته عبثا، متعقبا فيه تفسير أحلامهم، مهملا حلمي الذي أهملته، فنسيته.. أنا أريد الآن أن أعرف حلمي، أرغب أن أكتشفه، أتوق لأن أحمله طفلا عزيزا عليّ، وأثرثر معه، مثل كل الخلق، وأبحث عمّن يفسره لي.. أين حلمي؟ أين هو؟ لماذا أضعته؟

يبدأ بالتفتيش بين الأسرة.. يبحث تحت الأغطية.. يحدق في تفاصيل الأرض.. يتأمل فضاءات السماء.. وبعدئذ يجلس مستسلما على حافة أقرب سرير منه.

ابن سيرين: نعم كنت أحلم.. كنت مثلهم.. مبتهجا أصحو، لأسرد ما رأيت.. لكن حين بدأت الحكاية.. كانت الصدفة هي التي جعلتني أنسى حلمي، وأنشغل بهم..

يستند على حافة السرير، ويتمدد عليه.. ينام.. ويتململ في السرير كأنه يحلم.. يعبر عن حلمه بحركات وتمتمات وهو نائم.. ثم يصحو..

ابن سيرين (وهو متمدد على السرير): نمت.. وصحوت.. في تلك الأيام كنت أنام وأصحو مثل كلّ الناس.. وكنت أحلم أيضا.. أول مرة حلمت فيها صحوت فرحا.. يصمت كأنه يريد أن يتراجع عن تصريحه.. يكمل).. لا.. لا.. كنت حزينا) يصمت، ويتردد، ثم يكمل.. (لا.. لا.. كنت خائفا).. صمت.. كنت قلقا.. كنت مرتابا.. كنت مندهشا.. كنت ربما كل هذا.. وربما لا شيء من هذا.. وكان الجميع نياما.. وعدت فرحا بالحلم، أحاول النوم مرة أخرى..

ينهض من السرير، ويجلس على حافته..

ابن سيرين: لماذا كانوا نياما عندما صحوت؟ لو كان واحد منهم مستيقظا، كنت سردت له حلمي.. كنت احتفظت بالحلم في خزانة ذاكرة هذا المستيقظ الذي استمع إليّ.. لكن لا أحد كان مستيقظا.. ولم أسرده لأحد، وعندما نمت وصحوت، مرة أخرى، لم أتذكر الحلم.. وأنا حتى الآن لا أتذكره: ربما كنت فيه فرحا.. ربما حزينا.. ربما خائفا.. ربما غاضبا.. لا أعرف.. لكنّني حلمت.. أقسم أنّني حلمت.. كنت

حالما آنذاك، ولم أكن مفسرا للأحلام.. أين حلمي؟ أين اختفى مني؟ سأحاول مرة أخرى!!

يعود للاستلقاء مرة أخرى.. فلا يستطيع النوم.. ينتقل إلى سرير آخر.. وآخر.. وآخر.. إلى أن ينام بعد محاولات.. ثم يصحو بسرعة.. ويتأمل الأسرة الملقاة حوله..

ابن سيرين: ما زالوا نائمين.. وأنا يراوغني الحلم تارة، ومرات أراوغه.. أقسم أنني حلمت.. لكنني لم أستطع فك رموزه.. لا أتذكره.. لكنني كنت أشعر بلذة ما.. إحساس ما.. يتحرك بجدية بين الأسِرّة..

ابن سيرين: عقدت العزم على أن أوقظهم.. قلت لهم: قوموا من سباتكم.. أخبروا عن أحلامكم.. وبدأوا يستيقظون، كأنهم في قيامة جديدة.. ولكن قبل أن أحدّثهم عن الحلم الذي كنت أكاد أن أتذكره، بدأوا يسألونني.. توجّهوا إليّ بقصص نومهم.. كل واحد يسرد حلمه لي.. أشغلوني بأحلامهم حتى نسيت حلمي.. وعلي أن أعود إلى البداية لكي أتذكر.. ربما أتذكر..

يقترب من مهد رضيع.. يهزه باستمتاع.. يضع أذنه على خشب المهد.. يحركه، كأنه يريد منه أن يعطيه إشارة يتذكر بها حلمه.. يصدر المهد صوتا.. صريرا.. يترافق مع صوت طفل.. بكاء.. ضحك.. يختلط مع حركة وصرير المهد..

ابن سيرين: ذات يوم كنت هنا.. كنت أنا ذاك الطفل.. كانت الدنيا بيضاء أمام عيني.. صافية.. شفيفة.. رائقة.. ساكنة.. نقية.. لم يلوّثها حبر الزمن.. كنت طفلا آنذاك.. وكانت لي أحلامي الخاصة.. وأضحك وحدي.. وأبكي بكل إرادتي.. وأحلم.. أحلم.. ولكنّي لم أكن ألثغ بأحرف تعبر عمّا أرى نائما.. لم أكن أستطيع الكلام.. المصيبة أن تحلم ولا تستطيع الكلام عن حلمك.. كانت أحلاما كثيرة، لكنّي كنت في البداية، ولم تتحقق أبجدية وجودي بعد.. الآن أريد أن أعرف حلم تلك اللحظات الأولى: ماذا كانت؟ هل كانت تحمل تفاصيل عالمنا الأرضي.. أم أنها تعبير عن عوالم سماوية يأتي منها الطفل، فيُلْجَم نُطقه، حتى لا يعبر عنها؟ هل كل الأطفال هم براءة أحلام السماء؟ هل كنت أحلم بدفء رحم أمي؟ أم أعيد تلك الهمسات التي كانت تحكيها لي دون وعي منها؟

يسير حتى بداية المسرح.. كأنه نسي شيئا، تذكره في هذه اللحظة.. يصلح من وضع ملابسه.. يقف في مواجهة الجمهور..

ابن سيرين: نعم كنت طفلا.. ولدت، أنا ابن سيرين، عام 30 للهجرة.. وصنّفت من التابعين.. كانت الرسالة توشك أن تتحقق.. ولم أكن أعي تلك الفترة.. كنت طفلا، ولكن أحلام كثيرة كانت تتحرك في الفضاء من حولي بدءا من انتشار الرسالة المحمدية، حتى تدوين القرآن، وحراك الأسئلة، والتضييق على الأجوبة.. كانت هناك أحلام تتحقق أيضا.. نعم كانت الأحلام تتحقق.. وربما لهذا لا أتذكر حلمي الآن.. هل تحقق حلمي وأنا لا أدري؟ وهل للحلم قيمة إن تحقق، ونحن لم نحلم به بعد؟ لكن الأحلام في تلك الفترة من الزمن كانت تتحقق، كأنها المعجزات، وربما لهذا لا أتذكر أحلامي!! أو أن الأحلام التي نتذكرها هي تلك التي تبقى حسرتها في القلب لاستحالة بلوغها!! ربما..

يمشي بجدية نحو سريرين متجاورين، ويقلبهما بشكل يجعلهما على هيئة كهف، ويدخل بينهما، وينام هناك.. يعلو شخيره.. ثم يصحو.. ويلتفت حوله.. يخرج.. يجلس أمام السريرين..

ابن سيرين: كل هذا الزمن الذي مضى وأنا في كهف.. هل دفنوني هنا، لأتقمص أحلام أهل الكهف؟

يلتقط كتابا بجانبه مكتوب عليه "تفسير الأحلام لابن سيرين"

ابن سيرين (يقرأ بصوت مرتفع): "تفسير الأحلام لابن سيرين".. هذا أنا..

يلتفت باتجاه الكهف..

ابن سيرين (يتساءل): كم لبثت نائما في سرير الكهف؟

ابن سيرين (يضيف بعد لحظة صمت): ثلاثمئة وازددن تسعا؟ لا.. لا.. أكثر..

يتأمل ساعة معلّقة في السقف.. مؤشر التاريخ يشير إلى أعوام تجاوزت الألف وأربعمئة للهجرة.. يبدأ حساب الزمن على أصابعه..

ابن سيرين: ياه.. أكثر.. أكثر.. أربعمئة.. خمسمئة.. ألف.. ألف وأربعمئة.. بل أكثر.. أكثر.. كل هذا عمر من النوم..

يبدأ الانتقال بين الأسرّة.. وعند كل سرير يمزق ورقة من كتاب تفسير الأحلام، ويرميها على السرير..

ابن سيرين: عمر من النوم.. ليس عمري وحدي، بل أعمار من ماتوا بعدي أيضا.. كلها مضت في جمود السبات.. وأنا ما زلت غائباً ابحث عن حلمي.. تائه في أسئلتي، بينما كل من حولي يحلمون.. يحلمون..

يتحرك بين الأسرة، وهو يوزّع الأوراق التي يمزّقها من كتاب تفسير الأحلام..

ابن سيرين: خُذ هذا تفسير حلمك.

ينتقل إلى سرير آخر

ابن سيرين: وهذا لحلمك.

ينتقل مرة أخرى إلى سرير مختلف

ابن سيرين: وهذا حلمك.

يتحرك نحو كل الأسِرّة، وهو يردد مع كل ورقة يلقيها على سرير: "هذا حلمك.. هذا تفسيره".

بعد أن يمر على معظم الأسرة على خشبة المسرح، يقف عند سرير يشبه التابوت، وله عجلات، بحيث يستطيع التحرك به.. يلقي فيه ورقة، ثم يضع الكتاب جانبا، وبعدئذ يتسلق ليدخل في التابوت.. ويتمدد فيه، في البداية، ثم بعد لحظات يقرفص في التابوت/السرير..

ابن سيرين: تُرى.. ماذا كان حلمي عندما متّ؟ وهل متّ حقا مثل بقية خلق الله؟

يعدل من وضع جلسته في التابوت.. يتناول من داخل التابوت مجدافين.. يبدأ بالتجديف كأنه يبحر في الماء..

ابن سيرين: كنت أبحر بقاربي كل تلك السنوات.. أعاين سيولة الزمن.. أتفحص الأمكنة كأني بعضا منها.. أتأمل وجوه البشر قارئا خرائط وجوههم.. كنت أمرّ على كل هؤلاء: الجزر.. البحار.. الأنهار.. الشواطئ.. الناس.. الأموات.. الأحياء.. العبيد.. السلاطين.. الجنود.. العاهرات.. القديسين.. اللصوص.. كلهم كنت أمرّ عليهم.. وأعاين أحلامهم.. أنبشها، وأُقَصّلها.. أقرأها، وأفسرها.. كانت حالة قلق دائم.. مقام متشابه عليّ؛ لا هو موت ولا هو حياة.. وكلما حاولت الغياب استحضروني.. لم أرتح ميتا.. ولا ارتحت حيا.. وحتى الآن لا أدري هل أنا ميت حي.. أم حي ميت.. كنت أبحث عن حلمي، غير أني ضعت في أحلام الآخرين.. كنت أحاول أن أتذكر.. فلم أستطع.. وَغِبت في حالة الاستماع لأحلام الآخرين، علّ واحدا من أحلامهم يشبه حلمي، ويُذكّرني بالحلم الذي نسيته..

يُجدّف أكثر.. وكأنه يسير في بحر.. ويتحرك تابوته/قاربه.. ليمرّ على كل الأسرّة حوله.. وكلما توقف عند واحد منها يحاول استعاد سيرة صاحب الحلم..

ابن سيرين: تنقلت بين أحلامهم، كأني ربان أعمارهم.. ولم أقف عند زمن واحد، بل أبحرت في كل الأزمنة.. تداعيت مع تلك الأحلام، رأيتها نقشا على جدار كهف، تلمّستها، شغفت بها، وجاءت كأنها تشي بالنطفة الأولى للرؤية البكر، فتهت بين يقظتي الموهومة، ونومي الموارب، وموتي المشكوك به، لأعاين كل أحلام من سبقوني، ومن جاؤوا بعدي.. هل كنت حاضرا كل تلك الأزمنة؟ ربما صرت بما أنا عليه حلما يستنسخ كل حين، عن أحلام ماضية، توارثها الخلف عن السلف!! ها هي أرواحهم تتقمصني.. أحلامهم تتقافز نحوي، في لهاث عمره آلاف السنين لتتجلّى أمامي.. وأنا قبطان قارب التفسير، في نهر أحلامهم المستعادة..

يقف عند سرير عليه شبك كأنه زنزانة..

ابن سيرين: هذا حلم توقفت عنده كثيرا: واحد قال "إني أراني أعصر خمرا".. والثاني قال "كأن الطير تتلقف العنب من فوق رأسي".. اثنان في ذات المكان سرير السجينين.. وكنت أستمع إلى الحلم.. استحضرته مذ كان يوسف سجينا قبل مئات السنين.. قلت واحد يصبح جليس الملك.. والآخر يموت غدا..

يقترب أكثر من السرير بطبقتين..

ابن سيرين: وجلست مع كلا السجينين على حدة.. واحد قلت له اسأل عن حلمي عند السلطان.. والآخر قلت له اسأل عني في العالم الآخر.. وغابا .. وغبت.. وكان السلطان مشغولا بحلم يهدد ملكه، سبع بقرات سمان، وبعدهن سبع بقرات عجاف.. وسبع سنابل ملأى، وسبع تذروهن الريح.. كيف لكل هذه الأحلام أن تتمثل أمامي، ولا أنسى حلمي؟! يُجدّف بقاربه.. يبتعد نحو صخرة.. وينزل مقتربا منها، ثم يتمدد عليها..

ابن سيرين: هذا حلم آخر: رأيته وقد نام على مثل هذه الصخرة، هو الذي كان يحلم بالخلود.. مشى.. ارتحل مثلي.. خاض تغريبته عبر البحور والجبال والأنهار.. التقط جلجامش عشبة الخلود التي يحلم بها.. كان لا يريد لروحه أن تفارقه.. يريد عمرا أبديا.. واستلقى بعد طول تعب.. صار يحلم بما بعد تحقق الحلم..

يتمثل ابن سيرين حالة نوم جلجامش.. يستلقي على صخرة، وبجانبه عشبة الخلود.. تطول غفوته.. ثم يتكلم ابن سيرين بلسان جلجامش..

ابن سيرين (متقمصا شخص جلجامش): رحلتي لم تنته بعد.. ها قد تحقق الحلم.. الخلود بين يدي.. والأرض ستبقى مقامي الدائم.. أحلم قليلا قبل أن أتذوق العشبة، أتشرّب لذة تحقق الحلم.. المتعة أن تتجرع النجاح نقطة

نقطة، كأنه نبيذ سماوي.. وبعدها يكون التحقق..يكون الـ.. يتلمس موقع العشبة، فلا يجدها.. تمسك يده قسوة الصخر..

ابن سيرين (ما زالت تتقمصه شخصية جلجامش): رَقّ الجلمود وما تحقق الحلم.. الأقدار عدوّة الأحلام.. كيف تَأتّى للأفعى أن تحلم مثلي بالخلود، وأنا الذي أرهقت بحثا عن عشبة الحياة؟ ها هي الأفعى تلتهمها دون عناء، بينما أبقى أنا رهين ترقبي لتحقق الحلم.. ها قد ضاع الحلم.. ضاع الخلود.. ضاعت الحياة..

يركب ابن سيرين قارب الأحلام، ويبتعد عن الصخرة..

ابن سيرين: ربما الأفعى كانت تحلم أيضا.. وكان سريرها رحم التراب..أي هذا العذاب!! أحلام تقاتل أحلام..وعيني هي الوحيدة التي لا تنام.. أريد أن أنام.. بي توق لأن أخلع عباءة المستمع للأحلام..

يتحرك بهيستيريا، وهو في قاربه، كأنه يريد أن يهرب، أو يُبعد أشباحا تتعقبه..

ابن سيرين (بصوت مرتفع، وبسرعة): مفسر الأحلام أنا.. العارف بها.. المحلل رموزها.. كل هذا أنا.. وربما عرّاف.. أو ضارب رمل.. أو قارئ فنجان.. محدق في الأشياء..كل الأشياء.. التيجان.. الوجوه.. القلوب.. الأحذية.. العيون.. الأحزان..

يمرّ على تفاصيل موزعة على المسرح.. يمسكها أثناء ثورة احتجاجه..

يمسك كأسا فارغا

ابن سيرين: الكأس الفارغ يعني نهاية العمر.

يمسك كتابا..

ابن سيرين: الكتاب المفتوح، فضاءات حكمة، وكوة نجاة.

يمسك مجموعة مفاتيح

ابن سيرين: المفاتيح زنازين مغلقة.

يمسك حجرا كريما أزرق

ابن سيرين: العين الزرقاء، مرآة الحاسدين.

يمسك زجاجة خمر

ابن سيرين: العناقيد خمر متاح، وعمر مباح

يمسك حبة تفاح

ابن سيرين: التفاح خطيئة ومزاج.

يعيد سرد دلالة كثير من الأشياء، تظهر في الأحلام، وهو من يفسرها.. إلى أن يقف وسط المسرح منهكا، ثم يشير إلى كل ما حوله

ابن سيرين: أحلام الآخرين.. هي تارة توصلنا إلى أحلامنا، ومرات تبعدنا عنها، وأنا في متاهة التأويل حائر.. لكن ماذا لو جاءني الحلم، أو كان رؤيا، وكان لا بدّ لي من تفسير حلمي، هل سأمتلك الشجاعة لتأويله، ومواجهة قدري..

يصمت لحظات.. تتضح عليه الحيرة..

ابن سيرين: يا لثقل الأحلام.. يا لعظمة الرؤى.. لو يبقي الزمن سائلا منسابا، وأنا أبحر فيه، نحو كل عصر، وعهد، نابشا الرؤى، معاينا الأحلام.. لو يبقى هذا.. حتما سأقف حائرا أمام "رؤيا الذبيح".. مأساة الرؤيا حين نفسرها، وتكون النتيجة خنجرا على رقبة الابن.. وهذا ما كان..

يتضح خيال ظل على جدار المسرح.. كهل يقترب من صبي وبيده خنجر.. يقترب منه، استعدادا لذبحه..

ابن سيرين: يا لحيرة إبراهيم في تلك اللحظة، وكان حلمه ابتلاء له، وامتحانا لصبره.. تصدق الأحلام مع الصِدّيقين.. وكان قد فسر الحلم كما رآه.. واليقين دلّه على أن يتحقق الحلم دما واقعا ينز من وريد ابنه..

ينظر الكهل في خيال الظل إلى السماء، ويعيد نظره مرة أخرى إلى ابنه، والسكين في يده..

ابن سيرين: مسؤولية هو الحلم.. رسالة.. علامة.. بشارة.. من فسّره نال شرف فك الحجب ومحاكاة النواميس.. ها أنا أرى اللحظة الأخيرة قبل أن يصل النصل إلى الرقبة..

جاء الصوت..

يلتفت ابن سيرين نحو الأعلى..

صوت: "أصدّقت الرؤيا يا إبراهيم.."..

ابن سيرين: رحمة الرب أوسع.. وأكثر تفسيرا للرؤى.. كان إبراهيم ينتظر التفسير من العليّ، وهذا ما كان.. وجاء من يفتدي الابن بدم آخر، ليكون فداء أبديا، وأضحية حتى نهاية الحياة..

يختفي خيال الظل.. ويبقى ابن سيرين مبحرا بين الأسرة/القبور.. ثم يتجه إلى بساط بسيط من صوف، ملقى في زاوية المسرح.. يترجل من قاربه، ويمشي إليه، وهو يضحك..

ابن سيرين: بين فترة وأخرى، أعود إلى زمني مفسرا لحالي الذي كان.. أنا أيضا حلمت امرأة بي.. يا الله كم فرحت حين جاءتني المرأة تسرد لي حلمها بي...

يتجه ابن سيرين إلى البساط، ويجلس عليه، ويضع أمامه طبقا صغيرا فيه حبات تمر..

ابن سيرين: جاءت المرأة إليّ، وكنت كهلا في آخر العمر آنذاك... قالت أتلو عليك حلمي.. قلت ألا تنتظرين حتى أكمل طعامي؟ قالت: الحلم لا ينتظر.. ورفعتُ يدي عن تمرة أمامي.. قالت نجم يضرب آخر، ويسقط بين يديك.. وكان تأويلي له هو موتي بعد سبع ليال.. ومضت المرأة إلى حال سبيلها، كأنها مبعوث الإله.. وفسرت حلمها على نفسي.. وقضيت سبع ليال في انتظار غيابي.. ومتّ بعدها.. حقا متّ.. بعد موتي بدأت تغريبتي، حيث كان كل من يحلم يستحضرني رغم موتي، يستدعيني من قبري، يسألني، كأني الوحيد الذي عنده صندوق تفسير الرؤى، أنا الذي لم يأتني الحلم، نسيته، وغاب عني.. بل حتى عندما جاء حلم رحيلي، الذي ينبئني بموتي، جاء نكاية بي حلما غائبا، هبط على امرأة مجهولة، بداية آخر أسبوع من نهاية عمري.. هذا كثير.. لا أستطيع احتماله.. وكلما تذكرته تمنيت لو أعود مرة أخرى، وأمضي ما تبقى من عمري حالما.. صانعا لحلمي.. بانيا له بكل أمنياتي التي أشتهيها.. لا عاجزا، صامتا، لا همّ لي سوى قراءة أحلام غيري..

يشير الى مجموعة الأسرة حوله..

ابن سيرين (بغضب): كنت أعيش واقعا كما هو حولي الآن، في تلك الأزمنة التي فيها عشت.. ولم تتغير بعد ذلك.. صارت حالة تتكرر، وكلما عدت إلى زمن عبر تغريبتي الممتدة، في سبيل تفسير الأحلام، أجد الصورة تتكرر.. آلاف الأسرّة، وملايين النيام، كلهم مدفونون أحياء في مقابر الأحلام، في غيبة قهرية عن وهم واقعهم الذي يريدون خلاصا منه..

يصعد إلى تابوته المتحرك.. يتحدث وهو يتحرك بين الأسرة الأخرى..

ابن سيرين: كأنّ غولا مرعبا يقلقهم آناء يقظتهم، فينامون ليهربوا منه، علّ واقعا آخر يطمئنهم خلال حلم يتمنون، فيكون سديما بهيجا جديدا غير قتامة الحال الذي هم عليه من غيب، وترقب مجهول، ولهاث وراء رزق معدوم.. لهاث، وراء لهاث، ولا جدوى، حتى يكون الوصول إلى تخوم الحياة الأخيرة.. كل يوم يلجأون للنوم، يستغيثون بالأحلام علّها تحقق أمنياتهم، علها تغير واقعهم، لكنهم يستسلمون لأضغاثها، ولا تأتيهم ثمارها، فيتيهون في وهم الحلم، مثلما كان تيههم في وهم اليقظة...

يترك ابن سيرين قاربه/ تابوته.. يقف على المسرح، متقمصا شخصية المتعبين في الأرض، كأنه يحمل أثقالا، أو يصعد جبالا.. وتتغير وتيرة تحركه، بين مشي، وركض، وزحف..

ابن سيرين: هي حالة من اللهاث.. في اليقظة، أو في الحلم.. لهاث.. ركض.. قلق.. لهاث.. قفز.. حركة.. تسلق.. تعب.. دوران في كل اتجاه.. ونحو لا اتجاه.. دوران.. دوران.. حتى يكون التعب.. الضعف.. النهاية.. الخاتمة.. ينتهي اليوم.. يكون الزحف إلى السرير.. كأنه المنقذ.. يبدأ لهاث في النوم مرة أخرى وراء الحلم.. ترقب آخر: هل يأتي الحلم؟ هل يكون محملا بما نشتهي؟ أم يصبح رعبا آخر مكملا للهاث اليقظة؟

يستلقي ابن سيرين على أحد الأسرّة.. يغمض عينيه.. يتكلم وهو هادئ، مستلق، ومغمض عينيه..

ابن سيرين: مرة تأتي الأحلام من الأعلى.. تأتي من عالم آخر.. تستقبلها قلوبنا، تكون أرواحنا مضت بعيدا، ووصلت نحو أمكنة مجهولة، ثم تعود محمّلة بتلك الرسائل الأحلام..

يظهر نور شفيف، مريح، يغطي المسرح، وموسيقى هادئة منبئة بأجواء روحانية صافية..

ابن سيرين: ومرة أخرى.. تأتي الأحلام من داخل صناديق أجسادنا.. قلوبنا.. أرواحنا.. أنفسنا.. تأتي انعكاسا لما كان عليه يومنا.. تجسيدا لخريطة واقعنا..

يظهر على المسرح إبهار أنوار متداخلة، فيها القاتم، والصافي، والأسود والأبيض، وبقية الألوان، مع موسيقى تعكس حالة القلق داخل الأرواح، والأجساد، وفي تداعيات الفعل اليومي...

ينتفض ابن سيرين من سريره.. ينهض، متجها إلى قاربه..

ابن سيرين: لن أستسلم.. لا بد من أن أصل حلمي، لا بد من أن أجده، أمتلكه، ثم أفسره، وأُكَفّر عن خطيئة انشغالي كل عمري في تفسير أحلام الآخرين، وأنا غافل عن حلمي.. أريد حلمي.. سأتابع تغريبتي.. أتابع البحث عنه.. لا بد أن أجده.. لا بد..

ينطلق ابن سيرين بقاربه، ويبتعد نحو عمق المسرح، إلى أن يختفي..

تعتيم

كاتب من الأردن

فكرة

مونودراما

ناهض الرمضاني

الشخصية:
أيّ ممثل (أو ممثلة) يتقن الإلقاء والإيماء. يرتدي زيا ملاصقا لجسده بلون داكن، يرتدي بكفيه قفازات وشعره مدفوع للخلف.
الديكور:
المسرح خال إلا من شاشة في الخلف ويفضل ألا تكون الشاشة بلون مغاير لباقي الجدار.
الإكسسوارات:
صندوق خشبي يشبه العربة بطول 4 أقدام تقريبا وارتفاعه 3 أقدام يفتح من الأعلى وله عجلتا دراجة على جانبيه ومقبض للدفع من أحد طرفيه. سيستخدم كعربة أو طاولة مكتب أو أي شيء آخر يحتاجه الممثل. وداخل هذا الصندوق ستوجد جميع الإكسسوارات اليدوية التي سيستخدمها الممثل وسيخرجها ويعيدها إليه تباعا.

يدخل الممثل وهو يدفع بيده العربة الخشبية وبيده الثانية جرس نحاسي ذو مقبض صغير كالذي يستخدم في المزادات.. الممثل يهز الجرس فيصدر أصواتا ناعمة مستمرة. يدور حول العربة ثم يقف مواجها الصالة ويقوم بإسكات الجرس فجأة.
الممثل – أنا.. أنا فكرة.. مجرد فكرة.. لكنني.. لكنني فكرة عظيمة.. فكرة عظيمة للغاية.. فكرة قد تحمل السعادة إلى هذا العالم.. هذا العالم الذي تملؤه الأفكار الحزينة.. لكنني فكرة مبهمة.. فكرة غامضة.. ولا أحد للأسف يستطيع أن يراني الآن.. إذ لا تستطيع الأفكار أن ترى النور بمفردها.. لا يمكنكم أن تروها إلا إذا مرت بمخاضها الصعب. لا بد للأفكار -مهما كانت- لا بد لها أن تولد من خلال ذهن إنسان ما.. أيّ إنسان.. رجلا كان أو امرأة . عجوزا كان أم صبيا.. لا بد من ذهن إنسان ما.. لا بد من هذا المخاض الصعب وإلا.. وإلا فإنني أنا.. أنا وجميع الأفكار العظيمة الأخرى لن نرى النور.. سنبقى حبيسين في الفراغ.. وسيبقى هذا العالم الحزين.. سيبقى غارقا في حزنه. لماذا تتوالد الأفكار التعيسة بالآلاف ولا تجد فكرة سعيدة واحدة فرصة لها للظهور إلا بشق الأنفس! ما إن تولد فكرة سعيدة واحدة حتى تطوقها جيوش الأفكار التعيسة.. تحاط بالشكوك.. والاتهامات.. يرجم حاملوها.. وتحرق الكتب التي تحاول نشرها.. لماذا.. لماذا؟
(الممثل يهز الجرس وسيستخدمه مع حديثه بالتناوب)
"أنا فكرة.. مجرد فكرة.. لكنني فكرة سعيدة.. أنا فكرة سعيدة قد تحملكم بعيدا عن حياتكم الحزينة التي تغمرها الكآبة والقلق والسواد. لو بحثتم عني فستكتشفون أني اقرب إليكم مما تظنون.. لأنني أنا أيضا -ورغم أنفي- أحتاجكم.. أحتاج إلى ذهن إنسان متقد كي أستطيع أن أولد. سأصبح ملكا لكم.. وفي تلك اللحظة.. في تلك اللحظة تماما سأفقد نفسي. سأنتهي.. لن أكون بعدها فكرة.. سأصبح شيئا ما في عالمكم.. عالم الإنسان.. الإنسان الذي يبدو أنه لا يجيد شيئا قدر إجادته تحويل الأفكار السعيدة إلى شقاء.. أين سأجد الباب الذي أخرج منه؟ أين أين أين؟
الممثل يدور بحيرة وهو يعصر دماغه
أووووه.. ما أغبائي! سأذهب إلى الجامعة.. طبعا.. الجامعات.. إنها ملاذ الأفكار. إنهم يدرّسون هناك قصص أسلافي.. تلك الأفكار العظيمة التي غيرت العالم.. سأذهب الى هناك.. الجامعة.. نعم الجامعة.. قد أجد فرصتي.. قد

خالد تكريتي

أولد هناك.
يذهب إلى العربة ويدخل رأسه في الصندوق. الشاشة تعرض صور بنايات ومعاهد كلاسيكية فخمة.. رفوف ضخمة تحمل كتبا ثقيلة. وصورا أخرى مشابهة.
يخرج الممثل من خلف العربة وهو يرتدي قلنسوة جامعية فوق باروكة شعر أشيب وروب أسود على كتفيه وعلى عينيه نظارة طبية مستديرة. يتحرك جيئة وذهابا وتحت إبطه كتاب بني قديم سميك. يقف ويتحدث بصوت متصنع مفتعل مستخدما الضمير نحن.
"أهاااا.. لدينا فكرة.. فكرة جديدة.. لابل هي فكرة عظيمة. أنا سعيد.. إنها فكرة أصيلة.. كيف لم تمر ببال أحد قبلي.. أحد قبلي؟ مستحيييييييل.. لا أحد غيري يمتلك العبقرية التي تمكنه من الوصول إلى فكرة عظيمة كهذه.. لقد عثرنا على فكرة عظيمة.. لنسجلها إذن قبل أن تضيع.. سأدونها وأنقحها وأنشرها وأناقشها.. إنها فكرة جديدة حقا.. فكرة جديدة للغاية.. فكرة جديدة؟ جديدة! لكن.. لكن ألا تتعارض هذه الفكرة الجديدة مع أفكارنا؟ تلك الأفكار التي نقوم بتدريسها! ما المانع ؟ لنفكر جيدا بالموضوع.
(يقف خلف العربة وكأنها طاولة مكتب. يفتح الكتاب القديم ويقلب أوراقه وهو مقطب الجبين)
"لا لا لا.. ما هذا! أيّ جنون! ما الذي كنّا سنفعله؟ هذه الفكرة الجديدة خطيرة حقا. إنها تتناقض مع كل ما قمنا بتدريسه خلال 40 سنة.. إنها.. قد تكون حقا فكرة جيدة لكنّها ستنسف تاريخنا الأكاديمي كله.. ستلغي أمجادنا.. وقد نخسر وظيفتنا.. لا لا.. قد تكون فكرة ممتازة ولكن.. لكن الوقت الآن غير مناسب لأفكار كهذه.. لقد كبرنا.. نحن طاعنون في السن الآن ولن نستطيع أن نحمل على أكتافنا عبء نشر فكرة كهذه. فكرة تناقض كل ما قمنا بتدريسه خلال عقود أربعة. لا.. لا لن نسمح لفكرة كهذه أن ترى النور مادمنا على قيد الحياة.. سنحارب كلّ من يحمل

أفكارا كهذه. لسنا قادرين الآن على احتمال أي تغيير.. لا لا لا.. أيتها الفكرة اللعينة.. ابتعدي عن ذهننا.. ابتعدي.. سنطاردك سنطاردك أينما حللت. وسنهزأ من كل شخص قد تمرّين بذهنه".

الممثل يتحرك بجمود كأنه خشبة.. ينزع الإكسسوارات ويعيدها إلى داخل العربة. يحمل الجرس الصغير ويهزه ببطء فتبدأ عضلات جسده المتخشبة بالاستجابة ويتحرك بمرونة شيئا فشيئا. يدور وهو يقول "لقد أوشك أن يحنّطني. أنا فكرة.. فكرة سعيدة.. لكنّني لا أستطيع أن أولد من ذهن رجل أناني جبان مهما كانت ألقابه العلمية.. سأدور.. سأفتش.. سأبحث عن ذهن شاب مثقد.. سأجد ذهنا جريئا متقدا مستعدا للمجازفة في سبيل الوصول إلى أفكار سعيدة".

(الممثل يذهب خلف العربة. الشاشة تعرض حشودا من الشباب بملابس الهيبيز.. يقومون بتظاهرات احتجاجية غاضبه.. ذقونهم مرسلة يصخبون وهم يصدمون برجال شرطة.. حرائق مختلفة وزجاجات ترمى باتجاه الجمهور.. يظهر الممثل وهو يضع نظارات عصرية وشعره طويل أشعث... يلبس قميصا مشجّرا مفتوحا ويتحدث بحيوية)

"جديد جديد جديد....أووه.. لاشك أننا بحاجة كل يوم إلى شيء جديد.. شيء مختلف.. شيء يقضي على كل هذه الرتابة والجمود.. هذه الرتابة التي دامت قرونا وقرونا.. شيء ينتشلنا من هذه المتاهة... ينتشلني أنا شخصيا من هذا الحزن المخيم علي.. وعلينا جميعا. شيء يخرجنا من هذا الجحيم الذي علقنا فيه".

(الممثل يدخل رأسه في العربة ويصرخ)

"وجدتها".

(يخرج من جوف العربة زجاجة خمر قوي وقدح)

"هناك شيء ما سيتغير . أنا أحس بذلك".

(يصب لنفسه قدحا ويشربه)

"هناك أشياء كثيرة تدور في ذهني.. أشياء كثيرة.. كثيرة.. لن أبقى حبيس الوحدة والألم".

(يسكب لنفسه قدحا ويشربه.. فيبدأ حديثه بالتثاقل)

"أحس أن هناك تغييرا... تغييرا حقيقيا سيحدث.. هذا ممكن.. ممكن..".

(ينهض ويسير ذهابا وإيابا وكأنه يفكر. لكن خطواته ثقيلة بعض الشيء. يعود ويمسك بالزجاجة)

"لا.. أنت لست ما أريد.. أريد فكرة.. فكرة جديدة".

(يدخل رأسه داخل العربة ثم يصرخ ثانية)

"وجدتها".

(يخرج رأسه وينظر إلى الأمام بابتسامة منتصرة وهو يرفع سيكارة ملفوفة يدويا).

" قد تكون هذه.. إنها فكرة عظيمة. أنا لم أعد أحتمل الحزن".

(يشعل السيكارة)

"آهاااا. تمر بذهني صور كثيرة. صور كثيرة.. أفكار... أفكار تتزاحم. إنها أفكار سعيدة تود الخروج.. أفكارا! لا بل هي فكرة.. فكرة رااااائعة.. فكرة جديدة رائعة".

(يدخل رأسه في العربة وهو يقول)

"أين انت أيها القلم..سأدونها بالتأكيد. سأدونها.. ولكن.. لكن كأسا أخرى قد تساعد".

يخرج الزجاجة ثانية. يشرب قدحا وهو يدخن ويتكلم بتلعثم

"أراها.. فكرة رائعة.. أراها.. سأدونها.. سأدونها.. أووووه.. ماذا لو تحققت هذه الفكرة العظيمة.. ستكون حلا لكثير من مشاكل هذه المخلوقات التعيسة التي تهيم في كل مكان على هذه الأرض.. فكرة رائعة.. فكرة أصيلة.. سأدونها الآن.. ولكن.. كأس إضافية لن تضير".

(يسكب قدحا ويشربه)

"أنا.. أنا عبقري كما يبدو. عبقري.. كيف لم تخطر هذه الفكرة ببال أحد.. إنها فكرة قد تغير العالم العالم كله.. العالم ينتظر فكرتي.. سأدونها الآن.. ولكن.. كأس أخرى وسيكارة أخرى.. ثم.. ثم سأدون كل شيء.. سأمسك بها.. سأحولها إلى واقع.. إنا مبدع.. أنا.. أنا...".

تسقط الزجاجة ويسقط رأسه فوق الطاولة ويصدر شخيرا عاليا..

الممثل ينزع النظارة ويدخل الإكسسوارات في العربة يسير مترنحا وهو يحاول التوازن. يهز جرسه وهو يترنح

"لا بد من أن أصحو.. أنا فكرة حقيقية عميقة سعيدة. لكن الأفكار الكبيرة لا يمكنها أن تولد من أذهان مشوشة.. وإذا ما ولدت فستكون ناقصة مرتبكة مشوهة.. ولن يلتفت إليها أحد.. لقد كنت أمام عينيه. أمام عينيه تماما لكنه أغلقهما ونام.. وحينما سيصحو لن يكون في ذهنه إلا الصداع. وسيبحث عن فكرة جديدة تعود به إلى حيث

بدأ. لا.. لن أولد هكذا أبدا. أنا فكرة سعيدة. من الذي يبحث عن السعادة؟ من يشتري السعادة؟ من يشتري؟ يشتري؟ لمَ لا أعرض نفسي على الناس في السوق. إنهم يشترون ويشترون ويشترون.. إنهم يشترون الأشياء فلمَ لا يشترون الأفكار.. ليشتروني دون مقابل.. وسيحصلون على السعادة.. إنهم يبحثون عن أيّ جديد يجلب لهم السعادة.. وسأضع نفسي بين أيديهم".

(الممثل يضع نظارة شمسية فوق جبينه ويرتدي بمعصمه ساعة كبيرة فاخرة وحول عنقه وشاح حريري. يدفع أمامه عربته وكأنها عربة تسوّق داخل أحد المولات.. والمغلفات مكدسة فوقها. يتلفت حوله. الشاشة تعرض رفوفا مليئة بالسلع وتبث إعلانات لعدد آخر من السلع.. صور السلع تتدفق من الشاشة باتجاه الجمهور.. ومعظمها عن هدايا الفالنتاين)

المتسوق "عيد الحب.. موسم مليء بالمفاجآت والسلع الجديدة.. آه.. علبة شوكولاتة.. أنيقة! أهي لذيذة أم أنها علبة أنيقة فحسب؟ ألم أشتر منها علبتين قبل أيام؟ نسيت.. سأتركها. لا أحتاج المزيد من الشوكولاتة.. لا لا.. سآخذها معي. فربما...".

(يتناول علبة أخرى)

" أنيقة.. قد تكون ألذ.. سأجربها ولكن.. مازال هناك أقسام أخرى لم أزرها في هذا السوق. قسم العطور. قسم الـــــ.. لا لن أزور اليوم قسم الساعات والنظارات الشمسية فقد تكدست لديّ وهي باهظة الثمن.. لا أستطيع أن أشتري المزيد. الأقساط تتراكم عليّ.. اللعنة على الأقساط.. لا لن أذهب.. ولكن.. لكن لمَ لا أزور وأشاهد فحسب.. سأزور القسم ولن أشتري شيئا هذا اليوم. سأتفرج.. سأكتفي بالفرجة فحسب.. لن أشتري شيئا..".

(يسير وكأنه يلتقط بنهم سلعا مختلفة. ينظر طويلا إلى العربة)

"العربة امتلأت وجيوبي ستفرغ.. إنني أشتري.. أشتري.. لكن الثقب الأسود في روحي يتسع ويتسع. أريد أن أملأه بالأشياء. لكنه كالنار التي تكبر كلما ألقي فيها المزيد. في عيد الحب الماضي اشتريت الكثير من الهدايا الثمينة. هدية لزوجتي. وثانية لحبيتي. وثالثة لعشيقتي.. زوجتي تصرفت كعشيقة في تلك الليلة ثم ابتعدت عنّي بعد ساعة ونامت. عادت الحياة إلى برودتها ونمت وحيدا. والثقب الأسود يجذبني إلى جوفه. أما حبيبتي فقد بكت لأنها تعلم أن كل هدايا عيد الحب لن تجعلها زوجة لي. وأنا أعلم أنها لو تزوّجتني فسوف تتحول إلى مجرد زوجة مملة.. وربما وقعت في حبّ امرأة أخرى قد تكون زوجتي الحالية.. والثقب الأسود سيسحبني أكثر.. عشيقتي فرحت أو تظاهرت بذلك. قارنت هديتي بساعة ثمينة جديدة كانت ترتديها وخاتم ماسي جديد يبرق في إصبعها. أدركت أنها قد تلقّت هدايا من آخرين .والثقب الأسود يسحبني ويكاد يمزقني.

ثلاث هدايا وثلاث نساء ومازال الثقب الأسود في روحي يسحبني.. يسحب إلى جوفه كل فرحة يمكنها أن تمر في حياتي. أخشى أن أسقط في هذه الهوة.. سأسقط وأسقط وأنا أصرخ بلا صوت. أيّ رعب! هل اشتري سيارة أفخم وأحدث من سيارتي الحديثة الفخمة؟ ثم ماذا! هل ستنقذني علاقة جديدة بامرأة أخرى؟ أنا وحيد.. وحيد حد اللعنة. وكل من حولي وحيد. يعيش معزولا في جزيرته الخاصة. نحن وحدنا رغم أننا نلتقي.. نحن وحدنا رغم أننا نعمل معا.. وحدنا مع أننا نعيش معا.. ننام في سرير واحد.. إلا أننا في الحقيقة وحدنا.. نحن وحيدون.. وحيدون حد اللعنة. وكل منا يسقط في ثقبه الأسود.. يسقط في هوة روحه التي لا قرار لها..

أمّي غاضبة مني رغم كل الهدايا التي أرسلها لها في عيد الأم. إنها تلحّ عليّ دائما لأزورها وهي تعلم تماما أن وقتي لا يسمح بذلك. كيف سأتمكن من سداد كل هذه الفواتير ما لم أعمل وأعمل لفترات إضافية. كيف سأتمكن من شراء كل هذه الأشياء إذا ضيّعت وقتي في زيارة عجوز بعيدة! لا فائدة من أيّ شيء.. ماذا لو تركت ورائي هذه العربة بما تحمل وخرجت راكضا من باب السوق دون أن أشتري شيئا! أخرج خاوي اليدين.. أخرج حرا وأقوم بـــــ .. ما هذا؟ ساعة جميلة.. غالية لكنها.. ما الضير إذا ما اشتريتها.. وهذه ال.. وهذا..".

(الممثل يذهب إلى العربة يخرج وجذعه مغلف بعلبة هدايا تخفي ذراعيه.. يمزق العلبة والغلاف ويقرع جرسه ويحوم)

" أنا فكرة.. وما دمت فكرة فلن يراني.. لن يراني ما لم أكن مغلفا بعلبة ذات ورق براق. كنت طوال الوقت أدور حوله. أضع نفسي فوق الرفوف. فوق فاترينات العرض. أحاول جاهدا التسلل إلى ذهنه كي أحمل إليه السعادة.. بلا فاتورة يسددها. ولكنني دون غلاف براق. لم تقدمني

إليه شركات الدعاية والإعلانات. أنا مجرد وهم. أو خاطر عارض مرّ بذهنه لحظة واحدة واختفى. هو لم يكن تافها هكذا. كان يملك يوما ما ذهنا متقدا وبصيرة حية. وكان قادرا على أن ينتج أفكارا سعيدة. ويتقاسمها مع الجميع. لكنه الآن أسير. ألجمت روحه أغلفة السلع وأعمت عينيه أضواء الإعلانات. لم يعد يستطيع الحركة ولا الرؤية. أصبح أسيرا أجوف الروح.. خسارة.. خسارة كبيرة.. لن أستطيع أن أولد من ذهن أجوف".

(يهز الجرس)

"فكرة.. فكرة سعيدة.. من يشتري فكرة سعيدة.. من الذي يبحث عن فكرة جديدة ليل نهار؟ من الذي يبذل الكثير من أجل الحصول على فكرة؟.. يمسك بالجرس فجأة وقد انتبه..

أهاااااا.. ملوك السوق.. كيف لم يخطر ذلك ببالي؟ بدل أن أقدم نفسي للمشترين كان عليّ أن أذهب للباعة وهم سيقدمونني للمشترين.. لا.. ليس الباعة البسطاء.. سأذهب الى ملوك السوق.. سيتمكنون من اكتشافي وتسويقي.. سيسوقون للناس السعادة بدلا من تلك السلع المتشابهة التافهة.. لأذهب إذن وأعرض نفسي على ملوك السوق.

(الممثل يذهب إلى العربة. والشاشة ستعرض صورا لبورصة.. الوسطاء يشيرون بأيديهم بحماس.. أوراق تتطاير وتغطي الأرض. ثم صور لآلات عد نقود تصدر تكتكة سريعة. والممثل يظهر وهو يرتدي قبعة وخاتما وإكسسوارات توحي بأنه مستثمر ثري)

"أنا.. أنا من يبيع السعادة للناس.. أغمر الأسواق بسلع وبضائع تلبّي حاجات الجميع.. لديّ كل ما يحتاجونه.. وكل ما لا يحتاجونه. وما لا يحتاجونه لديّ أكثر.. وهنا تظهر براعتي وتفوّقي على الآخرين. السر يكمن هنا. في جعلهم يظنون أنهم بحاجة ماسة إلى كل شيء لا يحتاجون إليه. أعطوني شيئا ما.. أي شيء مهما كان تافها أو ضارا حتى، وأنا سأجعلهم ينتظمون في طوابير طويلة ويتزاحمون للحصول عليه.. عطر.. عطر رديء مثلا.. بإمكاني أن أجعل النساء يحلمن به. يرشّونه على أجسادهن وهن يغلقن أنوفهن. وسأجعل الرجال يتغزلون بشذاه وهم لا يجرؤون على أن يقولوا إنه عطر نتن خشية أن يتهموا بقلة الذوق أو بانعدامه. أو بأنهم لا يفهمون روح العصر.. روح العصر.. كلمة سحرية تفتح أمامي كل الأبواب.. سأبيع ملابس مهلهلة ممزقة بأغلى الأثمان. يكفي أن ترتديها نجمة ما ويوقّع على الزيّ مصمم أزياء كنت قد جعلته شهيرا ليتزاحم الجميع على شرائه وارتدائه.. الإعلان. هذه الكلمة السرية السحرية كفيلة بتحويل أيّ شيء إلى أيّ شيء آخر.. الميديا.. كلمة سحرية.. قوة تحوّل أيّ شي حقيقي إلى شيء تافه.. وأيّ شيء تافه الى سلعة لا غنى عنها.. سأملأ الصحف والمجلات والإذاعات والقنوات والفضائيات بالإعلانات عن هذا العطر أو ذاك الثوب. من يستطيع أن يقف بوجه إعصار الميديا؟ من يجرؤ على ذلك؟ سأبيع.. سأبيع.. سأبيع كل شيء وإذا ما قلّ الطلب سأبتدع فكرة. فكرة جديدة أبيع من خلالها كل ما كدسته وما سأكدسه.. سأخترع عيدا للحب لا تكتمل طقوسه إلا بالشراء. سأغمر رفوف المحلات بالحب. قلوب حمراء. بالونات حمراء. إكسسوارات حمراء.. حب حب حب.. لكنه حب له ثمن.. حب له مقابل نقدي سيصب في جيوبي. أحبّوا بعضكم. أحبّوا بعضكم وبرهنوا على ذلك الحب بالشراء. لن تحبوا حقا ما لم تشتروا. وأنا جاهز للبيع.. أروني نقودكم وستحصلون على الحب. سأحوّل عيد الأمومة إلى موسم آخر للشراء. لا تكتمل البنوّة إلا بتقديم الهدايا. سأجعل كل المناسبات تمر من خلال السوق. أنا أجد كل يوم فكرة. فكرة جديدة تحقق لي المزيد من الأرباح. فكرة.. ما هذا!! أحس أن هناك فكرة ما تحوم حولي.. إنها فكرة جديدة.. فكرة حقيقية. فكرة قد تحمل السعادة للعالم كله. قد تحمل السعادة مجانا للناس. فكرة غير قابلة للتحويل إلى سلعة. شيء لا يباع. اللعنة.. سأطارد هذه الفكرة وأقمعها.. أيّ كارثة ستحلّ بي لو ظهرت مثل هذه الأفكار وانتشرت وابتعد الناس عن الشراء. سأسحقك أيتها الفكرة الجديدة. سأسحقك قبل أن تقضي عليّ.. سأسحقك بقوتي.. وبقوة الميديا.. أين الميديا؟ يا ميدياااااااا".

(يمسك قاتلة ذباب بلاستيكية ويدور ويضرب بها الهواء.. يذهب الممثل خلف العربة ويعود مع جرسه وعلى جبينه ضمادة صغيرة)

"نجوت منه بصعوبة. ذلك الحقير. أصابتني ضربة خفيفة واحدة من تلك الـــ تلك الميديا".

(يهز الجرس ببطء وحزن)

فكرة.. فكرة جديدة.. فكرة جديدة سعيدة.. أين أنتم يا من تبحثون عن السعادة.. أين أجد من يحتاج إلى

خالد تكريني

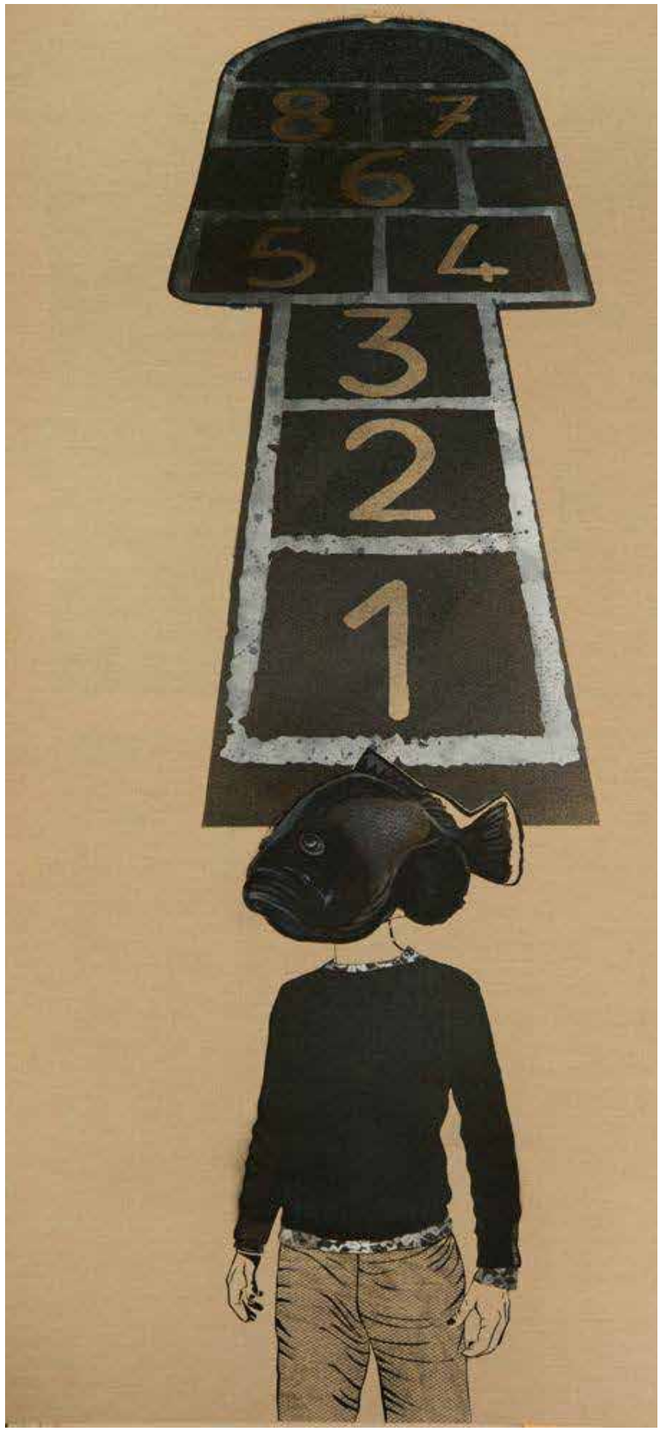

فكرة سعيدة.. أووووه كيف فاتني أن أتذكرهم.. أولئك الذين يموتون بالآلاف في الحروب. من الذي يحتاج السعادة أكثر من إنسان قد يخطفه الموت في أيّ لحظة.. لن أذهب إلى الميادين. سأذهب إلى القادة فهم أقدر على اتخاذ القرارات وأقدر على تنفيذها هم صناع الحروب.. وصناع السلام. سأملأ أذهانهم بي.. سأملأ العالم بالسعادة.

(الممثل يتجه إلى العربة ويضيف إلى زيّه نياشين تغطي صدره.. يرتدي قبعة عسكرية ويعلّق في رقبته منظار ميدان وبين شفتيه سيكار غليظ قصير. الشاشة تعرض لقطات من حروب مختلفة. طائرات تصب النابالم على غابات خضراء.. مدن تتعرض للقصف ليلا.. أطفال عراة يركضون خائفين بكل اتجاه.. سيتكلم بلهجة آمرة وبعبارات سريعة الإيقاع. (يشير بيده إلى النياشين ويتحدث بفخر)

" من يحمل وساما أو اثنين من هذه الأوسمة فهو مجرد مقاتل أحمق جازف بحياته ليفعل شيئا تافها ربما ندم عليه ما تبقى له من أيام حياته. لكنه أحمق محظوظ لأن هناك عددا أكبر من المقاتلين الحمقى الذين جازفوا وكان نصيبهم الموت دون أن يتمتعوا ولو لدقيقة واحدة بوسام ما. أما من يحمل مثلي كل هذا العدد من الأوسمة فهو بالتأكيد ليس مقاتلا ولم تطأ قدماه ساحة حرب. وإلا لما امتد به العمر ليحصل على هذا كله. إن من يحمل هذه النياشين أعظم بكثير من كل المقاتلين.. إنه صانع حرب.

صناع الحروب ليسوا بحاجة أبدا إلى الشجاعة. إنهم لا يحتاجون إلا إلى الأفكار.. أفكار تغذي أوهام الناس بعظمة كاذبة. أفكار تنفخ الغرور القاتل. تغذّي إحساس الناس بتفوقهم وتفاهة من حولهم.. أفكار ترعب الناس وتصوّر لهم أعداء وهميين يتربصون بهم في كل زاوية أو ركن.. أعداء سينقضّون عليهم من كل اتجاه. رعب.. رعب هائل يدفع الناس لتصديق أيّ شيء. ولفعل أيّ شيء. أفكار تغذي الأطماع بثروات الآخرين. أفكار تضخها جامعات ومؤسسات ومراكز بحوث. أفكار تبثها فضائيات وتلوكها صحف وتعيدها مجلات.. أفكار أفكار أفكار. كم يحتاج صانع الحروب إلى أفكار. لا أحد يحصل على نياشين كهذه بسهولة. لا بد أن يكون مفكرا ليصبح صانع حرب. والحرب تحتاج إلى ذريعة ما مهما كانت واهية. كذبة.. كذبة حتى لو كانت مفضوحة. والكذب أيضا يتطلب أفكارا. نحن نتعب. نفكر كثيرا لخلق الحرب. نخطط

لتهيئتها. ولبدئها. ثم تأتي المرحلة الأصعب إشعالها ثم المحافظة على نيرانها لأطول فترة ممكنة. ما قيمة حرب تمتد لأيام فقط! كم كلفتها وما نتائجها؟ إنها حروب خطط لها أناس فاشلون. أناس لا يستحقون أيّ أوسمة. صانع الحرب الحقيقي يخطط لحرب طاحنة تستمر لشهور.. لأعوام.. وذلك يتطلب دوما المزيد من الأفكار. والمزيد من الأسلحة الحديثة التي يتطلب تصنيعها وتطويرها أفكارا لا تنتهي. الحرب فكرة.. فكرة تدور في ذهن رجل واحد ويدفع ثمنها الملايين. الحرب فكرة عظيمة. فكرة لولاها لامتلأ العالم بمليارات التافهين ولما وجد العظماء لهم مكانا للاسترخاء ولتساوى الجميع في فرص البقاء.. تساوى من ينتج الأفكار ومن يستهلكها. الحرب هي المطهّر الأعظم. تفرز وتحدد من هو الأصلح للبقاء ولحكم هذا العالم. إنها لا تقضي على الأعداء فحسب بل تنظف العالم من الضعفاء والأغبياء من كل الأطراف. ولا يبقى بعدها إلا الأقوى.. ولا يستحق الحياة إلا الأقوى. لكن السعادة.. سعادتي ليست بلا ثمن. إنها تتطلب منّي الحذر الشديد.. تتطلب الدقة.. الدقة والمتابعة لكل تلك الأفكار الخبيثة التي تدعو إلى المحبة.. السلام.. الأفكار التي تدين الحروب وتحاول إخمادها.. وتجريم قادة الحروب ومشعليها.. يجب عليّ أن أقمع تلك الأفكار مهما بدت ضعيفة تافهة. سأقبرها فور ولادتها وأعاقب كل من ينادي بها. أسخر منه.. أشكك بوطنيته.. أسحقه وأجعله أمثولة للآخرين. سأفعل كل ما بوسعي للقضاء على حاملي تلك الأفكار. إنّ هذا يتطلب مني جهدا لا يقل عن الجهد الذي أبذله لإشعال حرب.. وقد تمرست بهذا الأمر وأصبحت ذا خبرة ودراية. أصبحت أتحسس مثل هذه الأفكار قبل أن تولد.. أستشعر وجودها.. وأنا الآن.. الآن وهنا.. في هذه اللحظة تماما أحسّ بوجود فكرة كهذه تحوم حولي في هذا المكان.. فكرة خطيرة.. خطيرة. لكنني مستعد مستعد دائما".

(يتراجع بهدوء نحو العربة. يدس يده فيها ويخرج مسدسا ويبدأ بإطلاق الرصاص في كل اتجاه وهو يصرخ)

"سأقتلك أيتها الفكرة اللعينة. الموت لك.. الموت. الموت.. المووووووت".

(الممثل يختفي خلف العربة يخرج وقد ربط جسده ورأسه بضمادات ملطخة يتكلم بتثاقل وحزن)

" لقد حاول قتلي. حاول قتلي لكنني فكرة.. والأفكار لا تموت بسهولة..

(يذهب إلى العربة ويخرج منها وترا يشده بين يديه ويحركه بأحد أصابعه فيصدر نغمة)

"وتر. هذا الوتر كان في يوم ما مثلي. فكرة. فكرة ولدت من ذهن إنسان.. حاول ذلك الإنسان أن ينقل السعادة التي أحسّ بها إلى الآخرين. ربط الوتر حول إطار خشبي ثم ربط وترا ثانيا وثالثا فأصبحت لديه هذه الآلة الرائعة. يسحب قيثارة خشبية صغيرة من العربة ويمرر أصابعه عليها فتصدر نغما شجيا. يعزف بحنان وهو يحتضن القيثارة كأنها طفل يرفع القيثارة إلى الأعلى.. هذه الفكرة.. أعني هذه القيثارة صدحت فأمتعت القلوب. ذاب مع نغماتها العشاق. كركرت لأجلها ضحكات الأطفال.. أدخلت نغماتها السعادة إلى قلوب العجائز في أكواخهن، والعبيد العائدين من مزارعهم بعد يوم عمل شاق.. فكرة سعيدة ولكن الأفكار الشريرة سرعان ما أحاطتها وقطعت أوتار القيثارة وأعادت ربطها حول عصا مرنة".

(يسحب قوسا خشبيا ويربط حوله أحد الأوتار فيصبح لديه قوس ويمسك بيده الأخرى سهما ويثبته بالقوس ويطلقه نحو الجانب)

"تحولت القيثارة إلى قوس وسهم. تحول الجمال إلى.. إلى آلة قتل..

وبفكرة سعيدة أخرى تحولت خشبة طافية إلى زورق.. زورق يقصّر المسافات بين الأحباب. وينقل الطعام إلى أناس يفتك بهم الجوع. زورق يسير فوق الأمواج بخفة وهو يحمل الأمل.. لكن الأفكار الشريرة سرعان ما حولت الزورق إلى سفينة ضخمة يجذف فيها العبيد ليل نهار. سفينة تحمل الجيوش لتغزو أراض آمنة بعيدة. ولتجلب المزيد من العبيد الذين سيجذفون في سفن أخرى تبحث عن أراض أخرى.. الأفكار الشريرة كالشياطين.. تتناسل بسرعة هائلة وتمسخنا نحن الأفكار السعيدة وتحوّلنا إلى عبيد لها.. لكنني سأقاوم ولن أذوي ولن أتحول ولن أستسلم.. الأفكار تقاوم.. تقاوم الموت.. بفضل فكرة.. فكرة سعيدة دفعت ذهنا ما للتفكير بوسيلة لخزن الأفكار. نقش فكرته على حجر.. واخترع الكتابة.. الكتابة.. تلك الفكرة العظيمة التي حمت الأفكار العظيمة الأخرى من الزوال. الكتابة.. تلك الفكرة التي ستجعلنا نحلم دائما بوجود فرصة أخرى.. فرصة أخرى.. فرصة أخيرة ربما.. والآن.. يبدو أنه لا مهرب لي.. لديّ محاولة أخيرة.. قد

تكون هي الأخطر.. لكنني.. لكنني سأحاول. أنا مضطر للذهاب إلى هناك.. إلى وحول الخنادق حيث يقيم الموت حفلا داميا في كل لحظة.. قد يكون مكانا خطيرا للغاية.. لكنني سأحاول..

إظلام.

الشاشة تعرض لقطات قديمة بالأبيض والأسود لجنود في الخنادق.. ولقطات من الحرب العالمية الأولى.

(الأنوار تطفأ.. أصوات معركة مفاجئة.. رشقات رصاص وومبض متقطع ودوي مدافع.. تخفت الأصوات تدريجيا.. صفير قذيفة وحيدة.. يعقبها صوت انفجار ثم يضاء معها المسرح بحزمة ضوء من الأعلى تتسلط على الممثل وهو يقف بحذر على رِجْل واحدة.. يرتدي ملابس جندي رثة.. ومعطفا عسكريًا طويلا وخوذة معدنية كبيرة.. يحمل بيديه بندقية طويلة.. يحاول أن يضع رجله الثانية على الأرض.. يتردد ثم يرفعها ثانية..

الظلام.. الظلام يلف كل شيء.. أنا وسط حقل ألغام.. من كانوا معي اختفوا جميعا.. هل واصلوا طريقهم وتركوني وحيدا.. هل تقطعت أجسادهم؟ لا أدري؟ الظلام يلف كل شيء.. وأنا.. أنا أقف وحيدا وسط حقل ألغام. لي على هذه الأرض موطئ قدم واحدة فقط. أخاف أن أمدّ قدمي الثانية فتنفجر الأرض بي وأتحول إلى أشلاء قبل أن أخطو خطوة.. الثغرة الآمنة التي كنا قد فتحناها في الحقل ضاعت معالمها الآن.. أين الطريق؟ أين أضع قدمي؟ أنا أقف هنا وسط الظلام.. والموت يكمن تحت قدمي. ألغام ألغام ألغام.. ألغام للدبابات، وأخرى للسيارات.. ألغام صغيرة مدفونة وأخرى قافزة فتاكة.. ألغام في كل مكان.. أريد بعض الضوء لألتمس طريقي.. لكنني أخشى النور.. وأتمنى أن يستمر الظلام.. فحينما ستشرق الشمس.. سأكون واقفا أمام عدو يجهل أنني لا أريد إيذاءه.. وصديق يجهل أنني لست عدوه.. سأكون هدفا للطرفين.. لم أعد أريد مواصلة هذه الحرب التي لم أعلم لحد الآن أسبابها.. ما الذي أفعله هنا؟ من الذي وضعني في هذا المكان ولماذا.. هل أصرخ طالبا النجدة؟ لا.. لا بل سأكتم أنفاسي.. أحس أن الطرفين يتربصان بي.. أقف هنا وحيدا مثل فزاعة.. لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة...أخاف من الظلام.. وأخاف من النور.. أخاف من أعدائي وأخاف من أصدقائي.. يمد قدمه ثانية وقبل أن تلامس الأرض يرفعها.. لا لا.. سأحاول أن أثبت في مكاني قدر ما أستطيع.. لمَ حدث كل هذا.. لطالما فكّرت وفكّرت ولم أتوصل إلى جواب.. لكن! ما هذا؟.. ذهني يقدح الآن.. الأفكار تتزاحم في رأسي رغم أني خائف منهك. ذهني يعمل بسرعة وهناك ضجيج يحاول أن يصدع جدران جمجمتي.. أفكار.. بل فكرة.. يا إلهي.. إنها فكرة عظيمة حقا.. إنها الحل.. الحل الذي قد ينقذنا من هذه التعاسة.. لكن.. كيف سأوصل هذه الفكرة إلى الآخرين؟ أنا لا أستطيع حتى أن أدوّنها.. فكرة عظيمة.. لكن.. لكن الشمس توشك أن تشرق.. وجسدي سيكون هدفا واضحا لكلا الطرفين.. ليتني كنت أستطيع الانبطاح وكتابة هذه الفكرة على أيّ مكان أو أيّ شيء.. الشمس سوف تشرق.. الشعاع سينبثق.. وأنا مصلوب كفزاعة رثة.. هدف سهل يتسلى به كلا الطرفين.. هل أجازف وأضع قدمي الأخرى على الأرض.. وإذا ما كانت الخطوة الأولى آمنة فهل سأستطيع أن أسير خطوة ثانية وثالثة وسط حقل الموت هذا؟ هل أصرخ بأعلى صوتي طالبا النجدة من أحد؟ شعاع الشمس يوشك أن يظهر.. والفكرة تتجلى وتتضح أكثر وأكثر.. ما الذي سيحدث لي بعد دقائق؟ هل سأتمكن من النجاة ونشر هذه الفكرة على الناس.. الشعاع سيظهر.. وأنا.. أنا لن أبقى واقفا هنا.. سأسير في حقل الألغام.. فالفكرة التي لديّ تستحق أن أجازف بكل شيء من أجلها.. قد أصل.. قد أصل.. وقد أنقلها للآخرين.. سأحاول". يضع قدمه الثانية على الأرض ويسير خطوة واحدة.. ظلام مفاجئ.. أصوات بنادق ورصاص ينهمر وقذائف تنطلق.. الدخان يغطي الخشبة وسط أشعة متقاطعة ترافق أصوات الأسلحة التي انطلقت فجأة..

صوت الجندي خائفا متألما "الألغام تملأ الأرض.. والقذائف تملأ السماء.. لكنني.. لكنني سأواصل طرقي.. سأحاول.. سأحاول.. سأحاول..".

(يقول كلماته الأخيرة مع رنين الجرس الصغير والأنوار تتوقف بالتدريج).

كاتب من العراق

جريمة قتل في شارع المطاعم

نص مسرحي

وجدي الأهدل

الشخصيات:

عبد اللطيف محمد أحمد (مهندس ديكور)
مرشد عنتر (مثقف)
ياسر عثمان (صحفي)
جميلة (صبية حسناء)
وسواس (مندوب البنك)
حريب (ادل المقهى)
مدير البنك (مجرد صوت مؤذ للأذن)
رواد المقهى (كائنات عابرة في زحام الحياة)

الفصل الأول

يمين المسرح المقهى. يسار المسرح مصطبة. وفي الطرف الأقصى القريب جداً من مقاعد المتفرجين يوجد مرحاض أبيض اللون (كرسي إفرنجي). الخلفية تمثل فتحات مطاعم، ونرى لافتات فيها رسوم لأطباق شهية، وكتابات تبين هوية كل مطعم: (المطعم العصري، مطعم النور للأكلات الشعبية، مطعم عصيد، مطعم الشرق).
تتدلّى من السقف كرة صفراء اللون ذات حجم هائل، معلقة بسلسلة حديدية مطلية بالذهب، وتتحرك من اليسار إلى اليمين وبالعكس طيلة الوقت. الكرة الصفراء مكتوب عليها "البنك" وإشارة $. يرفع الستار على صوت دويّ آلة عملاقة (صوت محركات الكرة المعلقة). نرى ثلاثة رجال جالسين في المقهى يلغطون بكلام غير واضح. يدخل نادل نحيل كعود القصب (حُريب) وبيده حامل حديدي فيه ثلاثة أكواب زجاجية، يضعها أمامهم. يدخل شيبة يرتدي ثوباً ومعطفاً وعمامة، وهو يتعكز على عصاه، نسمعه يحوقل ويستغفر. يرفع يده ويلقي عليهم السلام.

مرشد: السلام عليكم.

الرجال الثلاثة: وعليكم الأسهم ورحمة الله وبركاته.

مرشد يجلس متصدراً للخطابة.

حريب: (يرفع صوته) واحد شاي للأستاذ مرشد.

مرشد: (يمسح على لحيته) قل له بلا سكر.

حريب: بلا سكر.

مرشد: ويستحسن أن يكون الشاي بلا شاي.

حريب: والشاي بلا شاي.

يدخل رجل أنيق الملبس، يرتدي بذلة بنية كاملة، وربطة عنق حمراء، وقميصاً أبيض، ويعتمر طاقية بنية. يمشي بخطوات واثقة نشيطة ورأسه مرفوع، يتّجه صوب المصطبة ويجلس واضعاً رجلاً على رجل.

حريب: (يلاحظ حضور الرجل الأنيق بطرف عينه، ينادي بصوت منغم وممطوط) واحد حليب سكر دبل.

النادل حريب يخرج لإحضار الطلبين. تدخل فتاة حسناء سنها دون العشرين عاماً، ترتدي فستاناً بَهَتث ألوانه من كثرة الغسيل، وتظهر عليه بقع زيت وطلاء. نراها تقصد المقهى للتسول.

جميلة: (تمد يدها وتتضرع) تصدقوا عليّ يا أهل الخير.. أنا يتيمة.. عند الله ما يضيع عمل الخير.. الله يقضي حاجتكم.. الله يسهل لكم أموركم.. ارحموني ولو حتى بعشرة ريالات.

تمر على الأول فيعطيها قطعة معدنية.

جميلة: الله يرزقك.. الله يعوض عليك ما خرج من يدك.

تمر على الثاني فيعطيها ورقة من فئة الخمسين ريالاً.

صفوان داحول

جميلة: (ترفع يديها بالدعاء) الله يرزقك ويفتح لك أبواب السماء.. الله يجعل رزقك جاري لا ينقطع.

تمر على الثالث فيتلكأ، يبحث في جيوبه كلها ولا يجد شيئاً.

مرشد: (يعلق ساخراً) اعذريه يا بنتي هذا صحفي من حق الجن فأكيد أنه مُخبي الريالات في الصفحة الداخلية (يشير بإصبعه إلى خصر الصحفي).

جميلة: (تبتعد عن الصحفي وهي تشعر بالخجل) شكراً لا أريد شيئاً من بريد القراء!

مرشد: أخبرونا يا جماعة ما هي آخر أخبار البورصة وكم وصل سعر الذهب؟

الصحفي: الأخبار لا تسرّ.. أسعار الأسهم انخفضت ثلاثين في المئة في بورصة طوكيو (رواد المقهى يصدرون أصوات استنكار وفزع).

يدخل النادل حريب وهو يحمل كوبين معلمين بلطخة طلاء خضراء، يضع كوب الشاي أمام مرشد، ثم يتجه صوب المصطبة ويضع كوب الحليب جوار الرجل الأنيق، ثم ينصرف. جميلة تسمع مرشد يسأل عن أسعار الذهب فتظنه ثرياً، تقترب منه وتمد يدها إليه.

جميلة: يا حاج الله يطول في عمرك ساعدني باليسير .. أنا أصرف على إخوتي.

مرشد: اسمعي يا ابنتي، أنا مثقف.. هل تعرفين معنى كلمة مثقف؟

جميلة: (تشبك أصابعها وكأنها في حضرة مدرّس) لا.

مرشد: المثقف لا يعطي صدقات، لأنه ضد الاتكال على الآخرين.. وأنت تريدين أن تتكلي عليّ وهذا خطأ شنيع لا أقبله.. ولكن هذا لا يعني أنني لن أعطيك أيّ شيء.. بل على العكس، أنا سأعطيك أهمّ شيء، سأعطيك ما هو أثمن من المال.. سأعطيك العلم والمعرفة.. اسأليني أيّ سؤال وأنا سأعطيك الجواب مجاناً، لوجه الله تعالى.

جميلة: (تنفرج أساريرها أخيراً) صحيح يا حاج.

مرشد: (بتضايق) أستاذ يا ابنتي أستاذ.

جميلة: طيب يا أستاذ مرشد .. قل لي (تشير بيدها) هذه الكرة الصفراء المعلقة في الهواء ما هي؟

مرشد: أولاً هذه ليست كرة صفراء بل كرة ذهبية.. ثانياً هذه الكرة الذهبية اسمها البنك.

جميلة: وماذا يوجد في داخلها؟

مرشد: فلوس.. فلوس الدنيا والآخرة!

جميلة: صحيح .. إذاً وداعاً للتسول.. سأذهب إلى هناك وأقف تحتها وهي ستمطر عليّ نقوداً!

جميلة تسحب قصعة نحاسية، وتهرول تحت الكرة الصفراء، ترفع القصعة فوق رأسها منتظرة تساقط المال. تظل تروح وتجيء متابعة الكرة الصفراء دون توقف. نسمع صوتاً له صدى، أجش، يشبه خوار البقرة.

صوت مدير البنك: يا وسواس.. يا وسواس.. يا وسواس.

يدخل وسواس مرتدياً بذلة مقلمة وربطة عنق وردية فاقعة اللون، وبيده حقيبة سوداء اللون. يقف ويوجه الخطاب إلى الكرة الصفراء.

وسواس: نعم يا سيدي.. أنا في خدمتك.

صوت مدير البنك: من ذاك الجالس على المصطبة بشموخ وكبرياء؟

تنطفئ الأضواء ويعمّ الظلام، باستثناء بقعة ضوء مُركزة على الرجل الأنيق.

وسواس: هذا عبد اللطيف: محمد أحمد.. مهندس ديكور.

صوت مدير البنك: (تتغير لهجته وترق) آه.. فنان!

وسواس: نعم سيدي.. إنه فنان.

صوت مدير البنك: شيء جميل أن يوجد فنان في شارع المطاعم.

وسواس: في شارع المطاعم يا سيدي تجد كل أصناف البشر.

بقعة الضوء تنتقل من مهندس الديكور إلى الصحفي الذي ينصت باهتمام لكلام مجاوره.

صوت مدير البنك: حقاً أنت رجل حكيم يا وسواس .. وهذا من يكون؟

وسواس: هذا ياسر عثمان.. صحفي.

تنتقل بقعة الضوء إلى مرشد الذي يثرثر بكلام لا نسمعه.

صوت مدير البنك: (يصدر همهمة) وهذا من؟

وسواس: هذا مرشد عنتر. مثقف.

تنتقل بقعة الضوء إلى جميلة.

صوت مدير البنك: ومن هذه الحمقاء التي تجري تحتي؟

وسواس: هذه شحاذة اسمها جميلة.. يقال إنها تشحذ في شارع المطاعم منذ ولادتها.

تنتقل بقعة الضوء إلى الكرة الصفراء.

صوت مدير البنك: وأنا يا وسواس.. هل تعرف ماذا أكون؟

وسواس: (يرتبك) أأ.. أنت مدير البنك يا سيدي.

صوت مدير البنك: وماذا أيضاً؟

وسواس: (يمسح جبينه المتعرق) أأ.. والله لا أعرف.

صوت مدير البنك: تفوه عليك! ألا ترى أن هذا الشارع فيه الصحفي والمثقف والفنان ولا ينقصه إلا شيء واحد.. العالم.

وسواس: (يبتسم بخوف) آه فهمت يا سيدي.. أنت إذن عالم.. مخترع!

صوت مدير البنك: أحسنت يا وسواس.. في الحقيقة أنا اخترعت نظرية علمية هامة جداً للبشرية.. وأريد تطبيقها أولاً على ذاك الفنان.

وسواس: ولماذا اخترت الفنان بالذات؟

صوت مدير البنك: لأن الفنان هو أفضل عناصر المجتمع.

وسواس: فهمت يا سيدي.

صوت مدير البنك: أريدك يا وسواس أن تساعدني في تطبيق نظريتي العلمية.. أريدك أن تذهب إلى المثقف وتطلب منه أن يأتي إليّ ويحدثني بكل صغيرة وكبيرة عن الفنان.. ولكي ينطلق لسانه، ادفع له عشرين ألف ريال مقدماً، ومثلها بعد خروجه من عندنا.

وسواس: حاضر يا سيدي.

إنارة الأضواء كاملة. وسواس يتجه صوب المقهى، يختار كرسياً مجاوراً للمثقف ويجلس عليه. جميلة تتعب من الغدو والرواح وراء الكرة الصفراء، تجثو على ركبتيها، تجفف عرقها بكم فستانها، ثم تنهض بتثاقل وتجلس على المصطبة والقصعة بين يديها.

عبد اللطيف: لماذا أرهقت نفسك بالجري وراء تلك الكرة؟

جميلة: قالوا لي إنها محشوة بالمال، فقلت لنفسي أقف تحتها لعلي أحصل على شيء منه.

عبد اللطيف: (يضحك) الذي قال لك هذا الكلام هو شخص مغفل.. ألا تلاحظين أنها منفوخة؟

جميلة: نعم.

عبد اللطيف: إنها منفوخة بسبب الهواء لا المال.

جميلة: (ترمي بالقصعة بعيداً) كلامك صحيح.. لقد خدعوني.. شكراً لك لأنك أرحتني من الجري وراء تلك الكرة القبيحة.

عبد اللطيف: (يدخن سيجارة) أنا سأطلب فطوراً.. هل تفطرين معي؟

جميلة: (تنظر إلى رثاثة ملابسها) لا أدري.. ربما من غير اللائق أن أشاركك فطورك.

عبد اللطيف: ما هذا الكلام يا جميلة.. الناس كلهم متساوون فإياك أن تظني نفسك أقل درجة منهم.

جميلة: (تبتسم) طيب سأفطر معك.

عبد اللطيف: (يرفع صوته) يا حريب.. نفرين فاصوليا.

صوت حريب: واصل.

عبد اللطيف وجميلة يواصلان الكلام بصوت غير مسموع.

وسواس: (يخاطب المثقف) ماذا قلت يا أستاذ مرشد.. هل ستدلي بشهادتك؟

مرشد: أببب .. بكل سرور.

وسواس يخرج من حقيبته رزمة نقود ويدسها في جيب معطف مرشد.

وسواس: خذ.. هذه الدفعة الأولى، وعند عودتك ستحصل على عشرين ألف ريال أخرى.. والآن هيا بنا إلى البنك.

وسواس ومرشد يتجهان صوب مقدمة المسرح.

وسواس: (يرفع غطاء المرحاض) تفضل بالجلوس يا أستاذ مرشد.

مرشد: (يجلس على المرحاض مواجهاً الجمهور وهو يتلفت محرجاً) أشكرك.

وسواس: عليك بالانتظار هنا حتى يفرغ السيد مدير البنك من مشاغله (يخرج).

مرشد: حاضر.

حريب يدخل وهو يردد إحدى أغنيات الفنان أيوب طارش، حاملاً بيد طبق الفاصوليا، وباليد الأخرى سلة الخبز. يضع السلة والطبق على المصطبة ثم ينصرف مدندناً بأغنيته الشجية. عبد اللطيف: وجميلة يأكلان وهما يقهقهان من السعادة.

إظلام تام.

صوت مدير البنك: أحم .. هل أنت في وضع لائق لكي أتكلم معك؟

بقعة ضوء تسقط على مرشد.

مرشد: يتلفت في كل الاتجاهات بحثاً عن مصدر الصوت) نعم.

صوت مدير البنك: أنت المثقف؟

مرشد: ينتبه للكرة الصفراء، يقف ويروح يطاردها وبصره للأعلى، أنا هو.. إنني أفضل مثقف في طول البلاد وعرضها.

صوت مدير البنك: هل صحيح أنك تأخذ أموالاً من ذوي الجاه لتغض بصرك عن مساوئهم؟

مرشد: كذب.. أعدائي الصهاينة عملاء السي آي إيه هم الذين يشيعون هذه الافتراءات.

صوت مدير البنك: هل تعرف عبد اللطيف: محمد أحمد؟

مرشد: عبد اللطيف: .. عبد اللطيف: .. آه أعرفه.

صوت مدير البنك: ممتاز.. أريدك أن تكلمني بكل المعلومات التي تعرفها عن هذا الشخص.

مرشد: هل تربطك به علاقة قرابة؟

صوت مدير البنك: (بحدة) هذا ليس من شأنك.. عليك أن تنفذ ما أطلبه منك دون أسئلة.

مرشد: (ينكّس رأسه) حاضر.

سوف يبذل مرشد جهداً جسدياً خارقاً للتعبير بملامح وجهه وحركات جسمه عن معنى الكلمات التي يتلفظ بها. وسوف تصاحبه موسيقى مناسبة.

مرشد: (يشهق مستجمعاً قواه) ما أعرفه أنه موظف في إحدى الوزارات لا.. لست صديقه.. لكن المقهى كما تعرف يجمع الإنس والجن، هو يتواجد في المقهى يومياً لشرب الشاي بالحليب. يحضر جلالته منذ الصباح الباكر، ويبقى في شارع المطاعم يرتع هنا وهناك كالجدي التائه حتى يحين موعد إغلاق المحلات في الساعة العاشرة ليلاً. يُفطر بثلاث أو أربع حبات خمير مع كوب شاي بالحليب، ويتغدّى في ساعة متأخرة، بعد أن تغلق المطابخ، يتسلل إلى مطعم يملكه أحد معارفه ممن ينتمون إلى نفس منطقته ويأكل البقايا.. وأما كيف يدبر وجبة العشاء فهذا أمر لا أعرفه، لأنني أعود إلى بيتي قبل حلول الظلام.. يقال إنه مهندس ديكور، ولكنه من وجهة نظري يشبه أخطبوطاً عملاقاً زحف إلى عالمنا من بالوعة مجاري متصلة بالبحر دون أن يلاحظه أحد.. يبدو أنه درس في الخارج.. إنه من أولئك النفر المتفرنجين الذين انبهروا بالبلد الأجنبي الذي درسوا فيه، وتأثروا بنمط جديد من الحياة المنفلتة، فلما عادوا لليمن فشلوا في التأقلم مع المجتمع وعاداته وتقاليده، فإذا هم معلقون في الهواء، مقتلعين من جذورهم، غير قادرين على الاندماج.. يفصلهم عن محيطهم غشاء رقيق.. مكوناته إحساس مفرط بالذات، واستعلاء على الآخرين، وغرور مجنح يبرز في اهتزاز الرأس، وتكبر مقرون بجنون عظمة خفي، وعدم تنازل يتمثل في العبوس الأبدي، والجلوس في المقهى وكأنه العبقري محط أنظار الجميع، وتوهمه أنه شخصية شهيرة يُفترض منه الترفع عن مخاطبة الغوغاء.. بل إنه ينغمس في اعتبار نفسه شخصاً مشهوراً، فتجده يبالغ في التخفي وحجب شخصه المعروف، لكيلا يزعجه المعجبون المفترضون بحضرته، مقلداً في حركاته

الموزونة وتصرفاته المحسوبة كبار المشاهير في العالم!
من صبح ربّي يخرج وقد شرب الخمر البلدي الرخيص، فتراه جالساً في المقهى وتحته الجريدة الرسمية، وهو يبرر فعلته بحرصه على بقاء مقعدة بنطلونه نظيفة.. ثم يصحو من سكرته بالتدريج كلما تقدم النهار.. نعم.. إنه يشتم النظام بانتظام، وهو يفتتح يومه بشتائم نارية، ويظل طوال اليوم في مزاج عكر، نزق، عدواني، ويعتقد أن الجميع يتقصّدون إهانته والتقليل من شأنه.. عندما تستمع إليه، تكتشف أنه يحمل في نفسه ضغينة على الناجحين، يظل يهذي في الصبح والمساء بكلام تشمّ منه المقت والكراهية لأصحاب الثروة والشهرة.. وهو صاحب نبرة عنصرية، وينفث نفثات شخص عذّبه الفشل، وأخرجته عقدة النقص عن طوره.. لم يتمالك أعصابه حين رأى فناناً موهوباً يحظى بتقدير المجتمع واحترامه، فراح يتنقص منه مُعرضاً بأصوله الطبقية.. عندي حدس أن في داخله عنفاً مكبوتاً، حلم بدمار العالم وصيرورته خراباً مقفرا.. إذا لاحظ أحداً في المقهى يتكلم ويجذب إليه الأنظار، فإنه يشعر بالغيرة والحسد، فيضع رجلاً على رجل، وينظر في الاتجاه الآخر قائلاً «خذ الحكمة من أفواه التيوس»! إنه موهوم، يخال نفسه رجلاً مهماً جداً.. وهو يتصرف مع الناس على هذا الأساس.. لذلك ليس من عادته رد التحية، أو الرد على الذين يخاطبونه، فهو يسمح لنفسه بممارسة أحد الامتيازات المقصورة على الملوك: عدم التخاطب مع الأشخاص الأقل مكانة.. يمشي ورأسه مرفوع إلى عنان السماء، وفي مرات نادرة كان ينزل رأسه من عليائه ليثرثر مع أحد معارفه.. لا يضحك ولا يبتسم، مقطّب الجبين، ملامحه منقبضة متجهمة، وعيناه تبعثان رسالة مشاكسة لكل من يراه.. يحيط نفسه بالغموض، وهالة من الهيبة الزائفة، لأنه لا يتبسط في الحديث، ولا تنفرج أساريره، ولا يرفع صوته، فكلامه هامس، وكأنه يُسر بأشياء خطيرة، لا يريد للمخبرين أن ينقلوها عنه.. يُعطي نفسه أهمية مصدرها هلوسة لا واعية، ويُضخم ذاته.. حركة عينيه من خلف النظارة الشمسية التي لا تفارق وجهه تارة يميناً وتارة يساراً، في مراقبة لا تكل لحركات جلسائه ومن منهم ينصت لأقواله، تدل على المقلب الكبير الذي أخذه في نفسه! لقد رأيته مرة يخترق جماعة كبيرة من المراجعين المتجمعين حول الوزير، ووقف قبالته بقوة وثبات رافعاً رأسه حتى كاد أنفه يلمس أنف الوزير وكأنه من علية القوم، فتهيبه الأخير وظنه شخصية ذات مركز مرموق، وحين سمع منه، تبين أنه يطلب مساعدة مالية، فأمر له الوزير بمبلغ معقول، فإذا به يجادل جدالاً شديداً ويرفع صوته على الوزير، ففقد معاليه أعصابه وراح يصرخ هو الآخر، فتدخل الحرس وأبعدوه بالقوة وبطريقة غير لائقة.. فرحل وهو يدمدم وقد ازداد عبوسه، وصار جسده يتلوى بحركات عصبية لا إرادية.. آخر مرة رأيته؟ اليوم في المقهى قبل ثلاث ساعات تقريبا.. كان يلبس بذلة كحلية مخططة بخطوط رأسية.. يمكنك أن تقول إنها قبيحة جداً عندما تتأملها عن قرب وتكتشف أنها غير مكوية أيضاً.. أتذكر أنه رآني أدنو من المقهى فوقف ومشى باتجاهي متعمداً الاحتكاك بي.. صدمني بقوة في كتفي.. كان يريد استفزازي والتنفيس عن عقده النفسية في مشاجرة معي.. ولكنني تجاهلته وتابعت طريقي وكأنه غير موجود. (يلاحظ مرشد أن الكرة الصفراء قد توقفت في مكانها) هل هذا يكفي؟

صوت مدير البنك: نعم .. اذهب إلى المحاسب لاستلام بقية أتعابك.

مرشد: شكراً (يجري خارجاً).

إظلام تام.

صوت مدير البنك: بعد مرور يومين فقط، شعرت بالحاجة إلى شخص آخر يُدلي بشهادته عن عبد اللطيف: محمد أحمد.. ففكرت في تلك الفتاة المتسولة.. أظن أن اسمها جميلة.. وكلفت مندوبي وسواس بتدبر الأمر.

تظهر بقعة ضوء مسلطة على جميلة التي ستسرد حكايتها وهي ترقص، وعليها ملابس مناسبة للرقص، وسوف يصاحب رقصها مقطوعات موسيقية. ستتكلم بنبرة هادئة ليس فيها أثر للانفعال.

جميلة: مهندس الديكور عبد اللطيف: هو الوحيد بين الذكور الذي التفت إليّ وغازلني.. كان يرسل قبلاته إلى ثغري والشارع يعج بالناس، وكأنه لا يقيم وزناً لأحد منهم.. كنت أنظر إليه بصمت، ويحمرّ خدايّ من الحياء.. أصبحت عندما أراه يثب قلبي بين ضلوعي، وأشعر بحرارة تلفحني في صدري وكأني تنور يتوقد.. أقف كل صباح في ناصية شارع المطاعم أتسول من السابلة، ويجلس هو على دكته المفضلة، وتحته قطعة كرتون نظيفة.. وعندما يكون مزاجه رائقاً، فإنه يحتويني بنظراته الدافئة، ويتحرش بي بقبلاته الطائرة، ويسمعني

صفوان داحول

كلمات عذبة تدوّخني، لم أسمعها من أيّ مخلوق قبله قط.. عمري سبعة عشر عاماً، كثيراً ما أتخيل نفسي زوجة له، وأغرق في أحلام يقظة مرحة عن حياتنا العائلية.. من شدة تعلقي به، حفظت عن ظهر قلب عاداته اليومية، وأطباقه المفضلة، وماركة السجائر التي يدخنها، وصرت أعرف الأشياء التي تفرحه، أو بالعكس التي تكدره.. ربما حتى والدته لم تفهمه كما فهمته أنا.. إن طبقه المفضل في وجبة الإفطار هو الفول مع اللحم المفروم، وهو يتناوله تحديداً في مطعم صغير محجوب عن الأنظار، يقع في نهاية شارع المطاعم من الجهة المسدودة بجدار.. ويتغدّى في مطعم مجاور وجبة سلتة دسمة.. وأما وجبة العشاء فلا أدري ماذا يأكل.. أخي الكبير يحملني بسيارته إلى البيت قبل غروب الشمس بساعة على الأقل، والسبب أنّني في مرة تأخرت إلى الليل فهاجمتني عصابة من صبيان الشوارع ونهبوني حصيلة ذلك اليوم، فلقيت ملء جلدي ضرباً في البيت.. عمره أقل من الخمسين، متوسط القامة، ووزنه مضبوط، فهو يساوي تقريباً طوله.. بشرته سمراء لوحتها الشمس، وذقنه وشاربه حليقان.. عيناه صغيرتان غائرتان في محجريهما، وشعره أسود يخلو من الشيب.. لا.. لا أظنه يصبغ شعره.. يضع على عينيه نظارة شمسية لونها ضارب إلى الكستنائي، تضفي عليه سمتاً جليلاً، وتمنحه مهابة في القلوب.. يهوى الظهور ببذلة كاملة، إذ لم أره ولا مرة واحدة طيلة سنوات بمظهر غير رسمي.. يعني ليس من الممكن أن تراه بالقميص فقط، أو في ثوب أو مئزر.. هو يفضل البذل الفضية أو ذات اللون الأخضر بدرجاته المختلفة.. وربطات العنق الذهبية أو الحمراء.. الشيء الوحيد الذي يخدش مظهره الأنيق، لبسه أحياناً شبشباً لا يناسب البذلة الكاملة، ولكنه غالباً ما يرتدي جزمة تناسب لون البذلة.. وأما أكثر شيء يجذبني إليه، فهو حرصه الدائم على تغطية رأسه بقبعات ذات ألوان رائعة، تظهر معدنه الأصيل كفنان عظيم.. إنه رجل متواضع رغم أنه فيلسوف مثقف.. لقد سمعته مرة يتكلم مع شبان صغار بهذه الحكمة "إذا توقفت الأرض عن دورانها المجنون حول نفسها، فإن الإنسان سيكف عن الجري وراء لقمة عيشه ويرتاح".. وعندما اندلعت الحرب بين لبنان وإسرائيل، رأيته يظهر في وقت مبكر جداً، وذقنه غير محلوقة، ووجهه مقلوب كامد اللون، وقد ألصق راديو ترانزستور بأذنه والآريال مرفوع إلى الأعلى.. كان يتابع أخبار الحرب على لبنان أولاً بأول، وكأنه مواطن لبناني مقيم في اليمن! في تلك الأيام نسيني تماماً، وصار يُمضي اليوم بطوله في استماع الأخبار، وهو يمشي ذهاباً وإياباً كذئب محبوس في قفص.. آه كم تعجبني مشيته! إنها مشية تميزه عن كافة الرجال.. مشية أريحية متقاربة الخطوات، فيها موسيقى.. إيقاع راقص.. رأسه يتماوج في حركة متسقة مع جسده، وكأنه لا يمشي بقدميه فقط، بل بجسمه كله.. أليست هذه المشية المختالة تشبه مشية الأسود الفخورة بنفسها! مرة ناولني ورقة خضراء لا أعرف من أيّ شجرة انتزعها، وطلب مني أن أتأملها بدقة، وأن أخبره ماذا تشبه.. شغلت عقلي بأقصى طاقته، وفكرت ماذا تشبه، فلم أصل إلى أيّ جواب.. تركني أفكر، وذهب ليشرب شايه العدني، ارتشفه بمهل وهو يختلس النظر إليّ من حين إلى آخر.. فكرت أن أقول له إن ورقة الشجرة تشبه قلب الإنسان.. ارتحت لهذه الفكرة وشعّ محيّاي بالفرح، وافترضت أن هذا هو الجواب الذي سيقربني منه أكثر.. حين أنهى كأسه، وقف ورماني بنظرة استفهامية، فلما حزر من ابتسامتي أنني توصلت إلى الجواب، اقترب مني وأشار بيده مستطلعاً جوابي، فلما سمع كلامي رفع حاجبيه وحك أنفه، ورد عليّ بأن تشبيهي خاطئ.. فقلت له "ما هو الجواب الصحيح؟" أمسك بيدي وشرح بسبابته

قائلاً "ورقة الشجرة هذه تشبه أحلامك عن الرجال!". ثم ابتعد عنّي وهو يقهقه من أعماق قلبه، وأما أنا فقد ارتعش بدني، وكاد يغمى عليّ من الموقف المخجل الذي وضعني فيه.. آه يا له من رجل ساحر! (تخرج).

إظلام تام.

صوت مدير البنك: بعد أسبوع واحد وليس أكثر، أحسست برغبة فتاكة في معرفة المزيد من الأخبار عن عبد اللطيف: محمد أحمد.. فكرت في انتزاع المعلومات التي أريدها من فم عبد اللطيف: نفسه ولكن بطريقة غير مباشرة.. وبناءً على أوامري دفع مندوبي وسواس مبلغاً محترماً من المال لذاك الصحفي التافه الذي يضيع وقته في الجلوس على المقاهي، فقام بإجراء حوار صحفي مع عبد اللطيف: محمد أحمد.

بقعة ضوء تسقط على الصحفي الذي بيده مسجلة، وعبد اللطيف: الواقف بجواره.

الصحفي: اليوم أعزائي القراء نسلط الضوء على واحد من أعظم مهندسي الديكور في وطننا الغالي، إنه المهندس عبد اللطيف: محمد أحمد، فليتفضل بالحديث عن نفسه (يُقرّب المسجلة من فم عبد اللطيف:).

إنارة أضواء المسرح كلها. أرواح بملابس خضراء ترفرف حول عبد اللطيف: وترقص.

عبد اللطيف: (يتحرك في المسرح والصحفي يلاحقه بالمسجلة) اسمي عبد اللطيف: محمد أحمد، من مواليد 1958، نشأت يتيماً في بيت جدي، وعندما بلغت العاشرة من عمري أخذني عمّي معه إلى كينيا، وبعد أشهر قليلة توفّي عمي، وطردتني زوجة عمي إلى الشارع.. و كان من حسن طالعي أن أسرة لبنانية مارونية تبنتني وعاملتني كواحد من أبنائها، حيث عرفت الحياة على حقيقتها، ولقيت تربية أسرية راقية جداً لدرجة لا تتصورها.. عوّضت ما فاتني من التعليم، ودرست في مدارس فرنسية، وتعلمت الرسم والعزف على البيانو والرقص، وأتقنت الفرنسية والإنكليزية والأسبانية. كنا نقضي الإجازة الصيفية في بيروت، وعندما تفجرت الحرب الأهلية عام 1975، أصبحنا نقضي الإجازة الصيفية كل عام في بلد أوروبي مختلف. ثراء أسرتي اللبنانية سمح لي أن أزور العالم كله. لقد عبرت المحيط الأطلسي عشر مرات، وتجولت في أميركا الشمالية والجنوبية وعرفتها بلداً بلداً، وأما تشيلي فأعرفها وأعرف شوارع سانتياغو كما أعرف كفّي هذه، لأنني عشت هناك سنتين ونصفا في رعاية شقيقة والدي اللبناني بالتبني. هناك حاولت دراسة الهندسة الإنشائية، ولكنها لم تعجبني، فغادرت سانتياغو وتوجهت إلى باريس لدراسة فن الديكور. عشت سبعة عشر عاماً مع عائلتي اللبنانية، ذقت خلالها كل متع العالم، وحصلت على كل ما تتخيله من ملذات.. كان المال يجري في يدي كشلال لا يتوقف.. (الأرواح تتوقف عن الرقص وتتجمد في مكانها) عندما مات والدي بالتبنّي، قررت عائلتي اللبنانية الهجرة نهائياً إلى أوروبا، فانفصلت عنها، وعملت في مجال المقاولات، وبسرعة فرضت اسمي في السوق، وكسبت ثروة.. تزوّجت مرتين، الأولى كانت فرنسية، ملكة جمال مدينة نيس، ولم أستمر معها سوى سنة واحدة.. وأما الثانية فكانت كينية مولدة، وقد عاشت معي ثلاث سنوات ثم طلقتها، ولم أرزق بأطفال من أيّ منهما. شاء القدر أن تحدث لي مشكلة لم تكن في حسباني، دخلت بسببها السجن، ثم تم ترحيلي من كينيا إلى هذا الشارع في لمح البصر.. كان ذلك في بداية التسعينات. لم أستسلم لليأس، وحاولت النهوض من كبوتي، فوظفت الأموال التي عدت بها من كينيا في أعمال المقاولات، وتمكنت من الفوز بأهم المناقصات التي كان يعلن عنها البنك آنذاك. وشاءت الظروف المعاكسة أن أتعب نفسياً في تلك الفترة (الأرواح الخضراء تخرج وهي تتلفت فزعة) وكانت لي مستحقات مالية تقدر بحوالي ثمانمئة ألف دولار لدى البنك، لم أتمكن فيما بعد من استردادها.. ساءت حالتي النفسية أكثر مع انفجار الحرب الأهلية عام 1994 التي حطمت أعصابي تحطيماً، وأصبت بمرض اتصال الخلايا، إنه مرض خبيث نادر والعلم لا يعرف عنه أيّ شيء تقريباً.. وعندما أصبت به أمست خلايا عقلي ترسل ذبذبات في الفضاء، وتحمل معها كل شيء أفكر فيه.. وهم بأجهزتهم الخاصة يلتقطونها، وبهذه الطريقة يتجسّسون عليّ ويعرقلون أيّ شيء أريد إنجازه.. ثم يوجّهون أفكارهم الشريرة إلى خلاياي لتدميري وتحويلي إلى مجرم ينفذ أطروحاتهم القذرة. هم يفعلون معي هذا لأنّني رفضت أن أكون تابعاً لهم، رفضت أن أنفّذ أوامرهم، هم يريدون الخلاص مني بأيّ طريقة. سبعة عشر عاماً مرت وأنا أعاني من هذه الحالة المرضية.. لقد قطعوا عنّي كل سبل العيش الكريم، وحاربوني في كل مكان أذهب إليه للحصول على عمل، حتى الزبائن الذين يطلبونني

في أعمال الديكور، يأتي مندوب منهم ليحذرهم من التعامل معي، بدعوى أنني مختل عقلياً.. ومع ذلك أنا ما زلت متمالكاً لنفسي ولقواي العقلية، ووضعي ما زال تحت السيطرة. هم سفلة الكون وفضلاته العفنة.. وأنا أتحداك أن تجد واحداً منهم قد جمع ماله بعرق جبينه.. أتحداك أن تجد واحداً منهم قد عاش بشرف.. تأكد أنني لست الوحيد في هذه البلاد الذي ضاعت حقوقه المالية.. أنا لا أتكلم عن مشكلتي الشخصية.. أنا أتكلم عن مشكلة يعاني منها كل الناس.. كل واحد من هؤلاء البشر المساكين الذين تراهم تائهين هنا لهم حقوق مالية ضائعة.. أليس لكل واحد من هؤلاء المخنوقين بالفقر نصيب من إيرادات النفط؟ مشكلتي أنني حامل لهموم الناس جميعاً.. ولذلك لا يتركونني أنام.. يبعثون برسائلهم إلى خلاياي طيلة الليل.. وبالكاد أنام ليلة واحدة فقط في الأسبوع. القهر والظلم والإجرام كانت أشياء أسمع عنها ولا أعرفها، كانت بالنسبة إليّ مجرد كلمات موجودة في القواميس، أو حاضرة في الأفلام السينمائية، لكن منذ عودتي إلى هذا الشارع وجدتها متجسدة في الواقع، تلمسها في كل شبر من الأرض.. فأيّ انحطاط أكثر من هذا؟ السفلة المجرمون حولوا البلاد إلى مزبلة بلا قاع، وسوق لبيع كل شيء.

(يخرج غاضباً).

الصحفي يدير ظهره للجمهور.

إظلام تام.

ستار

الفصل الثاني

عبد اللطيف: يجلس وحيداً في المقهى، يرتشف الحليب من كأس زجاجية مطلية باللون الأخضر. يدخل وسواس حاملاً حقيبته السوداء ويجلس بجوار عبد اللطيف:.

وسواس: يا مباشر (يشير لعامل المقهى) واحد حليب (يخاطب عبد اللطيف بابتسامة واسعة) أنت عبد اللطيف: محمد أحمد؟

عبد اللطيف:: (ينظر إليه ملياً) نعم.. أي خدمة؟

وسواس: (يخرج من حقيبته صحيفة، يفردها ويشير إلى إحدى الصفحات) لقد قرأت المقابلة الصحفية التي أجريت معك، لقد نشروها في صفحة كاملة، إنها مقابلة رائعة.

عبد اللطيف:: أشكرك.

وسواس: يشرفني أن أعرفك بنفسي.. أنا مندوب البنك.

عبد اللطيف:: (مصعوقاً من المفاجأة) ماذا..

وسواس: أبشرك.. لقد قرأ مدير البنك مقابلتك الصحفية واتخذ قراراً بحل مشكلة حقوقك المالية لدى البنك.

عبد اللطيف: ينظر إلى وسواس من فوق إلى تحت بازدراء، يحمل كأسه ويمشي بضع خطوات راغباً في الانصراف من المقهى. يدخل حريب حاملاً كأس الحليب. وسواس يقفز من مكانه ويقطع الطريق على عبد اللطيف:، يمد له ببطاقة ذهبية.

وسواس: لحظة من فضلك يا سيد عبد اللطيف:.. خذ هذه بطاقتي المهنية التي تثبت صفتي القانونية كمندوب للبنك.

حريب يتبع وسواس محاولاً العثور على فرصة لينالوه كأس الحليب.

عبد اللطيف:: (يقرأ البطاقة بتمعن ثم يعيدها لصاحبها، يتكلم بصوت أجش مُتوعد) ومتى سأستلم مستحقاتي المالية عندكم؟

وسواس: ستستلم نقودك بعد تنفيذك للشرط.

عبد اللطيف:: أي شرط؟

وسواس يتلفت، يكتشف وجود حريب خلفه، يعطيه نقوداً ويشير عليه بالانصراف، حريب يتلكأ ويرهف سمعه.

وسواس: نحن نشترط عليك ارتكاب جريمة ما.. جريمة واحدة فقط لتصير إرهابياً، وبعد ذلك يمكنك المجيء إلى البنك لاستلام الثمانمئة ألف دولار.

عبد اللطيف:: ما هذا الكلام.. هل أنت عاقل أم مجنون؟

يخرج المندوب من حقيبته مظروفاً أسود، يفرغ محتوياته ويستعرضها.

وسواس: انظر يا سيد عبد اللطيف:.. هذا شيك بثمانمئة ألف دولار يُدفع لحامله، سوف يُسلم إليك عقب تنفيذك لشرطنا.. وهذه قائمة تحتوي سبع عشرة جريمة مقترحة من جانبنا، وعليك اختيار واحدة منها.

يبعد مهندس الديكور النظارة الشمسية عن عينيه ويبحلق بكل روحه في القائمة الزرقاء، ويقرؤها في سره. عدد من رواد المقهى يتجمهرون حولهما، وكذلك جميلة أيضاً. سحنة عبد اللطيف: تنقلب وكأن أحدهم قد دلق عليها زيتاً حاراً، وجهه يحمرّ احمراراً شديداً، وجسده كله يرتجف رجفاً عصبياً يدل على غضبه البالغ . تنقلب أمعاء

وسواس من الخوف عندما يقف عبد اللطيف: كالمارد ممزقاً الورقة الزرقاء ويفتتها فوق رأسه.

عبد اللطيف:: (يصرخ بجنون) أتريد أن تحوّلني إلى إرهابي.. لعنة الله عليك وعلى كل بنوك العالم.

رواد المقهى وجميلة يتضامنون مع عبد اللطيف: وتنطلق حناجرهم بالصفير وصيحات الاستنكار، فيتحول شارع المطاعم في لحظة إلى بركان يدمدم بغضب. ينسحب وسواس بخطوات عجلى متعرجة، وهو يحمي وجهه بحقيبته.. يتجه صوب المرحاض، يجلس عليه وهو يبكي.

إظلام تام.

صوت مدير البنك: ما الذي يحدث في هذا العالم.. كيف يجرؤون على إهانة مندوبي.. هل فقد هؤلاء الغوغاء عقولهم.. أقسم أن أنتقم.

صوت رعد وريح عاصفة. أضواء المسرح تومض كالبرق. يخرج وسواس ورواد المقهى. تهدأ العاصفة الرعدية، إنارة أضواء المسرح. عبد اللطيف: يجلس وحيداً على طاولة المقهى وأمامه كوب حليب، وبين يديه راديو يحرك مؤشره بحثاً عن محطة إذاعية. وسواس يدخل متنكراً في هيئة مجنون، يهذي بكلام غير مفهوم، ويقوم بحركات عصبية تشنجية يتصنع بها ضياع عقله. عبد اللطيف: يراقبه فترة من الوقت، ثم يعاود الاهتمام بالراديو. فجأة يقترب وسواس من طاولة عبد اللطيف:، يختطف الكأس ويدلق محتوياته في وجه عبد اللطيف:.

عبد اللطيف: (يهبّ واقفاً ماسحاً وجهه من الحليب الساخن) يا حيوان!

وسواس يضحك. عبد اللطيف: يهجم على وسواس ويضربه بكل قوته. صوت إنذار سيارة شرطة، شرطيان يدخلان ويلقيان القبض على عبد اللطيف:. وسواس يغافلهم ويخرج قارورة فيها سائل أحمر، يسكبها على رأسه.

وسواس: أنقذوني يا ناس.. هذا المجرم كسر جمجمتي.. آآآآه.

الشرطيان يجرجران عبد اللطيف: بالقوة (يخرجون).

وسواس يستلقي على الأرض متماوتاً. صوت إنذار سيارة الشرطة وهي تبتعد.

إظلام تام.

فاصل موسيقي حزين، أضواء رمادية. يدخل من جهة اليمين رجل يرتدي ملابس بيضاء، كأنه ملاك، يضع على وجهه قناعاً نورانياً، وبيده سيف ودرع. يدخل من جهة اليسار رجل يرتدي ملابس حمراء، وله ذيل أحمر، كأنه شيطان، ويضع على وجهه قناعاً بشعاً مخيفاً، وبيده سيف ودرع. الرجلان يتقاتلان بسيفيهما قتالاً عنيفاً جداً. الرجل الأحمر يقتل الرجل الأبيض، فيخر الأخير على الأرض صريعاً.

إظلام تام.

تتوقف الموسيقى. في هذه الأثناء يتم تبديل المصطبة بشبك حديدي. إنارة أضواء المسرح.

عبد اللطيف: يروح ويجيء داخل الزنزانة كأسد أسير. تطرأ تغييرات على شكله، لقد تحدب ظهره، وابيضّ شعره، ونمت لحيته. يدخل وسواس متأبطاً حقيبته السوداء، يقترب من الزنزانة بخطوات مُختالة.

وسواس: كيف وجدت السجن يا عبد اللطيف:؟ (لا يتلقى رداً) يبدو أن بقاءك سبعة عشر شهراً في زنزانة واحدة مع القتلة واللصوص وهاتكي الأعراض قد غيّر مظهرك كثيراً.. لقد صرت جلداً على عظم، والشيب غزا رأسك، وظهرك تقوس كالعجائز.. لقد زاد عمرك عشرين عاماً في شهور قليلة.. وشبح الموت يحلق بين عينيك كذبابة عنيدة! (يمسك بربطة عنقه الوردية ويستخدمها كمروحة) بالمناسبة لقد قمنا بإحراق ملفك.. وهذا يعني احتمالين.. الأول أننا نستطيع إخراجك من هنا بمكالمة تليفونية، والثاني أننا نستطيع سجنك هنا إلى آخر أيامك.. لأنك سوف تعتبر في نظر القانون مجرماً بلا جريمة.

تمر دقيقة صمت بالنسبة لعبد اللطيف: ووسواس، كأنهما يقفان حداداً على روح ميت.

عبد اللطيف: (يستيقظ من شروده وينطق أخيراً) يوماً ما ستظهر الحقيقة.

وسواس: (يضحك حتى يتطاير اللعاب من فمه) الحقيقة.. يا لك من ساذج.. يا صاحبي الحقيقة تساوي ما يُدفع فيها.. وبما أننا نحن الذين ندفع المال فإنه من حقنا أن نحصل على الحقيقة التي نرغب بها.. لا بد أن تفهم أن الحقيقة وثيقة الصلة بالجيب.. وبما أن جيبك فارغ وجيبي أنا ملآن فهذا يعني أن الحقيقة ليست في جيبك بل في جيبي!

عبد اللطيف: (يتكلم ببطء) أريد أن أعرف.. ما هي الجريمة التي ارتكبتها في حق مديرك؟

وسواس: جريمتك أنك لم ترتكب أيّ جريمة على الإطلاق!

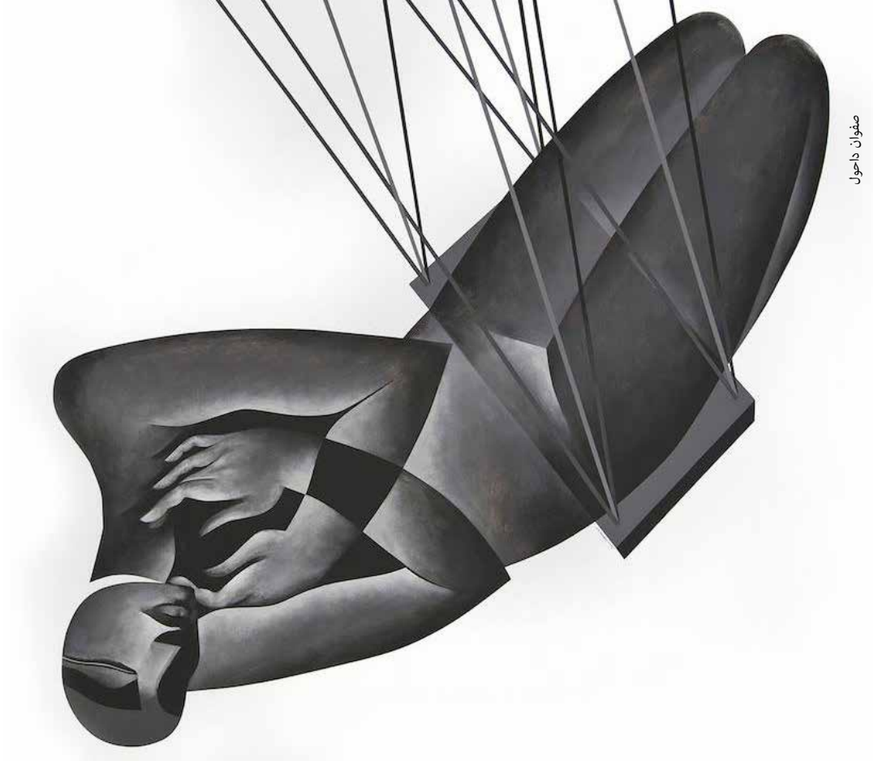

صفوان داحول

عبد اللطيف:: ولماذا يُصرّ مديرك على تحويلي إلى إرهابي؟

وسواس: لأنه يرغب بشدة في أن تنال حقوقك.. أن تأخذ الثمانمئة ألف دولار.. ولكن بشرط.. أن تثبت جدارتك.

عبد اللطيف: أيّ جدارة.. هل تسمي تلطيخ يديّ بدم الأبرياء جدارة؟!

وسواس: مديري فيلسوف من طراز فريد.. اخترع نظرية أخلاقية جديدة.. وأنت أحد النماذج التي يشتغل عليها.

عبد اللطيف:: أنا؟

وسواس: نعم.. النظرية تقول باختصار أن على الإنسان أن يسلك سلوكاً إجرامياً معيناً لكي ينال حقوقه المادية والمعنوية في المجتمع.. كما تفعل الحيوانات المفترسة في الغابة.. وكمكافأة لسجله الإجرامي فإنه يصير بالضرورة مواطناً صالحاً!

عبد اللطيف:: هذا يعني أن المواطن الأصلح هو الأكثر إجراماً؟

وسواس: بالضبط.

عبد اللطيف:: وإذا رفض إنسان هذه النظرية جملة وتفصيلا وأصر أن يبقى بريئاً؟

وسواس: في هذه الحالة سيعتبر هذا الإنسان مواطناً غير صالح، وسيصنف بالضرورة كمجرم ارتكب أسوأ الجرائم في حق المجتمع.. ألا وهي أنه لم يمتلك الشجاعة الكافية لارتكاب أيّ جريمة.

عبد اللطيف:: نظرية مديرك الأخلاقية معقدة جداً.

وسواس: بالعكس إنها سهلة جداً جداً.. لو أنك تتكرم بالموافقة حينئذٍ ستراها كما أراها أنا.

يصمت عبد اللطيف: ويغرق في تفكير عميق.

عبد اللطيف: (يتكلم بصوت مختلج) هل لديك سجائر؟

وسواس يخرج من جيبه علبة سجائر، يأخذ واحدة لنفسه ويشعلها بقداحة، ثم يسحب واحدة أخرى ويشعلها من مؤخرة سيجارته، ويناولها لعبد اللطيف: من ثقوب الشبك الحديدي. عبد اللطيف: يتنشّق الدخان بلذة عامرة، ويتأوه من شدة النشوة.

عبد اللطيف: لو سمحت ناولني القائمة الزرقاء.

إظلام تام. أصوات عواء ذئاب.. أضواء حمراء وبنفسجية. عبد اللطيف: يخرج من الزنزانة، وسواس يناوله بندقية كلاشينكوف ويلبسه القناع الشيطاني. رواد المقهى جالسون حول الطاولات، وجميلة تدور تشحذ منهم. حريب بيده إسفنجة ينظف إحدى الطاولات. عبد اللطيف: يقترب من المقهى، يصوب البندقية، ويفتح النار عليهم جميعاً. صوت طلقات نارية تصم الآذان. رواد المقهى وجميلة وحريب يسقطون قتلى على الأرض. أصوات صرخات وبكاء. عبد اللطيف: ينسحب عقب قيامه بجريمته، ويذهب للجلوس على المرحاض متوكئاً على البندقية وكأنه بطل. وسواس يصفق بحرارة شديدة.

ستار

كاتب من اليمن

نوستالجيا

مونودراما

صالح زمانان

الفكرة:
رجل عربي، ضائع في أزمات الزمان والمكان العربي. ومتورط بفكرة الوجود والعدم. يحمل مرض النوستالجيا الذي يجعله في حالة حنين دائمة وعميقة لماضيه البعيد، الواقعي حيناً، والخيالي في حين آخر.

الشخصية:
رجل في منتصف العمر، أعرج، نصف رأسه ولحيته شيب، يلبس لباساً غريباً وبالياً، يشبه لباس سبعينات القرن العشرين، لكن ألوانه بهيجة رغم رثّتها.

عموم المسرح إظلام تام.

يدخل صوت المخرج: يا ولدي هذا ما ينفع.. روح نادي الممثل، تأخرنا، صار لنا ساعة ننتظره.

يرن هاتفه، ثم يرد:

هلا، هاه، قلت لكم لا عاد تدقون وقت البروفات. (.....) خلاص، أرسلوا أيّ مصيبة على الواتس آب، وبجيبها وأنا راجع، باي.

الله من كل هالقرف!

يا ولدي أش تسوي هنا؟ روح نادي الممثل.

يا صوتيات.. صوتيات وينك؟

بعد ذلك تعمل الشاشة في منتصف المسرح

•مشهد شاشة بمنتصف المسرح: الممثل خارج فناء المسرح، يناديه أحدهم، ويتجه للمسرح، حتى يلتقي المخرج، يعاتبه على التأخير وهو يعتذر، يراجع الممثل النص قليلاً، ثم يصعد على الخشبة ويبدأ في الأداء.. ولمّا يقول أول كلمة "المأساة". يختفي، يختفي تماما من الوجود، تبحث عنه الكاميرا، تتلفت، تبحث، وفجأة تجده في الصفوف الأخيرة للمسرح، مندهشاً من الأمر. ثم تنطفئ الشاشة (تشويش).

•تعود الشاشة للعمل بمنتصف المسرح: يدخل الممثل من خارج فناء المسرح، يناديه المخرج، يعاتبه على التأخير وهو يعتذر، يراجع الممثل النص قليلاً، ثم يصعد على الخشبة ويبدأ في الأداء.. ولما يقول أول كلمة "المأساة". يختفي، يختفي تماماً.. ثم تنطفئ الشاشة. (تصبح سوداء، ويتم إخفاء/ إخراج الشاشة من المسرح، تحت وقع الظلام والموسيقى).

إضاءة بيضاء تبدأ باهتة في منتصف المسرح، وتشتد، حيث هنالك كتلة من "الكراتين" على شكل بيضة، وتحت وطأة الموسيقى المتصاعدة، يخرج منها الممثل، وكأنه طير يخرج من بيضته إلى الوجود، وبعد أن يخرج كاملاً، يتقدم قليلاً وهو يتوقع أنه سيختفي بعد أن يتكلم.

يبدأ يقول متردداً "المأساة.." وهو ينتظر الاختفاء. لكنه لا يختفي. يتحسس جسده، ويعيدها "المأساة"، ثم يصرخ بها "المأأأأأأساة".

بعدها يبتسم قليلاً، ويقول للجمهور:

الممثل: هل.. هل ما زلتُ موجوداً؟

هل تشاهدونني.

عامر الوهيبي

(ينظر إلى المخرج في الكنترول، ويقول له وهو يلوّح.)

الممثل: هل تراني. هيييييييه هييه، هل ترى؟

رائع أيها العبقري. أنا لم....بح. (يجسد بيده الاختفاء).

الممثل: لقد كنتُ أعوّلُ على هذه اللعبةِ المخيفة.. والجميلةِ.

أعني أن تكون، ثم... لا تكون. هههههه.

لكن أليس هذا الأمرُ على كلِّ حال. أن نكونَ، ثم فجأة لا نكون.

أوه.. تذكرت..

المأساة..

لا أحدَ يحبُّ هذه الكلمة،

لا أحدَ يريدُ أن يعرفَ عن الأمرِ شيئاً..

ليس ثمةَ تسليةٌ، وحدَها بعضُ الحلوقِ تردد..

المأساةُ.. هيَ الطريقُ الشاقُ إلى الحكمة!

ما نفعُ الحكمةِ، الوجودُ طريقٌ شاق، لم أسمعْ بحكمةٍ صارتْ شجرةً، ولا رغيفا، لم أسمعْ بحكيم..

بلى.. المأساةُ بدأتْ حين وُلِدْنَا

وتجلّتْ حين ابتكرنا الخطيئةَ

لقد فَشِلْنا فشلاً ذريعاً في الوجود
وبلى.. والمأساةُ بدأت حين وُلِدْنا.
(ثم تحت وطأة الموسيقى الصاخبة والمفاجئة.. يشتدّ حبل من خاصرة الممثل إلى أعلى المسرح ومن فوق الجمهور إلى الكنترول، وكأنه الحبل السري، فيقوم الممثل بسحبه إليه ومحاولة انتزاعه، يتقدم، يتراجع، يشدّه، يتعذب، وبعد صراع طويل، يصيح الممثل:

الممثل:

أرجوك.. كفى
أتوسل إليك.. كفى.
(فيرتخي الحبل ويعود كما كان، ثم يحاول الممثل بيأس أن يقطعه أو يفصله من جسده، يعضّه، لكن لا فائدة.. فيلوّح معتذراً.. ويقول ووجهه تجاه الجمهور:

الممثل:

إنَّ المأساةَ قديمةٌ وأبدية، محالٌ أن تزول. تحسسوا الخاصرة. هنالك اللعنات، في المنتصف، حيث السلالة المؤجلة، تعرف إرثها الحزين.
(الممثل يهبط الأرض، مقلداً تكوّر الأجنّة في بطون الحوامل، ويقول:
في لحظةِ عاطفيةٍ.. أغرانا الوجود، وهَبَطنا كُرماً للأمهات.
آه يا أمي..
ما أبعدَكِ عن صراخي، وما أقربَ صراخي إليك.
أنا متورطٌ هنا يا أمي، متورطٌ في الأيامِ الطويلة، الأيامِ التي تُبعَثُ فيها أحزانُ القُدَامى المنسيين، التي تتذكر فيها الأرضُ أنها قبرُ عِفلاقٍ، التي تتخطى من فوقِ جلدِ الغمرِ كأفعى.
أيامٌ طويلةٌ لا تنفع إلا للتذكّرِ، وتقليبِ المواجعِ على جمرِ المعتادِ والروتين، الرفقةُ فيها قليلة، والتعبُ كثيرٌ كثيرٌ مثلُ الناس.
(يتفقد جيوبه، بشكل هستيري، وهو يردد "أمي.. أمي.. أمي"، يخرج محفظته، يفتشها جيداً، ثم يجد الصورة.. ويتنهد، باركاً على ركبتيه).

الممثل:

آه يا حبيبة، ما أقسى العدم. لقد انتصرَ حين وقفَ الأحبابُ في صفه، وتركونا في هذه المحنة.
(يقبل الصورة ويعيدها في المحفظة).

الممثل:

مر وقتٌ طويلٌ لم ألمس هذه المحفظة هههههههه.
تعرفون. صاحبُكم ليس بموظف. والمسرحُ لا يمكنُ أن تجنيَ منه مالاً.. صرنا نكتفي بمشاهدةِ هذه الوجوهِ الرائعةِ. وهي تكفي.
(يفتش المحفظة.. ثم يخرج بطاقة اسم)

الممثل:

أووه. أوه. الطبيبُ طاهرُ مروان. مرت سنواتٌ أيها الطبيبُ النفساني المخضرمُ النحريرُ الجهبذ. (يقلد الدكتور).. قد تكون مصاباً بالنوستالجيا.
الأطباءُ النفسانيون.. يحبون أن نقولَ لهم أسرارَنا. ثم يتهموننا بالأمراض، يريدون أن نكونَ ضعفاءَ، نجهشُ بالبكاء، ثم بهدوئِهم يشعرونكَ أنهم بخير، ومسيطرون على الأمور، فقط.. لتصدقَ اتهامَهُم، وكأنك الوحيدُ الذي يطاردُهُ ماضيه، وليس هذا العالمُ بأسره الذي يجترُّ أيامَه الخوالي وأحداثَه القديمةَ كلَّ يوم.
لكن أخبروني.. أليس رائعاً أننا نتجولُ في الشوارعِ والحاراتِ فلا نقرأُ "عيادة الدكتور بلابلابلا للتطبيب النفسي". نتجولُ وكلُّ اللافتاتِ.. فلافل، فول، تميس، كبدة.
(يخرج بطاقة أخرى من المحفظة)

الممثل:

عشرُ خطواتٍ كي تنام، لا قلقَ بعدَ اليوم.
أتذكر هذه البطاقة، كنتُ شاباً، وكان زمنُ الشعاراتِ، والمقاهي، والسجائرِ الجيدة. وكنا نعتقد أنَّ الرفاقَ سينقذون العالمَ. وكنا لا نجيدُ النومَ بسبب القهوة، مرت عدةُ أعوام، صعدت منابرُ الموتِ الأول، بدأت مسيرةُ السواد، وسقط المعسكرُ، ثم سقط النومُ معه، لم نعدْ ننام.
ليس بسبب القهوة.
(يصرخ) بل بسببِ فناجينِ العار، الخياناتِ، والموتى المجانين.
(ينهار) الفقرُ ما زالَ يحرسُ المنازل، والليلُ صار طويلاً للغاية. والعجائزُ والشيوخُ صمتوا للأبد. كم من الخيباتِ حلّت.. كم من الخيباتِ ظلت. وكم من ساعاتِ اليقظةِ راحت سُدى.
أريدُ أنْ أنام. في النومِ نفعلُ ما لم نستطع فعلَه في الصحو.
الأحلامُ قد تفي بالغرض.
(يتجهز للنوم، ويردّد بخفوت)
في النومِ نفعلُ ما لم نستطعْ فعلَهُ في الصحو.
(لمّا يغفو تبدأ أغنية "نام يا وليدي نام" التراثية، وهي تغنيها امرأة بصوت هادئ على ألحان آلة العود، والممثل يتحرك مثل النائم الغارق في نومه، ولما تنتهي الأغنية بانسياب.. تبدأ إضاءة خافتة على الممثل، تزيد في السطوع، وفجأة يمتد الحبل من خاصرته ويشده بقوة، فيصحو مفجوعاً وهو يصرخ، ويبدأ يشد الحبل، ويصرخ، يتقدم ويتأخر، ويصرخ: كففففففى، توقفْ، لقد صحوت، كفى كفى.
(يرتخي الحبل قليلاً، ويتنهد الممثل...)

الممثل:

من المفترضِ أن تكونَ هذه الحياةُ المؤقتةُ جميلة، الشيءُ القصيرُ يأتي لذيذاً، أما أنا، فحياتي القصيرةُ.. طويلةٌ للغاية، ومعبأةٌ بالحيرةِ، واللظى، كنتُ أبكي صغيراً فتسكتني أمي ولا يعلقُ على بكائي أحدٌ من الجيران، ولما كبرتُ لم أستطعِ البكاء.. لقد تعبأت المدينةُ بمحلاتِ الدعايةِ والإعلان.. لا أحبُّ الأغاني الرائجة، وكلما خرجتُ من البيتِ أولادُ الحيّ القساةُ يمرقون بسيارتِهم الفارهةِ ويرفعون صوتَ هذهِ الأغنيات، إنهم يبقرون الذائقة.. أوبرا الشارعِ العربي.
العربي.. (يخفت صوته).
العربي. (يهمس).
أنا عربي، عربي، أنا من أبناءِ الغربةِ الأصليين، لكنّي نسيتُ هذا النسبَ الطويل، أنا مثلُكُم، خائفٌ ووحيد، وهذه الحشودُ لا تعنيني ولا أعنيها في شيء، أنا مثلُكُم، لكنّي غائبٌ في الماضوي منّي، قلقٌ ونافرٌ مثلُ إبهامٍ وارم.. وأسألُ.. أين دربُ الطفولة، أريدُ أن أعود، أنا مثلُكُم، خائفٌ ووحيد.. يتحكمُ بي أحدُهم من الظلام. (يمد يده إلى مصدر الحبل في الكنترول أعلى الجمهور، فيشتد الحبل، لكنه لا يصرخ، وكأنه غير مهتم ولا مبالٍ.)

الممثل: على رِسْلِك.. على رِسْلِك. لقد تعبنا جميعاً.
(يظهر صوت طبل هائل، دقات الطبل واضحة ومخيفة، وترمز إلى التهديد والوعيد)
يحدق الممثل إلى أعلى، ثم إلى الظلام البعيد، يخاف، يتوتر، يصاب بهستيريا ثم يقول:

الممثل:

هيييييييييه
هذا ليس طبلاً.. إنه ما تبقى من جثةِ البقرة، وأنتم تضربون جلدَ الموتى.
(يصرخ): هذا ليس طبلاً.. إنه ما تبقى من جثةِ البقرة، وأنتم تضربون جلدَ الموتى.
(ينهار): هذا ليس طبلاً.. إنه ما تبقى من جثةِ البقرة، وأنتم تضربون جلدَ الموتى.

الممثل:

لقد كنتُ صغيراً، وكان الحقلُ قريبا، كنّا بخير، وكنّا نعرفُ أهلَ القريةِ جميعاً، لم يكن أحدٌ لينامَ حزيناً قبل أن ندارِيَهُ ونضحكَ معه. كان الشرُّ قليلا، عندما كنّا نخافُ على بعضِنا.
لكن.. صرنا نخافُ من بعضِنا، وصارَ الحقلُ بعيدا، وأمي ذهبت.. ولم تعد أبداً، وأنا بدأتُ أشيخ.
بدأت أشيخ فعلاً، وبدأت تكتبَ عني حتى.. (وقبل أن يتم جملته يتذكر ويبدأ في هستيريا ضحك لا تتوقف، ساخراً من نفسه) هههههههههههه.
بلى بلى.. بدأت تكتب عني حتى الصحف!
ويواصل الضحك وهو متجه لطرف المسرح.. يأخذ الجريدة، يفتش عن الخبر، ثم يقرأ:

الممثل:

سرق أحدُ المرضى الجوالين أمسِ فستاناً أبيض من أحدِ الأسواقِ الكبيرةِ في قلبِ المدينة، ويبدو أنه يعاني من مرضٍ نفسيٍّ حاد، حين تقدمَ إلى أحدِ الباعةِ وأخبره أنه يحملُ سلاحاً مخيفاً في جيبِه، ممّا جعله يعطيه الفستانَ ويتركُه يهرب من السوقَ إلى حيثُ لم يرهُ أحدٌ بعدها.
هههههههههههههههههههه.
لقد أخذتْ الفستانَ لأسبابٍ مؤجلة، نعم لقد سرقتُهُ، لكن لستُ وحدي من سرق، الجميعُ يسرق، بل إنهم لا يسرقون الفساتين، إنهم يسرقون الأوطان والأجيال والقلوب، يسرقون الحرية والبسمة، يسرقون يوم الأربعاء ويسرقون الخميس، أما أنا فما سرقتُ إلا فستاناً، وقد كان سبباً وجيهاً أنْ فعلت، من يعرفُ متى يحينُ موعدُ عرسِه، فلا يجدُ لزوجتِه ما تقهرُ بهِ هذا السوادَ الكبير؟
أتعملون أيَّ الأسلحةِ كان في جيبي وقتَها؟ (يبتسم).
يدخل يده في جيبه وهو يردد:
إنه سلاح فتاك.
(ثم يخرج مرآة صغيرة، ويصوبها تجاه الجمهور وهو يضحك).

الممثل:

بلى بلى.. المرآة.

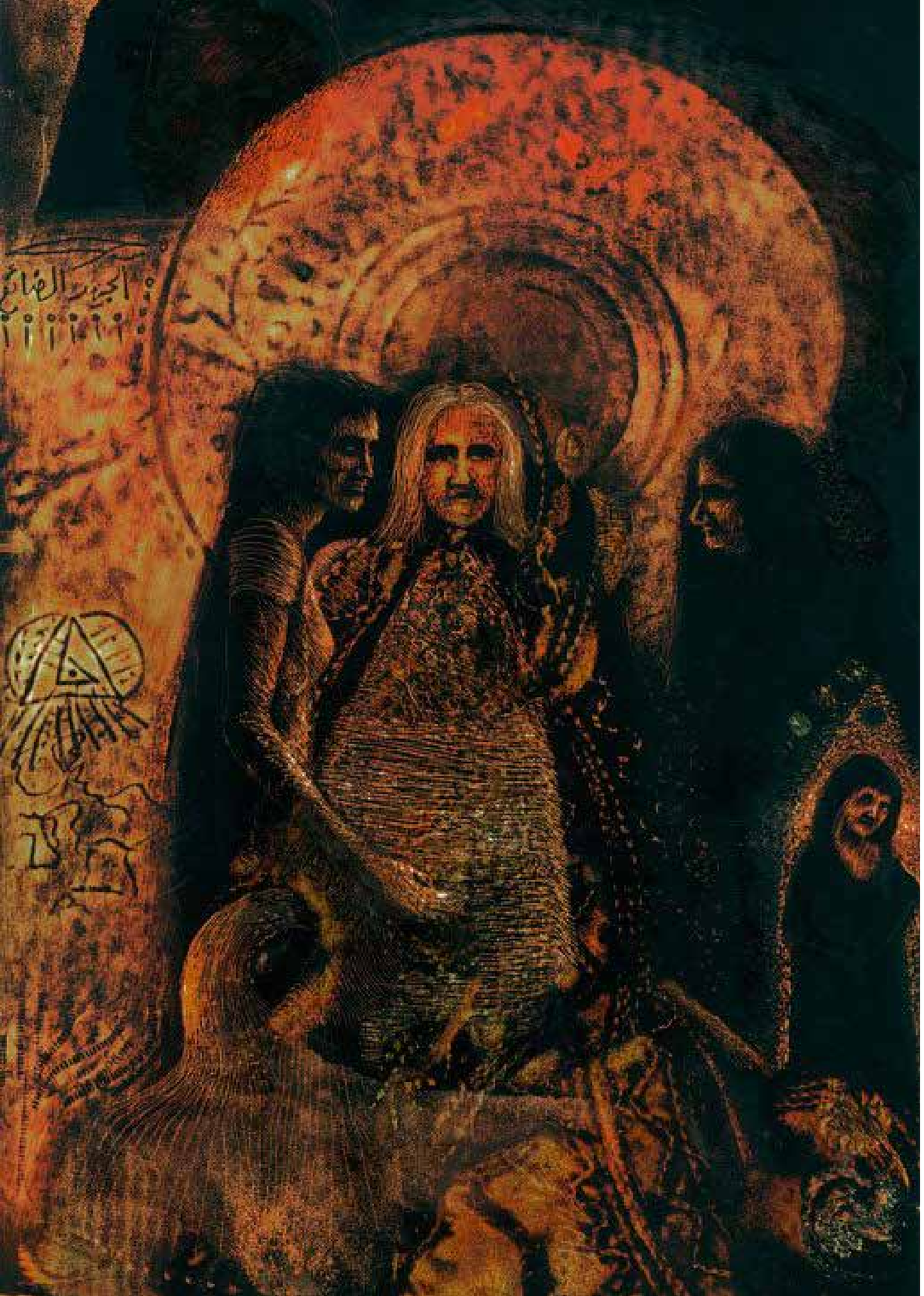

عامر الوهيبي

أتعجبون؟!
المرآة سلاح فتاك، دعِ الناسَ يرونَ وجوهَهُم وسيصرخون.
أيُّ ألمٍ قد تشعرُ بهِ وأنت تحدقُ فيك؟
وأنت ترى هذه الخسارةَ الفادحة؟ ترى هذا العمرَ المهدور؟
هذا الفناءَ الصارخ؟
على كلِّ حالٍ. لقد أعدتُ الفستانَ أمس، لستُ في حاجةٍ إليه. لقد أيقنت أنني لن أفعلَهَا، ثم إن أمي غائبةٌ ولن تحضر.. (ينهار شيئاً فشيئاً)
أمي غائبةٌ ولن تحضر
ومن فقدَ أمَّهُ شاخ
وقلَّ تبسُّمُه
وانهارَ حظُّه.
كنتُ صغيراً (يحدق في طرف المسرح).
كنتُ صغيراً، كنتُ أجري خلفَ السيارةِ التي أخذتهَا، جريتُ جريتُ جريتُ ولما كدتُ ألمسُ السيارة.. أوقفني، أوقفني، وسقطتُ.. سقطتُ للأبد.
أواه يا أمي، لولاه، كنتُ سألمسُكِ لآخرِ مرة، كنتُ لأشمُّكِ قبلَ أن تدخلي المستشفى، كنتُ سأضمُّكِ إليّ، لكنه منعني، أعاقني، وتركني مضرجاً بدمائي.
سآخذ بثأري، بلى، لا يتركُ الرجلُ ثأرَه، ولو بعدَ حين، ومن يدري متى يحينُ الموت، علينا أن نسرعَ للثأر، الليلةَ سآخذ ثأري، سأقتصُّ منه.. الذي حرمني رؤيةَ أمي في يومِها الأخيرِ وأنا طفل، سأقتصُ منه الليلة.. سأجلبُه هنا، وأحرقُ قلبَه كما أحرقَ قلبي. إلى الثأر.. إلى الثأر.. إلى الثأر (يجري إلى باب المسرح الجانبي ويختفي في الكواليس، وبعد برهة، تشتغل شاشة المسرح).
(يبدأ المشهد وهو خارج من المسرح، بنفس ملابسه وهيئته في الأداء "كأنه بث مباشر من الخارج" حتى يخرج من مبنى المسرح إلى موقف السيارات ويأخذ تاكسي، ويتجهان ويخبره إلى أين يذهب..)
على المرءِ أن لا يغفو يا صاحبَ التاكسي.
وعليك أن تسرعَ فما زال العرضُ المسرحيُّ قائماً.
هيا هيا قبل أن يصابوا بالملل، كل شيء مدعاة لملل، ومكدّس بالإعادة.
(وصاحب التاكسي لا يتحدث وتبدو عليه ملامح الخروج عن المألوف وكأنه مخمور أو متعاط ما يجعله هادئا وشارداً وغريباً، ويشغّل أغنية شعبية قديمة من أغاني عيسى الأحسائي، وعند حيّ قديم، يوقف السائق فجأة، ثم ينزل جارياً، بعدها ينسلّ في أحد الأزقّة، وتراقبه الكاميرا حتى يختفي لتعود لوجه السائق وهو ينتظره ، وفجأة يعود من الزقاق ومعه شيء في قماش يجري بشكل بطيء، ويتلفت خلفه، حتى يضع ما في يده بالتاكسي، ويتحرك عائداً إلى المعرض) وفي الطريق يقول:
العرضُ المسرحيُّ يا رجل. أسرعْ، الناسُ ينتظرون، و... ثأري ينتظر.
يتوقف عند بابِ المعرض، ويدخل مسرعا إلى المعرض وهو يحمل قماشه الملفوف، حتى يدخل مع ذات الباب الذي خرج منه، فتنطفئ شاشة العرض، ويتقدم إلى خشبة المسرح:

الممثل:

هذا الذي أصابني وأنا ألحقُ بأمي، حرمَني منها وتركني أعرج.
اليوم، وقبلَ أن أموتَ، آخذ بثأري.
(يزيل القماش... فإذا به لوح قديم به مسمار كبير)
هذا هو القاسي، هذا هو الذي منعني من أمي وفتحَ في قدمي جرحاً لا يزول. (يبكي).
(ينظر إلى اللوح كما لو كان شخصاً يحدثه ويهزه) ويقول:

الممثل:

أيها المسخُ.. أنت لم تكن شجرة.
أنتَ لم تكن شجرة.
الليلة سأشعلُ النار، سأتدفأُ قليلاً، وأنتم عليكم أن تتدفأوا، تحدثوا مع من تحبون قبل فوات الأوان، وأخبروهم أن في دمائكم مساكن لهم، وفناجين قهوة.
وانتبهوا من الألواحِ البالية، ذاتِ المسامير..
وأعلموا أن القبرَ ليس غرفةً لتبديلِ الملابس
لكنه أولُ الدربِ
في النزهةِ الأبدية.
(ثم يقعد في كرتونه الذي خرج منه، وكأنه فوق ظهر سفينة، ويغني هذا الشعر بلحن حزين حتى اختفائه في الكرتون):
القبرُ ليسَ غرفةً لتبديلِ الملابس
لكنه أولُ الدربِ
في النزهةِ الأبدية.

إظلام

كاتب من السعودية

هيثم الزبيدي

لماذا الاصرار على أن يكون لدينا مسرح

ما أن تدخل إلى قاعة المسرح في عاصمة عربية حتى يستقبلك الصفير. الصفير الذي يطلقه المتفرجون صار أشبه بالموسيقى التصويرية للمسرح العربي. عادة سيئة حقا وليست جديدة. كل المسرحيات التي سجلها التلفزيون من الستينات في القرن الماضي وإلى الآن تعجّ بالصفير. الجمهور يتعامل مع المسرح بقلّة احترام ملموسة لعلها تلخّص بعضا من مشاكل المسرح المزمنة في العالم العربي.

المسرح فكرة مستوردة لعالمنا العربي. المسرح يحتاج إلى جمعين: جمع يصنع المسرحية وجمع يتفرج عليها. هذان الجمعان يبذلان جهدا صعبا ليتشكلا، خصوصا في الإطار التاريخي. صناعة المسرح تحتاج إلى جهد جماعي لا حاجة لتفصيله ولكنه بالتأكيد ليس جهدا فرديا. والجمهور عدد ضروري يجلس بهدوء لساعات لمشاهدة العمل المسرحي. في عالمنا، إذا توفر الأول قد ينعدم الثاني، أو العكس. لعل هذا ما صعّب مهمة تأسيس مسرح عربيا، ولهذا فإن المدرّجات المسرحية التاريخية في العالم العربي هي مدرّجات رومانية تحولت إلى أطلال ما أن غاب أصحابها الأصليون.

عاد المسرح مع عودة التنويريين من الغرب بعد عصر النهضة. جاؤوا معهم بالفكرة الحديثة للمسرح. حاولوا كثيرا أن يقدموا مسرحا عربيا أصيلا حتى وإن كان مقتبسا من أعمال مسرحية عالمية. انتهى الأمر بالطبع إلى أنهم اضاعوا المشيتين. وبدلا من حركة مسرحية، وفق المعايير الكلاسيكية أو المعاصرة من تراجيديا أو كوميديا أو مسرح غنائي، صار مسرحنا تهريجا في تهريج. نجم يقدم مسرحية وحوله حاشية يضربهم ويسخر منهم ويهينهم والناس تضحك. نجم آخر يتدلى من حبل يتأرجح كأنه في سيرك وآخر يتحرك بتشنج ساذج. فرقة تمرّ وهي تعزف وراقصات يتمايلن وفوضى وهرج وتصفيق هستيري لجمهور جاء للفرجة كمن يذهب إلى ملهى ليلي.

الصفير هنا شيء طبيعي جدا ومرافق مناسب لمثل هذه الأعمال "الفنية".

هل هذا هو المقصود من المسرح كتأسيس لركن ثقافي مهمّ في المجتمع؟ من الصعب القبول بهذا بالطبع. ولا مقبول أن يقدم فنانونا نسخا مكرورة من الأدب العالمي تعرض ليوم أو يومين وينتظرون أن يأتيهم كثير من الجمهور. هاملت ابن بيئته. ما لنا وحيرته؟

سيكون من التجنّي بحال أن نقول إن المسرح كصناعة ثقافية لم يولد بعد في عالمنا العربي. ربما الأفضل القول إن المسرح لا يزال في طور التجريب وقد يبقى فيه لمدى طويل. ربما لن يصل أبدا إلى ما وصل إليه المسرح في أوروبا أو الولايات المتحدة. هناك دول تعيش من دون مسرح ولا تحسّ بالنقص. لماذا الإصرار على أن يكون لدينا مسرح؟

هذا يصعّب من مهمة الكتابة المسرحية. المسرحيات غير الهزلية التي نشاهدها على مسارحنا تبدو عملا تجريديا محصورا في كادر بصري بسيط. الديكور غير موجود تقريبا وثمة سباق على من يضع ممثلين أقل على خشبة المسرح. مسرحيات المونودراما التي يقدمها ممثل واحد صارت هي القاعدة.

المسرحيات المقتبسة من أعمال روائية عربية عادة ما تفتقد الحس المسرحي وتتحول إلى ما يشبه الفيلم ذا الميزانية المحدودة. عليك أن تحشر الرواية على خشبة المسرح. المسألة معكوسة مثلا في المسرح الغربي. الأفلام التي قدمت عن أعمال المسرحي الأميركي تينيسي وليامز كانت أشبه بمسرحيات مصورة في غرفة أو غرفتين. أعمال ويليامز مكتوبة للمسرح بطريقة محكمة تعثرت معها محاولات تمديدها سينمائيا لأبعد من ذلك.

الغرب انطلق بالأوبرا كمسرح غنائي. لا يزال يحبها، لكنه أدرك أن الأجيال الحديثة تحتاج إلى نمط مسرحي أبسط. المسرحيات الغنائية في لندن ونيويورك تستقطب طوابير من المشاهدين. مسرحية "شبح الأوبرا" شاهدها 130 مليونا وحققت ما يقارب 6 مليارات دولار دخلا على مدى 30 عاما من العرض المستمر. المسرح الغنائي قوة ثقافية كبيرة تحرك أجيالا من المهتمين ممّن يسعون إلى الوصول إلى الشهرة وتحقيق الذات. مجرد التفكير بإجراء مقارنات مع المسرح الغنائي العربي سيقود إلى الإحباط، فنا قبل أن يكون دخلا أو شعبية.

المسرح العربي المهاجر ليس أقلّ أزمات. المسرحية العربية التي تعرض في الغرب تكون ناجحة بكل المعايير إذا استطاعت تقديم عروض لثلاثة أيام بمجموع للجمهور لا يتعدى الألف مشاهد. لولا المساعدات الخيرية أو منح البلديات لما سمعنا عن مسرح عربي مهاجر.

كل ما ذكر أعلاه هو في صنعة المسرح وتعثرها. ماذا عن قضايا المسرح العربي؟ كل ما يعلق في الذاكرة من أعمال مسرحية كانت حصرا للقضايا الاجتماعية وهموم الفرد. هناك بيت القصيد الذي قد يحمل الأمل في التأسيس لمسرح عربي من جديد. أما التهريج والاستعراض والخطابة المفتعلة في المسرحيات "الوطنية"، فكالزبد تذهب جفاء.

كاتب من العراق مقيم في لندن

صفوان داحول

أحمد إسماعيل إسماعيل
حازم كمال الدين
حسن المؤذّن
الحسن بنمونة
حمادي المزي
درويش الأسيوطي
زبير بن بوشتة
صباح الأنباري
عباس الحايك
عقيل مهدي يوسف
عواد علي
مختار شحاتة
مصطفى تاج الدين الموسى
مفلح العدوان
ناهض الرمضاني
وجدي الأهدل
صالح زمانان
هيثم الزبيدي
نوري الجراح

فكر حر وإبداع جديد

www.aljadeedmagazine.com